

شكر

مَقَامَاتُ الْحَمِيرِي

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريفي

تحقيقه
محمد أبو الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية
سنة ١٣٥٠ هـ

الجزء الأول

شَهْجَ مَقَامَاتِ الْحَرِيِّ

إلّا بنى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشيرازى

شرح مقامات الحريري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

المكتبة الحصرية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العامة للطباعة والنشر

الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ
الطبعة الثانية: ١٤١٣ هـ

بسمروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تلکس ٢٩١٩٨٤
صیدا - ص.ب ٢٢١ - تلکس ٢٩١٩٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مقامات الحريرى

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغته هذه المقامات - التى أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن على الحريرى - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها النسخة الأولى فى بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريرى وقع بخطه فى شهر سنة أربع عشرة وخمسةائة على سبعمائة نسخة^(١) ؛ كما أن العلماء فى جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها فى المدارس والمعاهد ، ويقرءونها فى الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت فى حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريرى ببغداد - منهم الحسن بن على البطلبيوسى ، والحجاج بن يوسف القضاعى ، وأبو القاسم عيسى ابن جمهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومداولة وشرحاً . .

ولمؤرخى الآداب العربية أقوال مختلفة فى سبب إنشائها . .

نقل ياقوت من عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النفور البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات . يقول : أبو يزيد

السُّرُوجِيّ، كان شيخاً شجاعاً بليغاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فلمْ ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضرا ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبتهُم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيراد ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت ، وكان يغيّر في كل مسجد زِيَّة وشكله ، ويظهر في فنون الخيل فضله ، فتمجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت اللقمة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر اللقعات ، وكان أول شيء صنعته . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه اللقمة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأنتمها خمسين مقامة ^(١) .

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريري اللقعات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاه ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاه . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زمانا كثيرا ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

«من أنكر دعواه في علمها أبو القاسم على بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري»
الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخَ لَنَا مِنْ رِبْعَةِ الْفَرَسِ يَنْتِفُ عُنُونَهُ مِنْ الْمَوْسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيَّانِ بِالْخَرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولداً ببتف لحيته عند
الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات
آخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان لما لحقه من المهابة (١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخسين وخمائة
بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب
أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن
ابن أبي الدز علي بن صدقة وزير المسترشد ... قال : ولأشك أن هذه الرواية أصح
لكونها بخط المصنف (٢) .

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى
بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث
وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من
شخص إلا وهو حارث ومام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضا في
حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة
الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيق

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

رجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطي في إنباه الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال في حقه : صاحب أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبي محمد الحريري بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه ^(١) .

وأباً كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبي زيد ، فإن هذه المقامات عمل فني رائع منقطع القرين ، حوى من متخير الألفاظ ومنتخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعده عن الركاكة والابتذال - ما جعلها قمة في الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدثي والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التي تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها في قوالب طريفة في الأدب والنقد والوعظ والنكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجملها في أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشأها بألوان البديع ، من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف في صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودردره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللفظ الأدبية ، والأحاجي النحوية ، والتناوي اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب الحزيرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحك المليحة .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبي زيد السروجي في صنعاء ، وكانا فرّوا الشباب وربع العمر ، حيث لقي الحارث أبا زيد خطيباً واعظاً ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلاً ، وعليه بنى الحريري المقامة الأولى وأسمائها المقامة الصناعية . ثم

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويحوب الفياق والقفار ؛ ليلقى أبازيد ؛ مرة في
ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاة ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظا أو
شاعرا ، أو شحاذا أو مخاصما ؛ ثم يمضى بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في
أخريات عمرهما بالسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جذتهما ، وذوى عودهما ، ورث
بُرمذ شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم
من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الفتن واعتديت
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجنر ما جنيت
يارب عفوا ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت
ثم يختنق أبو زيد ويعود إلى بلده سرُّوج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصوف ،
ويخرج الحارث بعدها إلى الراحة ويكف عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،
وبه تنتهي للقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبأعذرهما ، بل سبقه إلى هذا
الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدث عن
سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبق غايات ، وصاحب آيات ،
وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يقترب إلا من
فضائله ، ولا يسرى هذا السر إلى بدالاته ؛ والله در القائل :

فلا قبل مبهكاها بكيت صبا

بسعدى شفت النفس قبل التندم

ولكن بَكَتْ قَبْلِي فَمَيِّجٌ لِي الْبِكَاءُ بِكَاهَا قَلَّتِ الْفَضْلُ الْمَتَقَدِّمُ
ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة
الحريري والتسج على منواله ، والسير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم
من عمل ولكنه أخفق . . .

فَمِمَّنْ حاول ذلك عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ ، قال ياقوت :
وردتْ أُمِدٌ في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأنا في عنفوان الشباب وريّعه ؛ فبلغني
أن بها عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ — وكان من العلم بمكان
مَكِين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم
المتقدمين ولا المتأخرين وزنا ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرّ لأحد بإحسان
في شيء من العلوم ولا حُسن ، فحُضِرْتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزاره عليّ أولى
الفضل ، وتنديده بالعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرموني وأضجر ، وامتدّ في
غَيِّه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك
مجيد قط ؟ فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : اللتبي في مديحه خاصة ،
ولو سلكت طريقه لما برز عليّ ، ولست فضيلته نحوي ونسبتها إليّ ، والثاني
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبتي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريريّ في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك
طريقته ، وتنشد مقاماتٍ تحمد بها جهرته وتملِكُ دولته ؟ قال : يابني ، الرجوع
إلى الحق خير من التماذي في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها
فأستردّ لها ، وأعد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أعلنُ الله خلقي إلا لإظهار
فضل الحريريّ ^(١) !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي المرقسطي الأشرأكويّ ^(٢) المتوفى بقرطبة سنة

(١) مجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشرأكوي ، من أعمال طليّة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨، أنشأ كتاب «الحسين مقامة الازومية»^(١) عارض بها مقامات الحريري، ولزم في نشرها مالا يازم، متأثراً بالمرعي في لزومياته، فأبعد النجعة، وأتعب خاطره، وكذب ذهنه، وأسهر جفنه، وصمب على نفسه السالك، وقيد كلامه نظماً ونثراً. واتخذ راويه المنذر بن هام، وجعل بطله السائب بن تمام؛ ولكن هذه المقامات ذهبت بها عوادى الأيام، فلم تصل إلينا.

ثم قام جابر الله محمود بن عمر الزنجشري المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً، فأنشأ مائة مقامة كالمقالة، تدور كلها حول الوعظ؛ ولكن ليس فيها راوٍ ولا بطل؛ بل خاطب في جميعها نفسه، وذكّرُها بالآخرة، ورغبها في الأعمال التي تؤدي بها إلى نعيم الله ورضوانه.. وكان الزنجشري أحسن في هذه المقامات بمُصوره عن غاية الحريري، وبعده عن مداه، قال:

أقسم بالله وآياته ومشر الحج وميقاته
أن الحريري حري بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي بكر الرازي وابن نايقا وابن الصيقل الجزري وابن حبيب الحلبي وابن الوردی والسيوطي وغيرهم؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف اليازجي، أحد أعيان البيان بلبنان في القرن التاسع عشر الميلادي؛ فدرس مقامات الحريري وحفظها، ثم أخذ يروض قلبه على مقامات تنحو نحوها؛ وتلك نهجها، وما زال يلتبس الوسائل، ويتطلب القرائح، ويرتاد نواحي الظفر، ويتوخى وجوه التّجبع، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين»، أي النثر والنظم؛ وجعل راويها سهيل بن عباد، وبطلها ميمون بن حزام؛

(١) فهرست ابن خلدون ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري — بالحرث بن همام —
ليلقى ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المكاييد وطرق التنكير
والتعلّق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبق
منفردا بفته ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بدّ من
قبله ، وأتعب مَنْ بعده ، وستظلّ مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام ..

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند التمداء ، عبر عنها ياقوت بقوله :
« وافقه من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة
واتّسمت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ريقها ، وأحسن نسقا ؛ حتى
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،
فضلا عن أن يأتي بمثلا ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحققت به وأكثر ... » ، - فإنها
لم تخل من نقدٍ بعضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المروفي بابن
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ
ساكتاً فسلم ، أو لنارزع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فوضاً ، مع
تمهيد عذره ؛ قلّمها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،
علماً بأن الكامل من عدّت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن برى فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر ، فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أريينوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فاننوردى پارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي ساسي بجمع مخطوطات المقامات وشروحها ، وعمل منها شرحاً غريباً ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكْرْت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكْرْت أجبر لفته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفى أسبانيا ترجم الشاعر اليهودى يوراي الحريزى هذه المقامات إلى العربية، وطبعت هذه الترجمة فى لندن سنة ١٨٧٢ م-
وفى كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ما ناله الحريرى فى الحلقات الاستشرافية من التقدير فى نواحى الغرب^(١).

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية ؛ وأول طبعة لها كانت هى الطبعة التى ذكرت أنها كانت فى باريس سنة ١٨١٩ م بعناية كوسان دى ريسفال، ثم توالى طبعتها بعد ذلك فى باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكناو ودھلى بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت^(٢).

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية فى الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً ، وفى دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة ؛ غالبها نفيس ، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه ، وفى أوّلها إجازة بخطه ، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت ، وعليها خط المؤلف أيضاً ، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب ، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣ ، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥ ، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩ ، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة^(٣).

(١) أفندت هذه المعارف الاستشرافية ؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أرنت يانرت أستاذ اللغات العبرية فى جامعة فينا .

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨ ، ٧٤٩

(٣) انظر فهرس دار الكتب .

صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوبا إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بنى حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتأدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والتقى على أبي إسحاق الشيرازي . وعيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصبهانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يفلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئا ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما أمس منه أن يُملّي عليه قال له : اكطب :

ما أنت أول سارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ ورائد أعجبتَه خُضْرَةُ الدَّمَنِ
فاختر لنفسك غيري إني رجل مثل الميديّ قاسمٌ بي ولا ترني
فنجعل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئا منها ، وله الرسالة السينية التزم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية التزم في جميع كلماتها حرف الشين ، وأوردها ياقوت أيضا .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلكان قوله :

قال المواذل ما هذا الغرامُ به أما ترى الشَّعر في خَدَيْهِ قد نبَّتَا

قلت والله لو أن المقلد تامل الرشد في عينيه ما ابتغى
ومن أقام بأرض وهي مجدبة فكيف يرحل عنها والربيع أتى !
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباء بجابر فتت بالحاجر
ونفوس نفائس خُدرت بالخاور
وتتن الخاطر حاج وجداً لخطاير
وعذار لأجله عاذل عاد عاذرى
وشجون تضافت عند كشف الضفائر
وأورد له ياقوت :

لا تخطون إلى خطاء ولا خطي
من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه إذا سرى في ميادين الصبا وخطا
وله غير الشعر والرسائل والقامات ما يأتي :

- ١ - درة النواص في أوام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما يستعملونه من الألفاظ بغير معناه في غير موضعه . طبع في مصر سنة ١٢٧٢ هـ ، وفي ليسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجي في الآستانة سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٢ - ملحة الأعراب في صناعة الإعراب ، وهي أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بمحمد ذي الطول شديد الحول
طبعت في باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمي ، وأسمى
الشرح « تحفة الأجيال وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .

- ٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة في مكتبة برلين برقم ٧٧٩ ، وأوردها السيوطي في الزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضا د لكيلاً تُضِلُّه الألفاظُ

شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريرى أكثر الكتب حظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تاليف ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن عليّ بن عبد الله الحليّ ، ومحمد بن عليّ المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعليّ بن الحسن المعروف بشميم الحليّ ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامه الضرير ، والشهاب الجبازي ، وعبد الله بن الحسين المكبري ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البندادي ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسيّ المعروف بالشرقيّ ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبليّ المعروف بنجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دى ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحاديث والألفاظ ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأردية الاستطراد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الشئيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومتشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشرشى . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاء وأبي الطاهر الخشوعي ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريرى فى بغداد ، وقرءوا عليه المقامات فى منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التى حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشرشى جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف فى شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت فى تفهمه ورداً وصدرًا ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ... ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقمتها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطاً أعلق جمة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بقلاوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده فى هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصاّر المذكورة فى المقامات . ماوسمه الجهد ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه والإكثار من الشعر فى كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسى فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدوها فى غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغنية المتأدب، وغاية المطالع والمستفيد .

٣- والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى الشريشى ، ولد بشريش سنة ٥٧٧ - وكانت شريش من أجل بلاد الأندلس ، وأحفها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن ثبال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي على التالى وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردتها للقرى في ترجمته^(١) ، وكان قد سافر إلى الشام وشَفَّ بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوق إليها :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فلن قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	مالذ للمعيف لا نوم ولا سهر
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كانني لم أكن بالتيهين ^(٢) ضحي	والغم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأعصان راقصة	والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفنح ، أين عشياقي التي سلفت	لى منه ، فهي لعمري عندى العُمر!
سكك يا سفنح ، سفنح الدمع منهلا	وقلّ ذاك له إن أعوز المطر

وعما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) ضح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) التبيين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أو لها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا الطول ؛ وهو الذى اشتهر فى الخافقين ذكره ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

* * *

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيَّرت النسخ الآتية للرجوع إليها :
(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع فى ٤٣٢ ورقة ، وفى كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠هـ ، وفى أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع فى ١٢٧ ورقة ، وفى كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهى نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهى نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع فى ٤٥٢ ورقة ، وفى كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، وتحتوى على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت فى بولاق سنة ١٣٠٠هـ بتصحيح محمد الحسينى ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتبت على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة
أثبتها فيما بعد ، هنا بالإضافة إلى العارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألقى بآخره إن شاء الله
الرسالتين السبئية والشبئية للحررى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برى وغيرهما على
المقامات ؛ فضلا عن النهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق .

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شَحْجَ مَقَامِ الْجَزْئِي

للإبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ الفوقى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
أبن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، تفعله الله برحمته
ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذى اختص هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفصح الأذهان ، وشرف
علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان ، وميزنا بين سائر الأمم بالنثر المتفق
الفقر والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها ، وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها ، ونصلى على
سيد المرسلين ، وخيرة العالمين ، الذى ختمت نبوؤته العامة النبوة ، ونسخت بشرعته
التامة الكتب المتلوة ، محمد سيد هذا العالم والخصوص بعلو المكانة ، وعموم
الديانة فى ولد آدم ، وعلى آله وصحبه الذين عزروه ووقروه ، وآووه بإيواء
الموفين بالمهود ونصروه ، وثقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ، وسلم
تسلية ، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيما .

ورضى الله عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، مجدد معالم الديانة ، واللى
بأداء الأمانة ، وللشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ، وعن
خلفائه الراشدين المرشدين أئمة المهدي ، والتالين له فى شرف ذلك للمدى ، والقائمين
بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ،
سعداً يعلو أعلامه ، ونصراً يصحب قلمه وحسامه ، وتأيداً يظهر أمره وينصر
اعتزازه ، حتى ينتظم شذآن^(١) الأمصار فى سلك ملكه ، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشذآن ، بالضم والفتح : للفرق ، وأمله فى المعنى والإمل .

على غمر برّه ، وتنطوى ضمائر القلوب ومحباتُ الفيوب على إخلاص طاعته
والإشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربعُ السكاسب ، وأرجحُ للناسب ، وأرفعُ للراتب ،
وأنصعُ للنائب ، وحرقةُ أهلِ المهَم من الأمم ، ونِجَلَةُ أهلِ الشرف من الساف ،
لم يتقلد سلكه إلا جَيدٌ ماجد ، ولم يتوشح بُرْدَه إلا عِطْفُ جادٍ في طالب الكمال .
جاهد ، ولم يستحق اسمه إلا الواحد الفَدَّ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت
أفانيدُه ، وتنوعت دواوينُه ؛ فلم الأدب علمُه ، والأس الذي يبني عليه كلمُه .
والروح الذي يحب في ميدان الطروس قلبُه ؛ ولذلك كان أولى ما تفرحه
الترائح ، وأعلى ما تنجح إليه الجوانح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يتنافسون
في اقتنائه ، ويتصافنون في عافي إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتأليفه ،
ويستريحون إلى أعبائه المسكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والنثور ،
وقوام^(٢) نطاقِ الألسنة وفكرِ الصدور ، ومنشطُ المقال من عقالِ الفهاة ، ومميزُ
الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كل عصر من حَلَّتْه بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنو إليه
أبصار وتوحي . إليه أصابع ، وصناعة البراعة ينهم تمكن وتتأصل ، وتنوع
البداع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكّد ذهنه في تتميم ما غادره الأول ؛ إلى أن
اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضِفَّتاه ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن
والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخرَ البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بِسِمَةِ
السباق ، والفدّ الذي قد عمقت عن توءمه فنية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافى القوم الماء ؛ إذا قسموه بالمص . والناق : ما فضل في القدر ؛
والكلام على الاستمارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظاه وعماده .

ومالك زمام القُرطاس والبراعة ، والملبّي عند استدعاء دُرّر النُفَر بالسمع والطاعة ، أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحماه ، وكاناً إحسانه في الثناء عليه بحسنه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الاقتنان ، ومهد جادة الإجابة ، وقوى مادة الإنادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ، لا سيما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والملح التي وشّعها بدُرّر النُفَر ورصّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقاً ، وبرّز البلاء فائقاً ، وأتى بأعنى الدقيق لأنظ الرقيق مطابقاً ، وخلّدها تاجاً على هامة الأدب وتقصّاراً^(١) في جيد لغة العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهم عليها ، ولا تصل أبدى المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا الحلّ الشهير ، وسارت مسير الثّيرين بين مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم نهى ، والعكوف عليها حرز عزمي ، والذّوق في حفظ لغاتها وفكّ مخبّأتها أمّ همّي ، وصيرت تحفّظها فرض عيني ، والفكر الذي لا يحول وسنيّ يديّ . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والنقات ، وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقفل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايّتها ، ببلدى ، الشيخ الفقيه القرىّ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره الفقيه المحدث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسي المعروف بابن جهور ، عن منشئها أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضاً ببلدى الشيخ الفقيه الراوية أبو بكر بن مالك الزهريّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه أبي الحجاج الأبدّي القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضاً إجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التّقصّار والتّقصّارة ، بالكسر : القلادة ؛ سميت بذلك لزمها قمرة العنق .

عن القضاة. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ
الجليل بركات بن إبراهيم بن ظاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعي عن
الحريري. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن
مسعود الخشني بسنده، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله.
ونقلت بها جماعة من جلة الأسيان أكثر في العدد من ذكرت؛ لا بدمني
واحد منهم إفادة ضبطية أو لفظية، ولا يفقدني زيادة هزلية أو وعظية، فأخذتها
أخذ متبّت، عن واع منكّت.

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها، وتبيين الإنصاف
بين انفصالها واعتراضها إلا وعيته^(١) نظراً، وتحقيقه معتبراً ومختبراً، وتردّت
في تفهمه وزدّاً وصدراً، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً؛ حتى
أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممن فسرّها، واستوعبت عامة فوائده
الممكنة بأسرها؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها، ولا فريدة
إلا استدرجتها، ولا نكتة إلا علقتها، ولا غريبة إلا استاحقتها، ولا غادرت في
موضع منها مستحسناً بشدّ عن جمعي، ولا مستجاداً ينبو عنه بصري أو سمعي.
فاجتمع من ذلك حفظاً وخفياً أعلّق جمّة، وفوائد لم تهتم بها قبلي همّة.
ثم لم أقنع بتبيين الدواوين، ولا اقتصرْتُ على توقيف التصانيف؛ حتى لقيت
بها صدور الأمصار، وعلماء هذه الأعصار، فباحثُ وناقشت، وتناولت
وتداولت، وطالبت المتحفّظ بالأداء، والتميقظ بالإبداء؛ حتى لم أبق في قاذية
زناً إلا اقتدحته، ولا مُقَفِّلاً إلا افتتحته، فتحصل لي من ذلك أيضاً عيون
صائبة النواظر، وفنون قلما توجد في مخبّات الدفاتر.

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً، ولا أسأم بحثاً وتقييداً، إلى أن عثرتُ على

(١) طب: «وأوعيته»، وأوعى الشيء: حفظه؛ مثل وعى.

شرح الفَنَجْدِيَّيْنِ^(١) للمقامات - والفنجدية هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، من قرية فنجدية من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبنية المرغوبة ، والضالة التي كانت عني إلى هذا الألوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النَّظَرَ ثانياً ، وثمرت عن ساعد الجدة لا متكاسلا ولا وانياً ، وعابفت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت مجتانياً جانبياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها ، وآثاراً مرفوعة قيدها تليق بالباب الذي أوردت فيه ، وتورد مصححة إما لأنفاذه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردها - تخفيفاً عن يريد المتن وبيتغيه ؛ فتم لي بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعاني ، مطروق المعاني ، كالروض رككت ريمه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فانضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والمأخوذة من الصانيف المستحسنة - روضٌ كله زهر ، وسلكٌ كله دُرَر ، وأدبٌ إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى في ضمِّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف في المقامات يُعنى عن كلِّ شرح تقدم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجدية ؛ منسوب إلى فنجدية ، قال ياقوت : « فنجدية ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الهمزة وياء ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجدية . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو - ميمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي ، المتوفى سنة ٨٤٤ هـ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العمادى صفراء القعب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وعشرين سنة بدمشق ، وسمع من أبي الروث ومطبعة ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكعب وسمى ، وجمع فأوعى ، ووصف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن في قله بقعة ، وقال ابن التيجار : كان من الفضلاء في كل فن ، في الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، قَمَّ من ذلك مجموعٌ جامع ، وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحَّها وأوضحَّها ، وأسسها قياد لفظ وأسمَّحها ؛ وأولاها بالصواب في مِثَال الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكَل منها إلى قائمه من جهابذة العلماء ، وجعلت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدلُّ على الإلقاء والإصفاء . وهذا النصُّ وإن سبقني إليه مَنْ تقدَّمني من الشارحين قِلي ، فلي فيه مِزِيَّةٌ إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في التفامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ، ومَنْ عَقَدَ صلاحها ، أو تولَّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا ينبغي مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبتُ شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين التائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدَّور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإثماً يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيتُ أيضاً ذكر مَنْ وقع فيه من الرجال والنساء أتمَّ استيفاء ، وعرفتُ المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيَّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وحِرَقهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التَّهْم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حقَّ إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حقَّ اعتماده ، وهو مهمٌّ في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت وبعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أرَ مَنْ اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد التنجديهي في بعض المواضع ، فإنه أَلَحَّ وألَمَّ ، وأورد اليسير فاشفى ولا أقنع :

(١) : « فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً » .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف « صوابه من ١ » .

أحدهما: تبين مأخذ الحريرى في الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ في آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائعة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثانى : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالجنيس والتتميم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتضائه ، والإكثار من الشعر في مظانته من الجدة والمزل في المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد في حسنه وبيانه ، والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله ، فأثبتت المواضع بما يزيد بها أثراً في القلوب ، وأردفت اللبّيات بما يُعينها في إجلاء الكروب ، وسلكت هذه السالك في سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره المزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ، من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسن وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلا نأبأ محمد بدأ بأمر فتم ، وخصّ نوعاً فعم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدياء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب في الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى في الجدة والدعوى أو فرّ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنحديهي وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ؛ ذكره الفاضل في الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنعا لأهل الغريب ، وقد قل ألفاظها من نسخة سقيمة فصعف وشرح التصعيف ؛ وسمت أنه كان يتنذر من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثه الجيلة وبعد الفار . وذكر صاحب كشف الظنون هذا الصرح وسماه : « التقيب على ما في المقامات من الغريب » .

قد جردوا من شروحه مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ، غفوت حُفُوم في مختصرٍ أوردتها فيه على السكال ، ووفّيتها حقها من رفع الفلط وكشف الإشكال ، ولم أخلّ في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مغنيا في اللغات الغريبة عن كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ، فذلك القرع شُوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، ويسعد من شرفت كتابي بخدمته ، وبنيت تألّفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لألف بيابه الأعلى ، وأتزين بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ الممدود على المسلمين والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق للعارف ، ومفجر بحور المّنّ والعوارف ، الحجير بفضلّه وعدله من المفاقر الفاذحة والمخاوف ، سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين ووليّ عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم وحزبهم ، وجمع القلوب على الاقياد لهم ، والوجوه على التوجه قبّاهم .

وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية للتمسك في فنه ، والجامع لما افرق في سواه ، وللبرز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله . ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا بركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه الكريم باسم وليّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالمد لله على التوفيق لخدمتهم ، والموافقة على شكر نعمتهم ، والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم . وقد بذلت في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندي ، ولم أعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراتب ؛ فاقول بقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي
له والتكليف ، وجلوته كالحسناء ألفت في للنصّة التّصنيف ، كثرت خطابه
إليّ من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتّى
يقترّف بلمّ اليمين العليا ، ويتخصّص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابهِ الأسمى
يُلْتَقَط درّه المنفّوم ، وبيركاته يسطع مسكه الصّيق^(١) المحتوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبمنجّله المتقلّد منه
صفة وعهداً ، في شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ،
ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلّم
أفضل التسليم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصَّكْدُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ
التَّيْيَانِ ، كَمَا نَعْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْبَطَاءِ .

اللهم إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره ببناء الباري
سبحانه ، والترم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في
أوله ، لأنه لا يلى حرف النداء لأم التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون
اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلي ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصلي ،
وفي غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله
كذلك ، وهما جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة إشباع التنكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ،
وتشابهتا في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يحلّ الاسم دون صاحبه ، ترك
استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام
في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصلي خفيت زيادتها ، فلما زادوا
الميم في آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنت « يا » من أوله
إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع
« يا » محلّ الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متمتعاً من غيره .

ونحمدك ، معناه شئى عليك بآتم وجوه التناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بما فيهم من صفات جليلة . والشكر ذكره بحاله من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مائتا كل من العاف . ويقال : أشكر من برؤفة^(٢) ، وهي شجرة معروفة تنصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أى بينت لك فيه كل ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعد ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والمعنى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذي^(٤) . وقال : « المعنى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » . ألهمت : تبهت عليه وفهمته . وأسيفت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والفضاء ، أراد به ستر الله على عبده .

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللَّسَنِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ
مَرَّةِ اللَّكْنِ ، وَفُضُوحِ الْحَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِإِطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) البيان ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل تغبت بالسحاب إذا نفا » . فيها يقال : .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) تله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذي وأحد والهاكم .

التأديح، وإغضاه التنازع؛ كما نستكفي بك الاتصاف لإزراء
التأديح، وهتك الفاضح.

• • •

نموذ، أى نستجير . شرّة: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام.
فضول: زوائد. الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة. معرّة: شدة وصعوبة، والمعرّة:
الغيب والمار . وقيل: هى كل ما يؤذك، وفلان يعرّقه، أى يدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به؛ وأصله من القرّة وهى الفعلة القبيحة، أو من القرّ وهو
الجرب . واللكن: احتباس اللسان عند الكلام. فضوح: شهرة وفضيحة. الحصر:
العنى، وحصر حصراً إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره. واستعاذ من شرّة اللسن
لأنه من اتقذر على الكلام أداه إلى الطاوله فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشرّة الفلق والانتشار، ومنه الشر؛ وقد شرّ
يُشرّ، ومنه شرّ النار. ثم استعاذ من ضدها وهى المعرّة، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه، ويقصر عن مراده من البيان. ثم قرن بها الحصر لأن من
يمتر به يتوالى عليه الوهل والجلجل؛ فلا يستطيع الكلام، فيفتضح ويشهر عيبه.
وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدر به كتابا
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١)، قال: اللهم إنا نموذك من فتنة القول،
كما نموذك من فتنة العمل، ونموذك من التكلف لما لا نحن، كما نموذك
من العجب بما نحن، ونموذك من السلاطة والهذر^(٢)، كما نموذك من العنى
والحصر؛ وقد يما توعّذوا بالله من شرهما، ورغبوا إليه فى السلامة منهما؛ وقد قال
النير بن تولب:

(١) البيان والعيّن ١: ٣، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة: حدة اللسان والمصّب: والمفر: كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا
وقال محمد بن علقمة^(١) :

لَقَدْ وَارَى الْقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ كَثِيرٍ تَحْسُلُ وَقَلِيلٍ عَاطِبٍ
صُمُوتَانِي فِي الْحَافِلِ غَيْرَ عِيٍّ جَدِيرَ أَحِينٍ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين
بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلْوَكُمْ بِالسَّنَةِ حِدَادٍ﴾^(٢) ، وفي الضد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مِّنْ يُنْشَأُ فِي
الْحَلِيقَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) ؛ فاحتذى الحريري هذا الخنوع ، فحامت تشبيهاته
أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ بما استعاذ
منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرّة بجمرة واللّسن باللسن ، والمهذّر
بالحصر ؛ فإذا انتهت مواقفها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر .
وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر ألقاظا يعتمد
التوافق بين بعضها وبعض في المخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف
بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِي وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْمِشْرِ غَادِرٌ^(٤) !
فَجعل يلزاه « ناصح » ، « وفي » ، « غاشيا : غادرا » . ومثله :
فَتَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَاءِ^(٥)

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن
تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النصة بالنار ، قال تعالى في الاختبار :
﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٦) ، أي اختبرناك . والفتن : النصة الحارقة ، والفتن أيضا : الحجارة
الحارقة ، وهي الحجارة تُدَلَّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « محرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير العبير ١٨١ — قال : وأحسبه لكثير . وانظر العدد ٢ : ١٤ .

(٥) لقائفة الجعدي ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإنسان بحضرة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

إغضاء : تجاوز ومسامحة ، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتصرُّ نظرك كأنك لم تره . والإغضاء : الإغماض وأغضيت عنه وأغضت ، إذا تغافل عنه . الماسح : اللواقي لفرضك ، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب : الظهور والاعتراض أمام الشيء . إزراء : تقصير وتقبيص . القادح : العائب ، وقدحت الدود في الأسنان والشجر : أكلتها ، فكان فمل هذا العائب في أعراض الناس فمل الدود في الشجر . والقادح أيضا : الذي يضرب بالزند بالحجر ليورى . هتك : شق ، وهتك الستر : خرقتة . الفاضح : الذي يشهر عيوبك ، وفضحت الشيء : كشفته .

وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوْقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوْقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ تَقَلُّ الْخَطَوَاتِ إِلَى خِطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَؤْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيِّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزُّنْجِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً تُذَرِّكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

نستغفرك : نسألك المغفرة ، وهي من غفرتُ الشيء سترته . الشبهات : جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره . والخطوات : جمع خطوة ؛ وهي ما بين القدمين . الخطط : جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يحمله حذاءً للشيء يحوزه ويعتمده . والخطبة ، بالفم : المنزلة والمزية . والخطيئات : الذنوب ، وهي من الخطأ ، وجعل ماساقه

في اللغات كأنه شهوة اشتبهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يحلّ التبايع فيها فطلعه فيها خاسر الصنعة ، فلماذا استغفر الله منها. الرشد : الهداية يرشده الله يرشدا وأرشده هداه . ورشدهو رُشدًا ورشادا : اهتدى . متحليًا : متصفا ومتزينا . مؤيدا : مُعانا . وأصابني كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُحَاءُ حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أى حيث أراد ، قال الفراء : اختلفت أنا وعيسى النخوى في الآية قلت : ما أحد أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، قلت لصاحبي : كَيْفَتَ السُّؤال^(٢) . ذائدة : دافعة . الزيف : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجد ، وعزم على الشيء : جدد فيه . قاهرة : غالبية . وهوى النفس : ما تحبّه وتميل إليه . بصيرة : يقيا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عرفان القدر ، أى معرفة أقدارنا .

وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَمُضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَتَمُصِّمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرَّوَايَةِ ، وَتَصْرِفُنَا عَنِ السَّفَاهَةِ فِي الْفُكَاكَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الْأَلْسِنَةِ ، وَنُكْفَى غَوَائِلَ الزُّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْتَمَةٍ ، وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُزْهِقَ بَيْتِمَةَ وَلَا مَعْتَبَةَ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الجري في الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها لبسلاء عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ قلنا : هذه ملقنا ؟ ورجا . »

الدَّرَاية: مصدر دَرَيْتُ الشيءَ دَرَايَةً وَدَرِيًّا، علمته . تَدْرُدُنَا نَوْرِيًّا، وعَصَدَه : أعانه وكان له عَصْدًا . الإِبَانَةُ : مصدر أَبْنَت الشيءَ ، أى بَيَّنَّته . تَعَصَّمْنَا مِنَ الْغَوَايَةِ ، أى تَمَنَعْنَا مِنَ الضَّلَالَةِ والنَّسَادِ ، وَالْفَوَايَةِ : مصدر غَوَى غَيًّا وَغَوَايَةً وَغَوَى أيضًا غَوَايَةً ، وهما ضِدٌّ رَشَدٌ رُشْدًا . الرواية : نقل الحديث من صاحبه إلى طالبه . تصرفنا: تَزَلَّينا . السَّفَاهَةُ : الجهْلُ ، وَالْفَسَاكَةُ : الْمُرَاحُ وَمَا تَسْتَرْجِحُ بِهِ النَّفُوسُ وَهِيَ فِي الْكَلَامِ كَالْفَاكَةِ فِي الطَّعَامِ . حَصَائِدُ الْأَلْسِنَةِ : شَرٌّ كَلَامِهَا وَقَطْعُهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَأَرَادَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مَعَاذِنِ جِبِلِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَنَتَوَاضَعُ بِمَا نَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : « تَكَلَّمْتُكَ أَمَلْتُكَ يَا مَعَاذُ ! هَلْ يَسْكُبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى رءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ! » فَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يَوْمَنَهُ عَادِيَةُ الْأَلْسِنَةِ . وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ : جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحَزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ فَهِيَ فَعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، وَالْحَصِيدُ : الشَّيْءُ الْمَحْصُودُ .

نَكْفَى : نَمْنَعُ . غَوَائِلُ : قَوَائِلُ وَمَهْلِكَاتُ ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ ؛ وَغَالَتِ النِّيَّةُ أَهْلَكَتِهَا . الزَّخْرَفَةُ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزَّخْرِفِ وَهُوَ الذَّهَبُ . تَرَدُّ : تَقْصِدُ . مُورِدٌ مَائِمَةٌ : مُوَضِعُ إِيْمٍ ، وَانْمُورِدُ أَصْلُهُ انْمُوضِعَ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ . مُنْدَمَةٌ : نَدَمٌ . نَرَهَقُ : تُتَبِّمُ وَنَعَابٌ : وَالزَّهَقُ : الْعَيْبُ ، وَتَبَعَةٌ : خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرَرُهَا بَعْدَ انْمُوتَ . مَعْتَبَةٌ : سَخَطٌ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَابِ ، وَهُوَ تَقْبِيحُ التَّوَلُّوْ عَلَى جِهَةِ الْإِشْفَاقِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَدَدْتُهُ إِلَى الدَّبَاغِ لِيَصْلَحَ ، وَمِنْهُ : إِنَّمَا يَمْنَابُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ^(١) . وَيُقَالُ : مَعْتَبَ عَلَىَّ فِي كَذَا عَتَبًا فَأَعْتَبْتُهُ ، أَيْ رَجَعْتُ إِلَى مَا يَرِيدُ وَأَرْضِيْتُهُ . وَبَاءُ « تَبَعَةٌ » وَتَاءُ « مَعْتَبَةٌ » يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ . نَلْجَأُ : نَخْوَجُ . مَعْتَرَةٌ : اعْتِذَارٌ . بَادِرَةٌ : سَقَطَةٌ وَزَلَّةٌ ، وَقَدْ بَدَرَتِ الْكَلِمَةُ وَالْفَعْلَةُ :

(١) الْمِيْثَاقُ ١ : ٤٠ ، قَالَ : « وَالْمَائِمَةُ : الْمَآوِدَةُ ، وَبَشَرَةُ الْأَدِيمِ : ظَاهِرُهُ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ ، أَيْ أَنْ مَا يَمَادُ إِلَى الدَّبَاغِ مِنَ الْأَدِيمِ ، مَا سَلَتْ بِشَرَّتُهُ » .

خرجت من غير أن يدبر موقعا ، وفلان يُخشى بواحد ، أى فلتاته .

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُتَنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا
تُضْجِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْمَعْنَا مُضْمَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ
مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَحَفْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمُسْكَنَةِ ،
وَاسْتَبْرَأْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ،
وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ
الْمُشْفِعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ
فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ
مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِعَجَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

المتنية : ما يُبتمنى . والبغية : ما يطلب . أنلنا : أعطنا . تُضجينا : تكسفنا .
ظلك السابغ : سترك المديد ، وأصل الظلّ السر ، والموضع الذي لا تبلغه الشمس ،
وفي الحديث « ضحا ظله » ، أى عدم فأنكشف موضعه للشمس . مضمة :
لقمة ، وكل ما يعض لقمة ، والماضغ هنا : العائب الآكل أعراض الناس ،
وجعل العرض حين يعيبه مضمة له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لِمَا عُرِجَ

بى سردتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون فى أعراضهم » . السألة : الحاجة والفقر . بخمنا : أقررنا ، ونمخ له بمخه أقربه ، ونمخ نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَلَمَّا كَانَ بَاسِعٌ نَفْسَهُ ﴾^(١) فالتمدية بالباء غير التمدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والنلة . استنزلنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطّف . والجَمّ : الكثير . فضلك : إحسانك . عمّ : شمل . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجا . يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوسّل : التقرب . البشر : الخلق ، وهوى الأصل جمع بشرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسُمّوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفّع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثى ، أترونها للمؤمنين المُتقين ! لا ولكنها للذين للتائبين الخطائين »^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليّين : أعلى الجنّة مكانه جمع عليّة . المبين : البين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . ثمّ : معناه هناك ، قال الزجاجي : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأنهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخرها فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، وليس رجوعه عن القول

(١) الكهف ٦ .

(٢) غله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

المعيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن الثابت عند ابن جهور ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذى قوة ؛ لأنه قلع بأحد جناحيه أربع مدائن قوم لوط ؛ وهى سدوم ودامورا وصابورا وعمورا ؛ فى كل مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى المضر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر الزيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يثول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديهم هديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم قد آذانى ، ومن آذانى قد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

وَعَبْدٌ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَعْضُ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّتِي رَكَدَتْ فِي هَذَا الْقَصْرِ رِيحُهُ ، وَخَبَتْ مَصَائِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمُتَقَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيِّ نَشَاتَهَا ، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكُلَاهُمَا تَجْهُولٌ لَا يُعْرِفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَتَعَرَّفُ .

أندية : مجالس واحدها نديّة ، والندي والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من النَّدَى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيُعطون .
 وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا .
 وقيل : هو من النَّدَى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق . والأدب : معرفة
 الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متقناً مشاركاً . ركبت : سكنت ،
 والمقامات : المجالس ، واحداها مقامة ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة
 ومجلساً ، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه
 تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض
 على فعل الخير .

[بديع الزمان الهمذاني]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيمة ، قال : « بديع الزمان هو أبو الفضل
 أحمد بن الحسين الهمذاني ، مفخر همدان ، وناصرة الفلك وبكر عطار ، وفريد
 الدهر ، وغرّة العصر ؛ وهن لم يُلف نظيره في ذكاء التريخ وسرعة الخاطر
 وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قربنه في ظرف النثر ومأجحه
 وغرر النظم ونسكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء
 بثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
 أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
 كلها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرف حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق
 من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
 ويسردها سرداً . وكان يُقترَح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
 وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
 الكتاب المقترَح عليه فييتدى بأخر سطره ، ثم هلمَّ جراً إلى الأول ، ويخرجه
 كأنه حسن شيء وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
 إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعلى التوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . وُقترَح عليه كلَّ عروض من النظم والنثر فيرتجاه في أسرع من العارف ، على ريق لا يباهه ، ونَفَسٍ لا يقطعاه ؛ وكلامه كله عذو الساعرة وفيض اليد ومسارقة القلم وبجارية الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الطَّرْف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، ممرِّ العداوة . فارقَ همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقرباً الشيبية ، غَضَّ الحداثة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستفدَّ علمه ^(١) . وورد حضرة الصاحب أبي القاسم بن عباد ، فتزوَّد من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ^(٢) ، فنشر بها بَرَّه ، وأظهر طرزَه ، وأملَى أربعاً مائة مقامة نحالها أبا الفتح الإسكندريَّ في الكُدَيْة وغيرها ، وضمَّها ما تشمَّى الأنفس ؛ من لفظٍ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسعج رشيق الطالع والمقطع كسجع الحمام . وَجِدَّ يروق فيحلك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... ^(٣) ثم ألقى عصاه بهراً ، فعاش فيها عيشة راضية وحين باغ أشده ، وأرى على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ تقامت نوادب الأدب ، واثلم حدَّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد مَنْ بَقِيَ على الأيام نفاثته ونثره ؛ والله عزَّ وجلَّ يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه ويريحانه ^(٤) .

(١) القيمة : « واستفدَّ علمه ، واستترف بحره » .

(٢) في ط : « وول » ، تحريف ، والمبارة في القيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخل الإسماعيلية والتصبي في أكتافهم ، والاقبال من أنوارهم ، واختص بالاعتقاد أبي سعد محمد بن منصور أيداه الله تعالى ، وتفتت بشائه لديه ، وتوفرطه من عادته المروفة في إسدائه المروءة ، والإقبال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته فوافاها في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) قيمة المهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن القى سبب البديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من يتابع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بالفساط بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعمائة مقامة ، لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد (١) . انتهى كلامه .

والذى جاء بها ، فيه قلة الإمتاع السامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريرى أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنِّ فَتَشْتُ فِي لَقَبِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريرى والبديع ، قال : لم يبلغ الحريرى أن يسمى «بديع يوم» ؛ فكيف يقارن بديع زمان !

وجرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أسيادنا ، وكان حافظاً أديباً ، قال : مقامات البديع يحكى أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة ارتجالاً في القرض الذى اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع . قوله علامة : أى كثير العلم ، وهى بذية للبيان .

[ذكر همدان]

وهمدان ، بفتح الليم وقط الدال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبى : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد أباز مرحلتين -

ومن أسد آباد إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد - وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني حمدان :

إذا همدانُ اعترَّها البرْدُ واعتَصَى برغك أيلولُ وأنت مقِيمُ
فميناكُ عشاوانٍ وأنفكُ سائلُ ووجهك مسودَّ البياض بهيمُ
بلادُ - إذا ما الصيفُ أقبل - جنةٌ ولكنها عند الشتاء جحيمُ

ولبعضهم :

همْدانُ متلفَةُ النفوسِ بِبرْدِها والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونُ^(١)
غلبَ الشتاءُ مصيَّتها وخرِيفُها فكأنَّما تموزُها كأَنونُ
وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الهمزة وقطع الدال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأيت في شرحه : همدان بسكون الهمزة ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنَّةٍ لقلت لِهمدان ادخلوا بسلام^(٢)
والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزاً » أي نسب يقال : عزيته عزياً ، وعزوته عزواً : نسبه ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البدعيَّة بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعها . روايتها : إسناد أحاديثها . والنكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشار مَنْ إشارَتَهُ حُكْمُ ، وطاعَتَهُ غُصْمُ ، إلى أَن أنشئ
مَقامَكَ أَتْلُو فيها تِلْوُ التَّيْدِيعِ ، وإنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ شَأْرُ
الصُّلَيْعِ ، فَذَا كَرَّتْهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق في السبعة ١ : ٣٤

يَبْتَأُ أَوْ يَبْتَيْنُ ، وَاسْتَقْلَتْ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْقَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسَبِّرُ غَوْرُ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَخَاطِبٍ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ
وَخَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِيمَ مِكَتَارٍ ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .

• • •

[السبب في إنشاء الحريرى للمقامات]

غَنِمَ : غنيمه . وحكى الفجديهي في شرحه للمقامات : أن الذى أشار عليه بها
هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه
بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة ووالها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر
عبد الله بن محمد بن أحمد بن الثَّقُورِ البَزَّارِ ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس
أبا محمد الحريرى يقول : أبوزيد السَّروجى كان شحاذاً بليغاً ، ومكدياً
فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بنى حَرَامَ يتكلم ، ويسأل
شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء ، فأعجبهم بفصاحته ،
وحسن صناعته وملاحته ، وذكر أسرار الروم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية
وهي الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف
فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من
لطافة عبارته في تحصيل مُرَادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إirاده ؛ فحكى كل
واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه
سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير في كل مسجد زينة
وشكله ، ويظهر في فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه في ميدانه ، واقتنانه في
إحسانه ؛ قال الحريرى ؛ فابتدأت في إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حَدْوَهُ ،
فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،

وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .

وهذا الذى ذكر الفنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطلبة .
بسند متصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريري - وند مع أهل البصرة بفداد .
فوجدوا بواسط أبا زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم
لا تكادون ولا تتحدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعتذر
على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا بفداد
أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريري بجمع انتقامات :

لكن الذى ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهري
أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريري - حدثته أن قصة المقامة
الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بنى حرام ، فأظهر التوبة من
ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر
انته ، فنظام الحريري القصص وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب .
وكان ابن جهور يقول : إن الذى أشار إليه بها في قوله : « فأشار من إشارته
حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحفظ
من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بفداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل
حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد
من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف
المقامات كلها على الركاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أسره بصنمها ، أخرج
كالحافظ على المال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشي في ضفة دجلة والفرات ،
ويصقل خاطره بنظر الخصرة والمياه ، فلم ينقص فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قرية من حران واسم أبي
زيد السروجي المطهر بن سلا - القوي ، وأحد من اشتغل بالتحقيق في البصرة ، ذكره القطبي
في إنباء الرواة ٣ : ٢٧٦ .

ماتنا مقامة ، فخلص منها خمسين وأتلف البواقى ، وصدر الكتاب ، ورفعه إلى السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ، قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه الناس ، مالم يضع كتاباً أو يقلّ شعراً .

وقال العتاتى : مَنْ صنع كتاباً قد استشرف للمدح والتم ، فإن أحسن قد استهدف للحدود والغيبة ، وإن أساء قد تعرض للشتم بكل لسان .

غيره : من صنف قد جعل عقله على طبق يرضه على الناس . وقال حسان :
وإنما الشعرُ عقلُ المرءِ يعرضُهُ على البريةِ إن كَيْسًا وإنْ حُمْقًا^(١)
وإنَّ أحسنَ بيتٍ أتَ قائلُهُ بيتٌ يقالُ إذا أنشدته صدقًا

واستقلت : طالبت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار : تحير : يفرط : يسبق . الوهم : النلط . يُسبر غور العقل ، يختبر قدره ومتهابه ، وأصله في الجراحات يُختبر غورها ، أى بعد قمرها . والمسبار : الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة ، وسبرها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للقصاص أو للدواء ، ويقال لحديدته : السِّبَار والمُسْبَار والمُسْبَر والمكحل والميل والمِرود والجواف . تبين : تقبين . يضطر : يُلجأ . حاطب ليل : جامع الحطب بالظلام ، وهذا مثل لأكرمهم صنئى حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد فى الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسمته العقرب فى احتطابه ليلا ، فكذلك المهذار ربما أصابه فى إكثاره بعض ما يكره ، قال الترمذى :

كحطابٍ ليلاً أسودَ هضبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبُهُ^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يحطاب ، فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير ، القوى والضعيف ، والجيد الردى ، فكذلك للكفار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فضل الحال ٢٥ ، ونظ التل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يَأْتِي بِالضَمِيفِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْتَوَى بِالْجِيدِ وَالرَدَى، فَنَشَبَهُ لَذَلِكَ بِالْحَاطِبِ، وَأَرَادَ:
بـ «جَالِبَ رَجُلٍ وَخِيلٍ» مَا أَرَادَ بِجَالِبِ اللَّيْلِ، لِأَنَّ الرَّاجِلَ ضَعِيفٌ وَالْفَارَسَ
قَوِيٌّ. وَالكَثَارُ: الْكَثِيرُ الْكَلَامَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَثُرَ
كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ
النَّارُ أَوْلَى بِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» (١).
أَقِيلُ: أَقِيمُ وَرَفَعُ. عِثَارُ: انْكَسَابُ وَسُقُوطُ، وَإِقَالَةُ الْعَاثِرِ أَنْ تَرْفَعَهُ مِنْ
سَقَطَتِهِ، وَمِنْهُ الْإِقَالَةُ فِي الْبَيْعِ وَنَحْوِهِ.

• • •

فَلَمَّا لَمْ يُسَمِّفْ بِالْإِقَالَةِ، وَلَا أَعْقَى مِنَ الثَّقَالَةِ، لَيْثَتْ
دَعْوَتُهُ تَلْبِيَةَ الْمُطِيعِ، وَبَذَلَتْ فِي مُطْلَوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ،
وَأَنْشَأَتْ عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ، وَفُطْنَةٍ خَامِدَةٍ،
وَرَوِيَةٍ نَاصِيَةٍ، وَهُمُومٍ نَاصِيَةٍ - تَحْسِينِ مَقَامَةٍ، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ
وَهَزْلِهِ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ، وَمُلَحِ الْأَدَبِ
وَنَوَادِرِهِ، إِلَى مَا وَشَّحَتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، وَمَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ،
وَرَصَصَتُهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَرِيئَةِ، وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالْأَحَاجِي
النَّعْوِيَّةِ، وَالْفَتَاوَى اللَّغْوِيَّةِ، وَالرَّسَائِلِ الْمُبْتَكِرَةِ، وَالْمُطَلَبِ
الْمُحَبَّرَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَّةِ، وَالْأَصَاحِيكِ الْمُلْمِيَّةِ، بِمَا أُمْنِيتُ
جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السُّرُوجِيِّ، وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ مَهْمَرٍ الْبَصْرِيِّ.

• • •

يُسَمِّفُ: يُوَاتِي وَيُنِيلُ الرِّغْبَةَ، وَأَسْفَتُ الرَّجُلَ بِمُطْلَبِهِ: سَاعَدْتُهُ عَلَيْهِ.

والإسعاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعنى من المقالة ، أى لم يُعنى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت : الرجل وعانيته : أزلت عنه ما يشق عليه ، وأصله الترك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حالها ، ومنه : عفا الله عنك . نيت : أجبت وقلت : لبيك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعل . أعانيه : أعالجه ، وأصلها من القناء وهو التعب . قريحة : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ، ومنه القريحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبه الذهن بذلك لما بتولده من المعاني . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكي . خامدة : ساكنة ، وخدت النار : سكن لهبها . روية تدبر ، وروأت الأمر ، تدبرت كيف تصنع ، وأصل الروية الحمز واستعملت بغير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض . ناصبة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نصب ، ولو جاء على أنفاس لقال : منصّب ، لأن فعله أنصبه المهم ، وقال بشر :

تَعْنَاكَ هُمٌ مِنْ أُمِيمةٍ مُنْصِبٌ وجاء من الأخبار ما لا يكذب^(١)

و نصب نصباً : أعيا من التعب . جزلة : غليظة ومتينة . غرر : جمع غرة وهي خيار الشيء ومنه غرة الفرس وهو البياض في جبهته فجعلها للبيان مجازاً . دُرره : جمع دُرّة ، وهي الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . ملح : جمع ملحّة ، وهي مليح الكلام . نوادره : غرائب . وشعثها : زينتها . الكنايات : ضرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه ، إما لإيهام على جليصك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإيهام أن تذكر لفظاً يفهم من ظاهره غير مرادك ، مثل قوله تعالى حاكياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ۖ ﴾ ... قال يا قوم لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ^(٢) ، فليس في اللفظ زيادة على في

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ٧ - ١٢ ، ورواية الطبر الثاني فيه :

* كَذَى الشَّوْقِ كَمَا يَسْلَهُ وَسَيْدُهُ *

(٢) سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنياته تعظيماً له . والتحقير : أن يكون الشيء خسيئاً فتأفف من ذكره فذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانُوا يَا كَلَانَ الطَّعَامِ ﴾^(١) فكفى عن الحديث بالأكل لما كان يتولد عنه . رصعته : نظمته ، وألصقت بعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر يُنظم فيه . اللطائف : الرقائق والكلمة اللطيفة ، أى الرقيقة المعنى التى تحلّى فى القلب فتلطفه . الأحاجى : ضرب من الألتاز واحداً أحجية ، وهى قولك لصاحبك : أخرج مافى يدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك مافى يدي ؟ وحُجَيَّاك مافى يدي ؟ وهى من الحِجَى ، وهو العقل .

التناوؤ اللغوية ، أَرادَها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين ، والنتيا : إظهار الشيء المسئول عنه عند السؤال . المبتكرة : التى لم يُسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بُكْرَةً ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : المزينة ، وحبرت الشيء تخبيراً زينته ، وأصلها من الخبر ، وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزين . أملت : أقيمت ، وأملت على الصبي : أقيمت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِمَامِ فِيهِ ، إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِيهِ ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ . وَلَمْ أَوْدِعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَّا بَيِّنَتَيْنِ فَذَيْنِ ، أَسَّسْتُ عَلَيْهِمَا بَنِيَّةَ الْمَقَامَةِ الْحُلُوانِيَّةِ وَآخَرِينَ تَوَآمَيْنِ ضَمَّتَهُمَا الْمَقَامَةُ الْكَرْجِيَّةُ^(٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عَذْرِهِ ، وَمُقْتَضِبِ حُلُوهِ وَمُرِّهِ .

(١) سورة الثالثة ٧٥ .

(٢) ١ ، ط : «خواتم المقامة الكرجية» ، وما أتت من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ التَّيْدِيْعَ رَحِمَهُ اللهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ
آيَاتٍ ، وَأَنَّ التَّمَصُّدِيَّ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوْتِيَ بِلَاغَةَ
قُدَامَةٍ ، لَا يَمْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِي ذَلِكَ الْمُسْتَرِي .
إِلَّا بَدَلَاتِهِ .

• • •

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترمي أُلْحَلَةً ، وهي .
حُلُو الرعى فتَمَلَّه فتنتقل إلى الحِمَضِ تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء .
الحلاوة ، فتشط بذلك على الرعى فيقال : أحمض الرجل إحماضا ، والعرب تقول ::
أُلْحَلَةُ خَبَزَ الإبل ، والحمض فأكثتها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فاقته ،
إلى قضية راقته ، ومن موعظة تبيكي إلى ملهية تُسَلِّي ، وفي ذلك تنشيط وترغيب
في قراءتها ، ونَبِيٌّ لِلْمَلَلِ وَالْكسل عن قارئها . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص .
سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمنه . الأجنبيَّة : التي ليست من شعره ،
والأجنبي : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فَذَيْن : منفردين .
هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شِعْرِ واحد . أُسْتُت ::
أصَلَّتْ ، والأساس أصل الحائط . الحُلُوَانِيَّةُ والتَكَرُّجِيَّةُ : منسوبتان إلى حُلُوَانِ
والكَرَّجِ ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذْرَه ، أى
أول صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذْرَها ، أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء .
فانقضها وأزال عُذْرَها ، أى ما بها من صموبة . مقتضب . مقطوع . حُلُوِهَ ومُرُّه ::
جيده وورثته .

غايات : جمع غاية وهي طَلَقٌ ^(١) الخليل ، والسَّابِقُ منها الذي يحى ، أبداً سابقاً .

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

التصدي : للتمرض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قدامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متصفّته ، وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه ، وتحديق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أكفائه ، وتحديق في علوم التعليم أضرّم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار المثل ببلاغته ، واتفق للمتقدّم والمتأخّر على فضل براعته .
الفُصَالَةُ : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فَضَلَ عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده . يَسْرِي ذلك المسمى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسري ، يسير بالليل . دلّالته : تقدّمه وهدايته ، وتفتح دالها ونكسر ، والفتح أكثر .
والدليل بالقلاة : الذي يهdy القوم قصدم .

وَلَيْهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

فَلَوْ قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً

يَسْعُدِي شَقِيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ : « أبو الفرج » ، واسمه قدامة بن جعفر بن قلعة الكاتب . قال : « كان أحد البناء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم المنطق » - (٣ - شرح مقامات الحريري)

مبكاها : بكاءها . صَبَابَة : شوقاً هَيَّج : حَرَكَ ، والبيتان لمدى بن الرقاع ، وقبلهما :

ومما شجاني أنني كنت نائماً
أعلل من فرط الكرى بالنشيم^(١)
إلى أن دعت ورقاء في غصن أبكة
تردد مبكاها بحسن الترنم
فلو قبل مبكاها . . .

[عدى بن الرقاع]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتسب إلى معاوية بن الحارث ، وينسب إلى الرقاع وهو جدّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وكان من أوصاف الناس للبطيئة ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) في ترجمته . وقال نوح بن جرير لأبيه : مَنْ أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :
لولا الحياه وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أُم القاسم^(٤)
وكأنها بين النساء أعارها عينيهِ أحوُر من جادر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سِنَّة وليس بنائم



أقرّ الحريري هنا للبدیع بالفضل ، وجعله سبّاقاً للتأيات ، وما أحسن هذا الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البدیع ، ومن أدلّ دليل على ذلك أنه منذ ظهرت مقامات الحريري لم تستعمل مقامات البدیع ، ثم إنه طَبَّق استعمالها آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّ هنا شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البدیع فضله بالتقدم ؛ وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبدیع وحده ،

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن الشعر لنصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠

(٣) الأغاني : « الشعراء »

(٤) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أى اشتد وانقصر .

ثم لم ير لنفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظالمُ ما آوَى الضلعي » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جربُهُ إذا اجتهد دون مشي الصحيح ، وجعل البديعَ كالفرس العتيق الكامل القوة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطر صرح في الظاهر للسامع بأنّ البديع سَبَّاقُ غايات ، وصاحب آيات ، وأوْحَى لمن فطن ، أنه إنما فصله بتقدّم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إِنْ يَكُنْ الإسْكَندَرِيّ قَبْلِي فَالظَّلّ قد يبدو أمامَ الوَبْلِ
* والفضل للوابل لا للظّلّ *

ولو كان غيره من العلماء المنسويين إلى سوء الأدب، ورأى فضل مقاماته ، لذمّ البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذمّ عليه ؛ وكذا رأينا في الغالب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدري غيره ، أنه قلماً يكون إلا مغمّوتا ، فلما أظهر الحريري مدحَ البديع ، ووقاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرّق حتى لم يجد ذكر مشرقٍ وغرب حتى لم يجد ذكر مغربٍ^(١) فلا يذمّ كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إمّا جاهل ، أو حاسد .

[القديم والحديث في الأدب]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

قَلَّ فَوَادِكُ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبِّ إِلَّا الْحَبِيبُ الْأَوَّلُ^(٢)

(١) ط : « مغرب ... مشرق » ، والوجه ما أثبتته من أ ، ب .

(٢) ديوانه ٤٥٧ .

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهِ وَحَيْثُ أَبْدَأَ لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
وَقَالَ :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حَلَّةٍ لَا بُسْبَا ذُو سَلْبٍ فَاخِرٍ^(١)
يقول من ترفع أسماعه : مَا تَرَكَ الْأَوَّلَ لِلْآخِرِ
وَذَكَرَ ابْنَ شَرَفٍ عِلَّةَ ذَلِكَ قَالَ :

أُولِعَ النَّاسَ بِامْتِنَاحِ الْقَدِيمِ وَبِذَمِّ الْحَدِيثِ غَيْرِ الْقَدِيمِ
لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَيَّ وَمَالُوا إِلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ^(٢)
وَالْمُتَأَخِّرِينَ شَعَرَ كَثِيرٍ فِي تَفْضِيلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ ؛ مِنْ أَحْسَنِهِ
قَوْلُ الْعَرَبِيِّ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَأَتِ بِأَلَمٍ نُسْطَمُهُ الْأَوَائِلُ^(٣)
وَقَالَ ابْنُ عِمَارٍ :

أَنَا ابْنُ عِمَارٍ لَا أَخْفِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
إِنْ كَانَ آخِرُنِي دَهْرِي فَلَا عَجَبٌ فَوَائِدُ الْكُتُبِ يُسْتَلْحَقْنَ فِي الطُّرُقِ
وَالَّذِي ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ هُوَ الْحَقُّ ، قَالَ : وَلَيْسَ لِقَدَمِ الْعَهْدِ
يُفْضَلُ الْقَائِلُ ، وَلَا لِحِدَاثَةِ الْعَهْدِ يُهْضَمُ لِلصَّيْبِ ، وَلَكِنْ بَعْضِي كُلُّ مَا يَسْتَحِقُّ^(٤)

[الْقَوْلُ فِي الْحَمَامِ]

وَأَمَّا يَبْتَغِدِي فِي الْحَمَامِ ، فَالْحَمَامُ قَدْ كَثُرَ ذِكْرُ الْعَرَبِ لَهَا فِي شِعَارِهَا ، وَنَلَمَ
هَنَا بَفَصْلٍ مِنْهَا ؛ يَرَوِي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ اشْتَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْشَةَ فَقَالَ لَهُ : « اتَّخَذَ حَمَامَةٌ تَوْسَكَ وَتَصِيبَ مَنْ فَرَاخَهَا ، وَتَوَقَّظَكَ
لِلصَّلَاةِ بِتَفْرِيدِهَا » .

(١) ديوانه ١٤٣ .

(٢) ألف باء ١ : ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإنها تلهي الجن عن صيانكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يمجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يحب الحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسن النظر ، وكرم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثر لديك معونتها ؛ فهي للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لَذَّة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسَّراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتُغْنِيهِ عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكون إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأنثى مفرداً ، والأنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقفا وقفا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتفريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيحه ما يبعث التذكر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويحدد رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والنصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادي القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حواط النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون ويأنسون بشربهن ، وقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولم تادعت غوريةً إليك سَجَّعتْ فسجَّع دمي يستهل ويستشري^(٢)

(١) الحمام الصغير ١ : ٩ ، ولفظه : « اتخذوا هذه الحمام الغافسي » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٣١ ، عن الصريفي .

بذكَرَنِي شَجْوَى دَعَا حَمَامَةً وَبِيعَتْ لَوَاعِي الصَّبَابَةِ فِي صَدْرِي
بَكَتْ حَزَنًا رَزَا الْهَدِيلَ وَشَقَّنِي فَرَأَى حَبِيبَ ضَاقٍ عَنْ قَعْدِهِ صَبْرِي
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ قَالُ :

أَيْهَا الْبَلْبَلُ الْمَرْدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا عَنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
أَفْرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ ظَلَّتْ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَانًا !
هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمَرْدُ شَجْوًا رَبُّ صَوْتٍ يَهْجِجُ الْأَحْزَانَا
وَقَالَ آخَرُ :

أَحْنُ إِلَى حَوَائِظِ ذَاتِ عِرْقِي لِتَفْرِيدِ الْفَوَاحِشِ وَالْحَمَامِ^(١)
أَلَمْ يَهَا بِكَلِّ فَتَى كَرِيمٍ مِنْ الْفَتَيَانِ مَخْلُوعِ الزَّمَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا غَنَّتْ عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقٌ أَجْنَبْنَاهَا بِإِعْمَالِ الْمَدَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

سَيُغْنِيكَ عَنْ مَزَامِيرِ آلِ مَحْرَقٍ وَمَرْبَعِهِمْ تَفْرِيدُ تِلْكَ الْحَمَامِ
بَأَيْكَةِ أَطْيَارِ تَجَاوَبَتْ بِالضَحَى عَلَى بَاسِقَاتِ مَائِلَاتِ نَوَاعِمِ
وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

وَمِنْ بَسْتَانِ إِبْرَاهِيمَ غَنَّتْ حَامُّمٌ بَيْنَهَا قَنْنٌ رَطِيبٌ^(٢)
قَطَلْتُ لَهَا وَقَيْتُ سِهَامَ رَامٍ وَرَقَطُ الرِّيشِ مَطَاعِمَهَا الْحَبِيبُ
كَأَمْ هَتِجَتْ ذَا حَزْنٍ مُعَقَّى عَلَى أَشْجَانِهِ فَبَكَى الْغَرِيبُ
وَقَالَ نَصِيبُ :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَامَةً تَبْكِي عَلَى الْإِفِّ وَإِنِّي لَنَائِمٌ^(٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو المدينين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول في معجم البلدان ٢ : ١٧٠ ، وقال : « وَأَنْشَدَ الْأَيْبُورْدِيُّ لِبَعْضِهِمْ »
وبستان إبراهيم في بلاد أسد .

(٣) من أبيات أرملة في ديوان المجنون . وكلفا نسجها صاحب تار الأزمار ٧٠ .

كذبتُ وبيتُ الله لو كنتُ عاشقاً كما سبقتني بالبكاء الحامِئُ
وأنشد أبو العباس لمجد بن ثور :
وما هاجَ هذا الشوقَ إلاَّ حامةً دعت ساق حرةً ترحه وترنأ^(١)
مُجَلَّاةً طوقٍ لم يكن من تميمِ ولا ضربَ صَواعٍ بكفيه درهما
تَفَنَّتْ على غصنٍ عشاءٍ فلم تدعْ لناحيةً في نوحها متلوماً
إذا حَرَكَتهُ الريحُ أو مالَ ميلةً تَفَنَّتْ عليه مائلاً ومَقُوماً
عجبتُ لها أنِّي يكونَ غناؤها فصيحاً ولم تَفُتِرْ بمنطقها قَما
فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثليها ولا عَربياً شاقه صوتُ أعجمها
وقال حبيب :

لتضعضتُ عبراتُ عينيك أن دعتُ ورقاه حين تضعض الإظلام^(٢)
لا تشجيتُ لها فإن بكاءها ضحك وإن بكائك استغرامُ
هنَّ الحُلم ، فإن كسرت عيافةً من حائِينَ فإِنَّهنَّ حِمامُ
وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه قال :
حمدتُكَ ليلةً شَرُفتُ وطالتُ أقام سهادها ومضى كراها^(٣)
سمعتُ بها غناء كان أولى بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ عَنَّاها
ومسمةً يَحارُ السمُعُ فيها ولم تصممه لا يصمم صدأها

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ . قال : « أما قول حيد : دعت ساق حرة ؛ فإنا حكى
صوتها » . ولشرح الديوان : هو ذكر القاري . ويصده في الكامل :

إذا شئتُ غَنَّتْني بأجْزاعِ يَشْتِ أو النَّجَلِ من تَلائثٍ أو يَلْهَلْها
مطوقة حَظْبَها تَصْجَعُ كُلَّما دَنَا الصَّيْفُ وانْجَابَ الرِّيحُ فَأَنْجَبْنا

انجبال : ألقم . وانظر ديوان حيد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انصبرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرتُكَ لَيْلَةً حَفَّتْ وَطَلَبْتُ أقام سرورها ومضى كراها

ولم أنهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاءها
وظلّت كأننى أعمى معنى يحبّ النانيات ولا يراها
بمعنى هذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى! قلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا^(٢)

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ ، وَالْمُورِدِ
الَّذِي تَوْرَدْتُهُ ، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنَ
أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَمِيْعُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدّم
المورد^(٣) . وتوردته : اقتحمته . الباحث : المقتس ، والظلف : للبقروالنم كالحافر
للخيل والحمير . وهذا مثل للعرب : وذلك أن ماعزة كانت تقوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يحدوا شفرة ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : بحثت عن حنظلها بظلفها ، فارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْبِئَةٍ تَحْتَ التَّرى تستثيرُها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) توفى ، أى بلغ . (٣) صفحة ١٨ من هذا الجزء .

(٤) الفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قله :

وكان يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْنِي نَفْسَهُ مَنْ يُجِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

فلا تكُ مثل التي استخرجت بأخلافها مُدِيَّةً أو يَفِيهاً^(١)
 قَمامَ إليها بها ذابحٌ وَمَنْ يَدْعُ يوماً شعوباً يَجِيهاً^(٢)
 ولقد لُتِلَ عند أبي عبيد « كالمز تبحت عن اللديّة »^(٣) والجادع : القاطع
 الأنف . وللمارن : طَرَفَ الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا
 قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركه من الضرر ما أدركا^(٤)
 من الصَّرز حين جنباً على أنفسهما وانتفع بهما . ضلَّ سعيهم : خابت أعمالهم ،
 وأصل ضلَّ ، تحير فلم يدرك أين يتوجه ، وأصل السعي المشي بسرعة . سمع أعرابي
 رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، قال : أنا أعرفهم ، قيل له :
 ومن هم ؟ قال : الذين يرددون ويأكل غيرهم .

عَلَى أُنَى وَإِنْ أَعْمَصَ لِي الْفُطْنُ الْمُتَغَابِي ، وَنَضَحَ عَنِّي
 الْمُحِبُّ الْمُحَابِي ، لَا أَكَادُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،
 أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَنْدُدُ بَأَنَّهُ
 مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ تَقَدَّ الْأَشْيَاءُ بِعَيْنِ الْمُعْقُولِ . وَأَنْعَمَ النَّظَرُ فِي مَبَانِي
 الْأَصُولِ ، نَظَّمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَكِ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا
 مَسَلَكَ الْمَوْصُوفَاتِ ، عَنِ الْعَجَمَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

° ° °

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة قائل المخطوطات ١)

(٢) رواية الديوان : « ومن يدع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على اللبنة .

(٣) فصل النقال ٢٨٨ . (٤) كذا في ١ وفي ط : « أدركهما » .

أَمْحُض : سامح وسدّ عينيه عما لم يرض . والقطن : الذكي . المتغابي : المتعاهل
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :
ليس النقيّ بسيد في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي^(١)

ونَضَح بالماء : غسل . الحابى : الذى يفضّلنى على غيرى ، وحابى : اختصنى
بالعطية ، وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك ، وقد يكون فى معنى «حَبَاه» . الفُمر :
الجاهل ذى غر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛
يقول : إن سدّ عينيه عن عيبى فطن ذو عقل ، أو تغابى حين يبصر لى خطأ ، أو رأى
فى ذلك العيب محبب ، فجعل يفسله عني لمحبه لى كلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،
إمّا من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يُظهر لى عداوة وحسدًا ، فبرّد حسنى
قبيحًا ، وهو عارف بحسنى ؛ فيشيع فى الناس أن للقامات أكاذيب ، وهو
عارف بفضلها وما قصد بها .

[من أقوالهم فى الحقد مدحا وذمًا]

والفُمر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تمرّض من الفصحاء
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جرى به إلى الرشيد فى
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبيّته : بلفنى أنك حقود ، فقال عبد الملك :
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إنيهما لباقيان فى صدرى -
وفى رواية أخرى : إنيما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر -
فقال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتجّ للحقد بمثل ما احتجّ به عبد الملك ،
فتفتح الباب لابن الرومى ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :
لئن كنتُ فى حفلى لما أنا مودّعٌ من الخير والشر انتحيت على عرضي

لَمَّا عَيْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يُرْدِي عَلَى خَاقِي بَحْضٍ^(١)
 وَلَوْلَا الْحُقُودُ السَّكَنَاتُ لَمْ يَكُنْ
 لِيَقْضَ وَتَرَا آخَرَ الدَّهْرِ ذُو نَقْضٍ
 وَمَا لِحَقْدٍ إِلَّا تَوْهَمُ الشُّكْرِ فِي الْفَقْرِ
 وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضٍ
 فَحَيْثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ
 فَمَنْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَوْضِ
 ثُمَّ رَجِعْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيَّةِ ، فَانْتَحِلْ الْمَذْهَبَ الْأَعْلَى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ ، ضَارِبًا بَعْضَهُمْ
 بِالْبَلَاغَةِ فِي الْوُجْهِينِ :

يَا مَادِحَ الْحَقْدِ مَحْتَالًا لَهُ شُبُهَاءُ لَتَدَّ سَالِكٌ إِلَيْهِ مَسْلُوكًا وَعَيْنًا^(٢)
 يَادَا فَنَّ الْحَقْدِ فِي ضِغْفِيرِ جَوَانِحِهِ سَاءَ الدَّقِيقِينَ الَّذِي أَضْحَكَ لَهُ جَدَنًا
 الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ يَرَى الصَّدُورَ إِذَا مَا جَمَّرَهُ حُرْنًا
 فَاسْتَشْفِيَتْهُ بِصَفْحٍ أَوْ مَحَادَثَةٍ فَإِنَّمَا يُبْرَأُ الصَّدُورُ مَا نَفَسًا
 إِنَّ الْقَبِيحَ إِذَا أَصْلَحَتْ ظَاهِرُهُ يَعُودُ مَا لَمْ مِنْهُ مَرَّةً شِعْنًا
 كَمْ زَخَرَفَ الْقَوْلُ ذُو زُورٍ وَلَبَسَهُ عَلَى الْقَوْلِ وَلَكِنْ قَدْ لَبَسْنَا

قوله: « يضع مَنى » أى يخط من منزلاتى . الوضع : الكتاب . يندد : يشهر .
 العيب ، وندد به ، إذا أسمعته المكروه . قد الأشياء : فتن وبحث عاينها . العقول =
 العقل . أنعم : بالغ . وأصل النظام جعل حبات الجوهر فى خيطها وضمها فيه لغيرها ؛
 ثم سُمِّيَ يَتُّ الشَّعْرَ نظامًا ، لأنَّ الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحَبِّ الجَوْهَرِ .

(١) الديوان : لا بما ليس عانى وكَمَ حَاهِلُ يَزْرِى .

(٢) ديوانه الورقة ٤٥ ، مخطوطة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخطيط، والسلك : خط الجواهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد . لل موضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المجاوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجاوات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب مما لا حقيقة له فى الفاهر ، وقد صُمّن الحكم الشافية فى الباطن ، مثل كتاب كليله ودمنة وغيره مما أُلّف على ألسنة مالا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذباً فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله ، وأن يكتب تجارب الدنيا من حكايات السروحي ، فيكون متنبهاً لما يطرأ عليه من النوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة والخذلية ، إلى ما ينضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شئ عليها .

[مما روى من الحكم على ألسنة البهائم وغيرها]

ومما يحكى على ألسنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يناراع فى غنم إدا عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنقذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السَّبع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) » .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلَّمته فقالت : أنا لم أخق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إناى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (٢) .

السَّبع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتاتوا اليهود وحتى يمتحنى اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى • ورائى فاقله » (٣) .

قالوا: خرج أسد وذئب وعلاب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنباء، فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا هذا، فقال: الحمار للكلب، والغزال لي، والأرنب للثعلب؛ فرفع الأسد يده فضربه ضربة، فإذا هو مجدل بين يديه. ثم قال للثعلب: أقسمها، فقال: الحمار يتغذى به الكلب، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضالك! مَنْ عَلمَكَ هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب. وحدث الشعبي، قال: صادر رجل قُبْرَةً، فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وأكلك، فقالت: والله ما أشبع من جوع، وخير لك من أكل أن أعلمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل؛ قال: هاتين، قالت: لا تلهفنَّ على ما فات، فخلى سبيلها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقنَّ بما لا يكون أنه سيكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلي درتين، كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعضَّ الرجل على شفته تلهفًا، ثم قال: هاتين، قالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة! ألم أقل لك: لا تلهفنَّ على ما فات، ولا تصدقنَّ بما لا يكون أنه سيكون! أنا ولحي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالاً، فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون مثقالاً ثم طارت وذهبت. وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى.

وَلَمْ يُسْمَعْ بِمَنْ نَبَأَ سَمْعُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ انْتَهَى رُؤَاؤُهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنَّبَاتِ، وَبِهَا انْتِقَادُ الْمُتَوَدِّ الدَّيَّيَاتِ، فَأَيَّ حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحًا لِلتَّنْبِيهِ، لَا لِلتَّوْعِيدِ، وَنَحَايَهَا مَنَحَى التَّهْذِيبِ، لَا الْأَكَاذِيبِ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِزْلَةٌ مِنْ

اَتَدَبَ لِتَعْلِيمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !
 عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَن أَعْمَلَ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا
 قوله : « نَبَا سَمِعَهُ » أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إِذَا ارْتَفَعَ فَلَمْ يَمُضْ فِي الضَّرْبَةِ .
 أَتَمَّ : جَعَلَهُمْ أَصْحَابَ إِيَّامٍ . انْقِطَاعُ الْعُقُودِ ، أى ارتباط العقائد . حرج : إِيَّامٌ ، وَأَصْلُ
 التَّحْرِيجِ التَّضْيِيقُ . لِلتَّنْبِيهِ ، أى لِيُنَبِّهَ بِهِ الْغَافِلَ الذَّهْنَ فَيَجْعَلُهُ حَاضِرَ الْخَاطِرِ . نَحَا
 مَنَحَى : قَصْدٌ مُقْصَدٌ . التَّهْذِيبُ : التَّائِيضُ ، وَهَذَبْتُ الْفَالَا بَ : أَخْرَجْتَهُ وَخَلَصْتَهُ ،
 وَرَجُلٌ مَهْذَبٌ : مُخْلِصٌ مِنَ الْعُيُوبِ . وَيُرْوَى : نَدَبٌ وَاتْدَبَ ، وَنَدَبٌ دَعَا ، وَاتْدَبَ
 أَجَابَ . وَهَدَى : أَرَشَدَ . صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ : طَرِيقٌ مُعْتَدِلٌ ، وَمَنْ فَعَلَ مَا ذُكِرَ
 مَا جُورَ غَيْرَ آتَمٍّ ، لَسَكَنَهُ مَعَ هَذَا رَضَى أَن يَخْلَصَ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي كِتَابِهِ بِتَعْيِيبٍ ،
 وَأَن يُخْرِجَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كِفَافًا لَا أَجْرَ وَلَا وَزَرَ ؛ بَلْ نَرَجُو لَهُ الْأَجْرَ عَلَى تَنِيَّةِ
 الْإِفَادَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* * *

وَبِاللَّهِ اعْتَصِدْ ، فِيمَا أَعْتَمَدُ ، وَأَعْتَمِمُ مِمَّا يَعْصِمُ .
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَتَا الْمَفْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِغَاةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقَ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوَائِلُ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 نِعَمَ الْمُعِينُ !

أعتصد : أستعين . أعتمد : اقتصد . أعتصم : أمتنع . يعيب . أسترشد :
 أستهدى . يرشد : يهدي ويدلّ على الخير . والمفرع : اللجأ ، وكذلك النوائل .
 وتقول : فزعتُ إلى فلان ، إذا لجأت إليه واستعنت به ليحميك ويمنعك ، وفزعت
 منه : خفته ، والمفرع الذى ذكره مصدر بمعنى الفرع . وتقول : وألت من ذلك ،
 إذا نجوت منه ، وأنت موئلى منه ، أى للذى تنجى منه . والمفرع : النوائل
 والحصن ، تفرع إليه فينجيك من طالبك . أنيب : أرجع . والإنابة : الرجوع
 إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المقامة الأولى وهي الصنعانية

حدث الحارث بن تمام قال : لما اقتعدت غارب الاغتراب ،
وَأَنَا تَنِي الْمَرْبَةِ عَنِ الْأَتْرَابِ ، طَوَّحْتُ فِي طَوَائِفِ الزَّمَنِ ، إِلَى
صَنَعَاءَ الْيَمَنِ ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِيَ الْوَفَاضِ ، بِأَدَى الْإِنْقَاضِ ؛ لَا أُمْلِكُ
مُبْلَغَةً ، وَلَا أَجِدُنِي جِرَائِي مُضَفَّةً .

* * *

إن قيل : لأى معنى اختار الحريرى حارثاً وهاماً وأبا زيد، دون غيرهم من
الأسماء ؟ فالجواب أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الحديث المرفوع : « تَسْمُوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحِبُّ الْأَسْمَاءَ إِلَى اللَّهِ
عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمِرَّةٌ » (١) .
وصدقهما أنه ليس أحداً إلا وهو يحرث ، أى يحاول الكسب أو يهتم بمحاجته .

وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقع الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يميني سلاحه وحذ سلاح الدهر للمرء كالم (٢)
وكنْتُ إِذَا مَا الْكَلْبُ أَنْكَرَ أَهْلَهُ أَفْدَى ، وَحِينَ الْكَلْبُ جَذْلَانُ نَأْمُ
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نأْمُ ، فى .
الجدب إذا مات الواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابى : يقال للشيخ
الكبير : أبو زيد وأبو سعيد . والمروجى فى الغالب إنما يصفه بالكبر والمهرم .

(١) نقله فى الجامع فى الصنف ١ : ٢٢٤

(٢) ما يؤول عليه ، مصورة كتبة المجمع القنوى الورقة ٢٠١ .

فوقعت التسمية لنوبة، وإتما عني بالحارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لاتليق إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذئبي عاثُ حتى كأني للأنام وارثُ

* سامهم وحامهم ويافثُ *

ومثل قوله :

ووترت أربابَ الأرا نك والدّرانك والسجوفِ

وهي كثيرة، وفي الحسین له كلام لا يليق إلا بالدهر، فجعل أخذَ الحارث من أبي زيد، كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر .

قوله : « اقمعت » أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه . والفارب : مقدم سنام البعير . والاغتراب والغربة : التحول في البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتي ما أصلهما، وأراد : لما اتخذت ظهر الغربة قعوداً. أنأتني : أبعدتني . المتربة : الفقر . الأتراب : الأصحاب على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نواب ؛ تقول : طوّحت بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ، وقياس الطوايح للطوايح لأنك تقول : طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطوايح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني : جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح ، قال الشاعر :

لُبَيْكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَتَبَطُ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوْأَحُ^(١)
ومثله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢) : تقديره ملاقح ، لأنك تقول :
أَلْقَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جَمَعَتْهُ وَأَلْقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه
ضارع ، وهو الذليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد باليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ نَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية
بدمشق . وكان اسم صنعاء في القديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي^(٣) :
ولما واقبها الحبشة قالوا : نم ، فسَمَّى جبلها نعم^(٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى
مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنيئة ،
فسميت صنعاء^(٥) .

وحكى الهمداني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إنها القرية
المحفوفة ، وأنهم سمعوا هاتماً يقول في بعض أيام من حاربهم : كلُّ عليكِ
يا أزال ، وأنا أتحن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبها ذكرراً ، وأبعدها صيناً عُمدان وقصر أزال ، وهي
صنعاء .

(١) تهليل بن حري ؟ في مرثية له ؟ وهو من شواهد الكتاب على أن الفعل المستند
إلى ضارع « حذف جوازاً ، أى يبكيه ضارع . خزائن الأدب للبغدادى ١ : ١٤٧ .
(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن القطامي ، واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعاء ، ومعناها حصينة » .

والذي أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحتفر بئرَه الذي هو اليوم سِقاية لمسجد جامع صنعاء، سامُّ بن نوح عليه السلام، على ما ذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك أَنَّهُ لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الأرض الثمالية، فأقبل طالعاً في الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وصنعاء أطيبَ اليمن، فوضع مقراته — وهي الخيط الذي يقدَّر به البناء ويبقى على حده — فوضع الأساس في ناحية فجَّ عُمدان في غربي الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بعث الله طائراً، فاخطف القرأة فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأتم بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما اتبعه طار بها، وطرحتها على حَرَّة عُمدان، فلما قَرَّت، علم سام أَنَّهُ قد أَمَرَ بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحتفر بيده بئرَه المسمَّى كرامة، وُسِّتَقِيَ منها إلى اليوم لكنها أجاج^(١).

خاوى الوفاض: فارغ الزاود، ويقال: خَوَى الرَّجُلُ، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواء، وخَوَى البعير: بَرَكَ على هذه الحال. والوافاض: جمع وَفْضَةٍ وهي شِبْه الجراب، وهي أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلِّد أو غير مجلِّد فهي كنانة أو جُعبَة.

ابن سيده في المحكم: الوفضة خرطة يحْمِلُ فيها الراعى أَدَاتَه وزاده. والوفضة: جُعبَة السهام. قال أبو منصور الأزهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ أمر بصدقة [أَن] توضع في الأوافاض »: ^(٢) «لأنهم أخلاط الناس. قال القراء: هم أهل الصُّفَّة. أبو عبيد: هذا كله عندنا واحد؛ لأنَّ أهل الصُّفَّة أخلاط من قبائل شتى، ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وَفْضَةٌ، فعلى هذا من قصر الوفضة

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٧١٠ ، قال في شرحه : « هم الفرق والأخلاق من الناس » .

على الجُعبَةِ ، وخطأً الحريرىَّ بأنَّ الزاد لا يكون في الجُعبَةِ ، فهو الخطئى
والجاهل باتساع اللغة . بادى الإفاض : ظاهر الفقر ، وقد أنقض ، إذا فنى زاده .
وأنقض الجراب إذا انتقض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : الأنقاض
يُقَطَّرُ الجَلَبُ^(١) ، أى فناء زادهم يحمل إيلهم قهالراً ، أى مربوطة بعضها خلف
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيأكلون ثمنها ، قال الهذلى :

لَه ظَلِيَّةٌ وَلَهُ عُكَّةٌ إِذَا أَنْفَضَ الْقَوْمَ لَمْ يَنْفَضِ^(٢)

ظليَّة : جَرِبَ صَغير من جلد ظبي . بُلغَة : زاد للسافر يبلغ به من يومه .
إلى غده . الجراب : وعاء من جلد يصنع للزاد . مُضَغَّة : لقمة .

* * *

فَطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقًا يَأْمِلُ الْمَاهِمُ ، وَأَجُولُ فِي حَوَامِيهَا
جَوْلَانِ الْحَائِمِ ، وَأَرْوُدُ فِي مَسَارِحِ لَحَاطِي ، وَمَسَايِعِ غَدَوَاتِي
وَرَوَاعَاتِي ، كَرِيمًا أَخْلِقُ لَهُ دِيْبَاجَتِي ، وَأُبُوحُ إِلَيْهِ رِمَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تُفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي ؛ حَتَّى
أَذْنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدَنِي فَاتِحَةَ الْإِطَافِ^(٣) ، إِلَى نَادِرِ رَحِيبِ ،
مُتَحَوِّلِ زَمَامٍ وَنَجِيبِ ، فَوَلَجْتُ غَايَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ تَجَلُّبَةَ
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتْ خِلْقَتُهُ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال في شرحه : • يقول : إذا ذهب طعام القوم
أو سيرتهم فطروا إيلهم الذى كانوا يضنون بها ، فجلبوا الحج فباعوها واشتروا بشئها مرة • .

(٢) لأن التلم المزاعى . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العك : النجى الصغير .
وأنقضوا : ذهب ما عندهم .

(٣) متن المقامات : • الألفاظ • ، جضع الهزمة .

أَهْبَةُ السَّيَّاحَةِ ، وَلَهُ رَنَّةُ النِّيَّاحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزُّمَرِ ، إِحَاطَةُ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكَامُ بِالثَمَرِ ، فَدَلَّغَتْ إِلَيْهِ لِأَقْبَسِ
مِنْ قَوَائِدِهِ ، وَالتَّقِطُ بَمَضِ قَرَائِدِهِ ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي
مَجَالِهِ ، وَهَدَّرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِمَالِهِ :

° ° °

طفت : أخذت وجلت ، ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه . أجوب :
أقطع وأخرق ، وجوب الأرض : قسامها بالمشى . الحيران . أجول : أتصرف .
حوماتها : جهاتها . الحائم : الطائر العاطش يحوم حول الماء ، أى يدور به . أرود :
ألتصم المسارح : مراعى البهائم . لمحاتى : نظراتى ، يريد للواضع التى يسرح عينيه
فيها بالنظر . مسايح : مسالك ، أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى ،
والسَّيْح : الماء الجارى على وجه الأرض ، وتكون السايح أيضا جمع مسيحة أو
مسحة ، وهى الطوفة ، من قولك : مسحت البيت ، أى طفت به ، فيكون على هذا
«فعائل» ميمها أصلية ، وعلى الأول «مفاعل» . أخلق : أهين . ديباجتى : جلدة وجهى ،
يريد أنه يخلق وجهه بالسؤال كما يخلق الثوب ، وهذا من قول النبى صلى الله عليه
وسلم : «السؤال كدوح وخنوش فى وجه صاحبها» ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «لازال
السؤال بالرجل حتى يلتقى الله عز وجل ، وما على وجهه مزعة لحم» ، أى قطاعة . أبوح :
أذكر . حاجتى : قهرى . تفرج : تزيل . غمى : غمى وما يضيئ نفسى . غلى :
عطشى . أذتنى : أوصلتنى . خاتم اللطاف : آخر المشى . هدتنى : دلتنى . والإلطاف :
حسن السؤال وفاتحته ، أراد به سؤالك من تلقى فى الطريق إذا دخلت بلدا غربيا ،
فإذا سألت بتلطف أريدت بسرعة ، فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق . ويقال :

لَطَفَ سَوَالِ الرَّجُلِ ، إِذَا رَقَّ لَفْظُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ جَنَاءٌ ، فَتَقَبَّلَهُ الْقُلُوبُ ، وَأَلْطَفَ
الرَّجُلُ سَوَالَهُ ، إِذَا سَأَلَكَ بِخَنَانٍ وَتَلَطَّفَ ، وَاللَّطْفُ الرِّفْقُ ، وَاللَّطْفَتُكَ أَيْضًا : بَرَّرْتُكَ
وَأَكْرَمْتُكَ ، فَلَا يَلُطَفُ مَصْدَرُ أَلْطَفَ ، وَيُرْوَى : « الْأَلْطَافُ » جَمْعُ لَطَفَ وَهُوَ الرِّفْقُ ،
يَقَالُ : لَطَفَ اللَّهُ بِالْعِبَادِ لُطْفًا ، رَفَقَ بِهِمْ رَفَقًا ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ . نَادٍ : مَجْلَسٌ .
رَحِيبٌ : وَاسِعٌ . مَحْتَوٍ : مُشْتَمِلٌ . نَحِيبٌ : بَكَاءٌ . وَجَلَّتْ : دَخَلَتْ . غَابَةُ الْجَمْعِ :
وَسَطُ النَّاسِ ، وَأَصْلُ الْغَابَةِ الشَّجَرُ لِلتَّلَفِّ يَنْفِيبُ فِيهِ مَنْ يَدْخُلُهُ . لَأَسِيرُ : لَأَفْتَشُ ،
وَأُرَادُ دَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَجْرَبَ وَأَعْرِفَ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ وَجَلَبَ دُمُوعَهُمْ .
وَيُرْوَى ، « تَحْلَبَةٌ » بِالْخَاءِ ، وَهِيَ مِنَ الْحَلْبِ ، يَقَالُ : انْحَلَبَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا سَالَتْ بِالْدمْعِ .
بُهْرَةٌ : وَسَطٌ . شَخَتْ : دَقِيقٌ وَرَقِيقٌ ، وَالشَّخْتُ : الْحَطْبُ الرَّقِيقُ . أَهْبَةٌ
السِّيَاحَةُ : آتَةُ الْمُبَادَةِ ، وَهِيَ مِثْلُ الْعَصَا وَرَكُوتِ الْمَاءِ وَثِيَابِ الصُّوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
يَطْمَعُ الْأَسْجَاعُ ، أَيِ رِبْتِهَا وَيَصْنَعُهَا ، تَقُولُ : طَبَعْتُ الدَّرْهَمَ وَالسَّيْفَ إِذَا صَنَعْتُمَا ،
وَضَعْتُ الْكِتَابَ إِذَا خَتَمْتَهُ ، وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَكْتُبُ فِي فُصُوصِ خَوَاتِمِهَا « لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ » وَ« لِلَّهِ اللَّهُ » وَطَمَعُ بِذَلِكَ كِتَابُهَا ، وَهَذَا الْعَنَى أَلِيقُ بِطَمَعِ الْأَسْجَاعِ ، أَيِ رِزْنِهَا
وَيَخْتَمُ بِجَوَاهِرِ كَلَامِهِ ، وَمَنْ رَوَى « الْجَوَاهِرُ » بِاللَّامِ فَعِلَى « يَصْنَعُهَا » لَا غَيْرَ ،
وَالْتَفْسِيرُ عَلَى الرَّوَايَتَيْنِ أَخَذْتَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ . وَالْأَسْجَاعُ الْكَلَامُ الْمُنْقَرُّ لَهُ قَافِيَةٌ .
كَقَافِيَةِ الشَّعْرِ ، وَكَانَ مِنْ كَلَامِ الْكُتَّانِ ، وَهَذِهِ الْمَوْعِظَةُ الَّتِي فِي الْقَامَةِ مِنَ الْأَسْجَاعِ ،
وَسَجَعَتِ الْحَمَامَةُ ، إِذَا غَنَّتْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ . يَتَرَعَّى : يَضْرِبُ . الْأَسْمَاعُ : الْأَذَانُ .
زَوَاجِرُ : نَوَاحٍ ، وَزَجَرُهُ : نِهَاجُهُ وَانْتِهَارُهُ . أَحَاطَتْ : حَلَقَتْ : أَخْلَاطُ : أَصْنَافُ .
مُخْتَلِطُونَ : الزَّمَرُ : الْجَمَاعَاتُ . الْحَالَةُ : الدَّارَةُ حَوْلَ الْقَمَرِ مِنْ نُورِهِ ، وَالطَّافَاوَةُ : الدَّارَةُ
حَوْلَ الشَّمْسِ ، وَالسَّاهُورُ : هُوَ غُلَافُ الْقَمَرِ الَّذِي يَسْتَرُ فِيهِ مَا نَقَصَ مِنْهُ . الْأَكَامُ :
جَمْعُ كَيْمٍ ، وَهُوَ الْغُلَافُ الَّذِي يَنْشَقُّ عَنِ الثَّمَرِ وَيَحِيطُ بِهِ . وَتُسَمَّى كَيْمًا لِأَنَّهُ يَسْتَرُ مَا تَحْتَهُ ،
وَالْأَكَامُ : جَمْعُ قَلِيلٍ ، وَالكَثِيرُ كَامٌ . وَالثَّمَرُ حُلُّ الْأَشْجَارِ . دَلَفْتُ : قَرَبْتُ ،
وَدَلَفَ الشَّيْخُ فِي مَشْيِهِ ، إِذَا أَسْرَعَ مِنْ ضَعْفِ قَدَّارٍ بِمَخْطُومِهِ . اقْتَبَسَ مِنْ فَوَائِدِهِ :

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .
 خب في مجاله : أخذ في كلامه ، والخب عدو سهل ، وهو الذي تسميه العامة السير ،
 وفرس مسيار . والمجال للخيل : موضع تصرّفها وجريها . هدرت : صوتت .
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهي التفاحة يخرجها خلّ الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه ،
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويذكر به الناس بصوت البعير
 يهيج ويتابع المدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرْتُ شِقَاشِقَهُ وَنَشِبْتُ لَهُ الْأُظْفَارَ تُرِكَ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
 أراد: نَشِبْتُ وَتُرِكَ ، فَنَخَفَ .

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوثَيْهِ ، السَّادِرُ ثَوْبَ خَيْلَانِهِ ، الْجَامِحُ
 فِي جَهْلَاتِهِ ، الْجَامِحُ إِلَى خُرُوبَاتِهِ . . . إِلَامَ تَسْتِيرُ عَلَى غَيْكِ ،
 وَتَسْتَمْرِى مَرَعَى بَنِيكِ ! وَحَتَامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي
 عَنْ لَهْوِكَ !

•••

الْمَادِر : الراكب هواه ، لا يردّه شيء استقالةً وبنياً ، ويقال للذي يطيل
 الجلوس في الشمس حتى يتغير بصره : قد سدر فهو سادر . في غلواته : في ارتفاعه
 للشرّ ولجأه فيه ، وهو من غلا يفوق الأمر ، إذا جاز الحد ؛ فيقول : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى
 الْكَثِيرُ اللَّجَاجِ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ؛ هَلَّا نَظَرْتَ بَعِينَ الْبَصِيرَةِ ، وَرَجَعْتَ عَمَّا أَنْتَ
 عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِل : الرخي . خَيْلَانُهُ : كبره . الْجَامِح : الجارى إلى غير

غاية ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه ، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر التساد حتى جرى منه في غير طريق . الجانح : اللائل . الخزعبلات : الأباطيل ، وهو ما يتراءى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غثك : ضللك . تستمرى : تستطيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بنيك : ظلمك . تنهى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك . الهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :
 وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فِهَذَا أَبُوكَ التَّرْبَ يَخْفِضُكَ انْسِبَا
 وَلَا تَصْغَبْ أَحَا كِبَرٍ وَقَدَّمَ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِيَّ وَالصَّغَابَا
 وَلَا تَحِبْ عِبَادَةً بِمَسْخَرٍ كَنَى بِالْمَرْءِ حُوبَا أَنْ يُحَابَى
 وَحَازِرْ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسَا وَلَا تَنْسِ الذَّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
 تَرَابَا كُنْ هُنَا فَمَاكَ أَلَا تَتَنَّى أَنْ تَكُونَ غَدَا تَرَابَا
 وقال أبو نواس :

حَذَرْتُكَ الْكِبَرُ لَا بِشَاكَ مِيسَهُ فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعَتَهُ اللَّهُ^(٣)
 يَابُوسَ جَلِدْ عَلَى جَوْفٍ مُجَوَّفُهُ يَحْوِي مَقَازِيرَ إِنْ كَلِمَتَهُ تَاهَا^(٤)
 يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
 إِنِّي لَأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : ٥ : أبو حنيفة ، وما أتت من أ . (٢) الذناني : أذنب الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يابُوسَ جَلِدْ عَلَى عَظْمٍ مَحْرَقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو العتاهية :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فِخْرِهِ وَهُوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَحَيَاتُهُ آخِرُهُ يَفْخَرُ !
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

* * *

تَبَارِزُ بِمَعْنِيَتِكَ ، مَالِكَ نَاصِيَتِكَ ، وَتَجْتَرِي بِقَبْرِ
سِيرَتِكَ ، عَلَى عَالَمِ سِرِّكَ ، وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِينِكَ ، وَأَنْتَ يَمْرَأَى
رَقِيبِكَ ، وَتَسْتَخْفِي مِنْ تَمْلُوكِكَ ، وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكَكَ .
أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفُتَكَ حَالًا إِذَا أَنْزَلْتَ حَالًا ! أَوْ يُنْقِذَكَ مَالُكَ ،
حِينَ تَوْبَقَكَ أَعْمَالُكَ ! أَوْ يُفْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ ، إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ !
أَوْ يَنْطِفُ عُنَيْكَ مَعَشَرُكَ ، يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ !

° ° °

قوله : « تبارز » ، أى تكاشف وتقابل . والبارز : الظاهر المنكشف . والناصية :
شعر مقدم الرأس . تجتري : تقدم وتشجع . والجري : الشجاع المقدام . سيرتك :
عادتك ، وجمعها سير وهى ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول : سرت
سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها ففعل بها الناس بملك ، فصارت عادة لهم ،
ولذلك نُسِرْنَا السيرة بالعادة حيث وقعت ، وأصل السيرة هيئة هل السير ، وذلك
أنك تقول : جلس فلان جلسة بالفتح ، وهى المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

كسرت الجيم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيئة ركوبه، وتقول :
 سار هذا العمل سيرة، والسيرة بالكسر : هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح
 أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : هيئة أفعاله حيث كانت.
 تتوارى : تستتر . برأى من رقيبك ، أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ، و رقيب
 الشئ : حافظه وحارسه . مليكك : مالكك ، وأراد أن الإنسان إذا خلا بربه .
 استتر بها عن أخيه وعبد حياء منهما ، ولا يستحي من ربه الذى يطّلع على
 معاصيه ، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ
 وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ... ﴾ الآية ، وقال عمر بن عبد العزيز
 رضى الله عنه :

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ يرى ويسمع ما يأتى وما تذرُ
 وأنت فى غفلةٍ من ذلك تركب ما نهاك عنه ، فأين الخوف والحذر !
 تُجَاهِرُ الله إقداماً عليه ، ومن حُثَالَةِ النَّاسِ تَسْتَحْيِي وتعتذرُ
 وقال نابعة بنى شيبان :

إن من يركب الفواحش سِرّاً حين يَخْلُو بسرّه غير خالٍ^(١)
 كيف يَخْلُو وعنده كاتباه شاهداه وربّه ذو الجلال !^(٢)
 وقال أبو نواس :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ خلوتُ، ولكن قل على رقيب^(٣)
 ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ
 لهونا لعمر الله حتى ترا كمت^(٤) ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الحال » .

(٣) ديوانه ٧٠٩ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بسرّ سال حتى ترادفت » .

حالك : عزّتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . تو قُك : تهلّك ، قال : أَوْبَقْتَهُ الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً . وقال أعشى همدان :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَغَافِبْنِي بِهَا أُبِقْ
زَلَّتْ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذى تُحشَرُ إليه .

* * *

هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحْجَةً اهْتِدَائِكَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ ذَانِكَ ،
وَفَلَّتْ شِبَاهَ اعْتِدَائِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَائِكَ !

أَمَّا الْحَامُ مِيعَادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ ! وَبِأَشْيَبِ إِندَارُكَ ، فَمَا
أَعْدَارُكَ ، وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَقْبَضَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَنَاعَمَيْتَ ، وَحَصَّصَ
لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ ، وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ ، وَأَمْسَكَكَ
أَنْ تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ .

° ° °

انتَهجت : ركبت . والنهج المنهج والنهاج : الطريق الواضح . محجة : طريق ،
من حَجَّه يَحْجُّهُ ، إِذَا قَصَدَهُ . اهتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . فَلَّتْ :
كسرت . شِبَاهَ : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قَدَعْتَ : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذي إن قتلتَه كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » . قال الأصمى : كنّا بطريق مكة في بعض المنازل ، إذ وقت علينا أعرابية فقالت : أطعمونا ثمّا أطعمكم الله ، فناولها بعض القوم شيئاً فقالت له : كَبَتَ اللهُ لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالألف . الحمام : الموت ، من حَمَّ الأمر ، قضى . اليعاد : الوعد . ما إعداك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أَعَدَّ للأمر إذا هيأ له ما يحتاج إليه من عُدَّة ، يقول : الموت هو الذي وُعِدْتُ به أن يأتيك ولا بدَّ ، فاستعد له من أفعال البر .

وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران :

يا صاح في الموتِ لنا حكمةٌ بالفةٌ لو أننا ننضمُ
فاعملْ له قبل مفاجاته ويَحْصِدِ الزارعُ ما قد زرعُ
لا حيلةَ تُنجِيكَ منه ولا ذو وزرٍ عنه به يتمنعُ
كم أُممٍ أنفأهم قبلنا وشمل قومٍ شته فانصدعُ
ولحبيب :

قد أيقنتُ بالموتِ نفسي لأنني رأيتُ المنايا يَخْتَرِمَنَ حياتي^(٢)
فيا ليتْ أتى بعد موتي ومبعثي أكونُ رُفَاتًا لا على ولا ليا

الشيب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إندارك : إعلامك ، حوأنذرك : أعلمك بما تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ كُمُ النَّذِيرُ ﴾^(٣) ، حوأنظر هذا المعنى في الحادية والأربعين مستوفى نقلاً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار ... « الظاهر أن هذا استفهام تقريري — حاشية ط .

(٢) سورة فاطر ٣٧ .

(٣) ديوانه ٤٨٤ .

أعذارك: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالَغ فيها . قال ابن السَّيِّ وَجَسَ قَوَانِيهِ :

الشَّيْبُ فِي مَفْرَقٍ حَلَا وَعَقْدَ عَهْدِ الْمَلَّاحِ حُلَا
وَكَانَ كَالْأَبْنُسِ رَأْسِي فَاحْتَلَّهُ عَاجُهُ حُلَا
وَحَرَمَتْ وَصَلِي الْغَوَانِي وَقُلْنَ قَتْلُ الْعَمِيدِ حَلَا

اللحد : حفرة في جانب القبر ، ولحدَّ المِيت وألحده : شقَّ له في جانب القبر . وأصل اللفظة الميل . ومقيلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك المَقُول وَحَجَّتْك الواخمة ، والقول مصدر كالطَّخَن والذَّبْح ، والقيل : اسم للمَقُول كالطَّخَن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذَّبْح اسم للمذبح . يعقوب : قال والقيل اسمان لامصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي قاله قولاً وقيلاً، مثل ذكره ذكرًا ، وقال يجوز أن يكون مصدرًا ، فإنَّ سيبويه حكى : ذامه ذامًا وعابه عابًا ، إلا أنه لم ينصَّ على القول . مصيرك : رجوعك . نصير : معدول عن ناصر للبالغة . تناعست ، أى أظهرت أنك ناعس . جَذَبَكَ : قَادَكَ بعنف ، ويقال : جذب ، وجَبَذوهى أَقْل من الأولى ، وصَحَفَت العامة هذه الثانية وقالوا : «جَبَد» بدل غير منقوطة . تناعست : تأخَّرت وتَصَعَّبَتْ وتَشَبَّهَتْ بِالْأَفْعَسِ ؛ وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره ، أى قَادَكَ الوَعْظ إلى الخَيْر فلم تَتَقَدَّرْ له ، والعرب تقول : عَزَا قَمَسَاءُ كُنْهَآ تَقَمَّسَ عَنِ الذَّلَّةِ . تَجَمَّتْ : ظهرت . وَالْيَمِيرُ : مَا يُتَخَوَّفُ وَيُتَعَطَّ بِهِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ . حَصْحَصَ : تَبَيَّنَ ، من الحَصِّ وهو ذهاب الشعر فيقْبِيْن مَا مَحْتَهُ ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفًا من جنس الحرف السابق ، ومثله حَشَحْتُ وَرَقَرْتُ ، أصلهما حَشَّتْ وَرَقَّتْ ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لغتان تقاربتا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الحرج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماریت : شككت : تؤاسی : تعطى .

* * *

تُؤَثِّرُ فَلَسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعْمِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُفْلِيهِ ،
عَلَى بَرِّ تُولِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَتُمَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَمِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يُؤَاقِيتُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مُوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، وَمُغَالَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِغَافُ الْأُلُوَانِ ،
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَعَائِفِ الْأَذْيَانِ ، وَدُعَابَةِ الْأَقْرَانِ ، آنَسُ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

تؤثر : تفضل . توعيه : تجعله في وعاء . برّ : إحسان . تُولِيهِ : تعطيه
وتلصقه بمن تبرّه . هادٍ : مرشد لطريق الخير . ترغب عنه ، أى تتركه .
تستهديه ، أى تسترشده ونسأله أن يهديك إلى الخير ، وتستهديه الثانية : تطلب
أن يهdy لك هدية . يقول : تترك مَنْ يهديك إلى طريق الخير ، فلا تسأله
المهداية ، وتقصد أعراض الدنيا من الأطعمة وغيرها ، وترغب أن تعطى منها
هدية ، قال الزّاهد ابن عمران :

تَوْقٌ وَحَازِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الْمَرْغَبُ
قَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرَّسُولِ حَوَادِثُ تَحَذَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكُنْتَ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا تَوَلَّفَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحَبَّبُ
فَعَادَتْ بِلَايَا يُسْرِعُ الْمُنُّ نَحْوَهَا تَفَرَّقَ فِيمَا بَيْنَنَا وَتَجَنَّبُ

وله في مثله :

احذَرْ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمَنَ الْمَنَ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَاشِ يَشِي
قَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ خَشِيَ
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا تَقْدَمَنَّ وَأَخْشَ مَقَامَ اللَّهِ فَيَمُنَّ خَشِيَ
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشَا وَفِي الرِّشَا الْهَلَكُ لِمَنْ يَرْتَشِي
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيُّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ

الثواب : المكافأة على العمل ، وأراد به ما يخازي الله به عباده على إحسانه
من الأجر ، وهو من ثاب بثوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
وهو المكافأة على فعله . قوله « يوانيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .
أعلق : ألتصق . مواقيت : أوقات ، وهى جمع ميقات .

* * *

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنيس الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المديبر - وكان
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لفلانه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى
يصلّى مائة ركعة ، ثم خلّه ، فتعاماه الشعراء إلا الأفراد المجدين - فجاء الحسين بن
عبدالرحمن البصرى المعروف بالجلّ ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
قال : نعم ، وأنشد :

أرْذَنَّا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ أَوْلَاةُ
قَتَلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمَنْ كَفَاهُ دِجْلُهُ وَالْفُرَاتُ
صَالُوا قَبْلَ الْمَدْحِ لَكِنْ جَوَازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
قَتَلْتُمْ لَهُمْ : وَمَا تَغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي ، إِنَّمَا تَغْنِي الزَّكَاةُ !

فَتَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتْنِي الْمَوَومُ الشَّاعِلَاتُ
فَيَأْمُرُنِي بِكُسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تَنْشَطُلَنِي الصَّلَاتُ
فِيصْلِحْ لِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيَصْلِحْ لِي عَلَى هَذِي الْمَاتُ

فضحك واستظرفه، وأمر له بمائة دينار، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام:

هَنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِنٍ فَلَيْسَ مِنْ حِمَامٍ^(١)

* * *

قوله: «مغلاة الصدقات»، أي الزيادة في المهور، وغاليت: زدت في ثمن السلمة وردتها غالية، والصدقات واحدها صدقة وهي الصداق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يُبَيِّنُ الْمَرْأَةَ تَبَيَّرَ صَدَاقُهَا وَخِطْبَتُهَا»، قال عروة: وأنا أقول: من أول شؤمها أن يكثر صداقها. آخر: أفضل وأكثر أثره. موالاة: متابعة. صحائف: جمع صحيفة، وهي الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس. دُعابة: مزاح، وفي فلان دُعابة، وتداعب الرجال: تمازحوا، وفي الحديث: «كانت فيه صلى الله عليه وسلم دُعابة»، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «هَلَّا بَكَرَأْتُ دُعَابَهَا وَتَدَاعِبَكَ!». الأقران: الأصحاب والأمثال. تلاوة: قراءة، وتلوته: قرأته، واختلفوا في اشتقاق القرآن، فقال أبو عبيدة: سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قرَأْنَاهُ فَانْبِغِ قرْآنَهُ﴾^(٢) أي إذا جمعنا لك شيئًا فضمه وأعمل به، وقال قطرب: سُمِّيَ قرآنًا لأنَّ الْقَارِئَ يُظْهِرُهُ وَيُبَيِّنُهُ وَيُلْقِيهِ مِنْ فِيهِ، من قول العرب: ما قرأت الناقة سلاقة، أي ما رمت به. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد»، قالوا: يا رسول الله. ما جلاؤها؟ قال: «قراءة القرآن».

(١) ديوانه ٢٢٩.

(٢) قوله و التهاية لابن الأثير ٢: ١١٨.

(٣) سورة القیامة ١٨.

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنْ الشُّكْرِ ، وَتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ وَلَا تَتَعَامَاهُ ،
وَتُزْجِرُ عَنِ الظُّلْمِ نَمُ تَنْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . نَمُ أَنْشَدَ :

تَبَا لِمَطَالِبِ دُنْيَا نَعَى إِلَيْهَا أَنْصِيَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ يَمَا يَرُومُ صَبَابَهُ

° ° °

العرف ، أى العروف . تنهك : تبالغ فى تناوله بما لا يجوز . حياه :
ماحى منه ومنع ، وأصل الحى موضع العشب يحميه الرجل لإبله . وانهاكه :
استنصل عشب بالرعى ، ونهكت الجلود وانتهكت ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .
الشكر : المنكر . تتعاماه : تتباعد عنه . تُزْجِرُ عَنِ الظلم : تُنْعِي عنه غيرك
وتزيهه . وتنشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعر قاله :

يَارَبِّ قَدْ أَسْرَفْتُ فَعَبِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا بَقِينَا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ فِعْصِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَفَارِجَ الْكَرْبِ زُخْرُ حُنِي عَنِ النَّارِ^(١)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(٢) .

قوله : « تَبَا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبّت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ﴾^(٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لَوْطٍ أَلَا تَبْنَا لَّا عَمَلُوا تَبًا! ^(١)

ثَمِي : عطف وردّ . انصبابه : جريه . يستفيق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حبّ لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغريم لللازمته التقاضى وإلحاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٢) أى مُلَاجَأً دائماً ، ومنه ﴿ إِنَّا لَنُفَرِّمُونُ ﴾ ^(٣) ، وفلان مفرم بالنساء : يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :
فَأَأْكُلُهُ إِن نَلَيْتَهَا بَغْنِيمَةً وَلَا جُوعَةَ إِن جَعْتَهَا بَغَامَ
أى بهلاك وملازمة .

فرط صباية : شدة شوق ومجاورة حدّ في ذلك . يروم : يطلب . صباية .
بَقِيَّةُ الْمَاءِ .



[نبذ من الأشعار في ذمّ الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن التوافي ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران ^(٤) ،
وكثيراً ما كان يستمدّ في شعره من أدب اللّقامات :

تَبَا لِيْ ذِي جَهْلٍ دَعَا لِمِرَّةٍ وَأُجِبْتُهُ بِرَأٍ بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَا وَقَدْ كَافَأَتْهُ بَهْيَانِيَّةٍ وَذَخَرْتُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَاقْلُ اللّثَامِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبْ مَهْمَا دَعَاكَ وَجُنُبْنِ أَوْ ضَاعَهَا
وقال آخر :

(١) لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النهرى راوية الراعى ، وقبله :

أَتَانِي عَنْ عَرَادَةِ قَوْلٍ سَوْءٍ فَلَا وَأَبَى عَرَادَةَ مَا أَصَابَا

(٢) سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) هو أبو عمران موسى بن عمران المازنلي الإشبيلي ، ذكره ابن سعيد في المغرب

١ : ٤٠٦ ، وأورد يسن شعره .

بِأَمْنٍ يَضِيعُ عُمرُهُ مَتَادِيًا فِي اللَّهْوِ أُمِّكَ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَأَحْمَا لَهَّ ذَاهِبٌ كَذَاهِبِ أُمِّكَ
وَأَنْصُورُ النُّقْيَةِ فِي الشَّعْرِ الرَّدْفِ^(١) :

إِذَا كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْفِرَاقَ فِرَاقُ الْحَيَاءِ قَرِيبٌ قَرِيبٌ
وَأَنَّ الْقَدَّمَ مَا لَا يَفُوتُ عَلَى مَا يَفُوتُ مَصِيبٌ مَصِيبٌ
وَأَنْتَ عَلَى ذَاكَ لَا تَرَعَوِي فَأَمْرُكَ عِنْدِي عَجِيبٌ عَجِيبٌ
وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرِي فِي مَعْنَى شَعْرِ الْخَرِيرِيِّ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا :

بَارَا كَيْضًا فِي طَلَابِ دُنْيَا لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِشَاشُ
لَمْ تُخْشَ نَارُ هَوَى لَظَاهَا بَيْنَ لَهُ نَحْوَهَا انْجِشَاشُ
أَعْدَرُ مِنْكَ الْقَرَّاشُ حَالًا عَلِمْتَ مَا يَجْهَلُ الْقَرَّاشُ
تَطْلُبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنُ عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جَاشُ
مَنْ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابٍ يَشْتَدُّ مِنْ شَرْبِهِ الْعَطَّاشُ
دَعَا فَطَلَّابُهَا رِعَاعٌ طَاشَتْ بِأَلْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمُ رِوَاةٌ وَوَارِدُوهَا هُمُ الْعَطَّاشُ
فَاطْمَأَنَّ لَتَرَوِي ، وَكُنْ كَقَوْمٍ سَقُوا بِهَا غَبَّةً فَعَاشُوا^(٢)
كَأَنَّ آمَالَنَا ظِلَاءٌ وَنَحْنُ مِنْ حَيْرَةٍ خِدَاشُ
إِنْ لَأَمَالُنَا انْبِطَاطٌ بِهِ لِأَعْمَارِنَا انْكَشَاشُ
كَأَنَّ آجَالَنَا صَقُورٌ وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشُ
وَلَا بِنِ الرَّومِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٌ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ اللَّيْبِ غَطَاؤُهَا

(١) الردف في الشعر: حرف ساكن من حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ،
ليس بينهما شيء ، فإن كان ألماً لم يجزع معها غيرها ، وإن كان واواً جازمه الياء . وانظر اللسان .
(٢) ب : « ماتوا بها عفة فطاشوا » .

فكيف جاء الناس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها !
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على الرمح حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولابن سارة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا يحمل عظموها فجلت عندهم وهي الحقيرة^(١)
يهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على العقيرة

ثم إنه لبد عجاجته ، وغَيِضَ مجاجته ، واعتصَدَ شكوته . وتأنَّبَ
هراوته . فلما رنت الجماعة إلى تحفره ، ورأت تأهبه لدرابلة مركزه ،
أدخل كل منهم يده في جيبه ، فأقسم له سجلاً من سببه ، وقال :
اصرف هذا في تفقتك ، أو فرقه على رفقتك . فقبله منهم منضياً ،
وأنقنى عنهم مثنياً ، وجعل يودع من يشيه ، ليخفى عليه مهيعة ،
ويسرب من ينبئه ، لكي يجعل مرْبُعه .

قوله : « ثم إنه لبد عجاجته » ، أي سكن غيْرته المرتفعة حتى لصقت بالأرض .
غَيِضَ : جف . المُجاجة : ما يُلقى من فيه . وقد معج الرجل ريقه ، إذا سال من
حق أو كبر . وأراد بلبد عجاجته ، قطع كلامه الذي كان قد استرسل ، وأخذه
من قول سليمان بن عبد الملك ، وقد تكلم وفد بين يديه ، فلم يصنموا شيئاً ،

وتكلم بعدم رجل قبيح المنظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامهم
سحابة لبدت عجاجا .

وأراد بـ « فَيُضْ مُجَاجَتُهُ » ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء .
اعْتَصَدَّهَا : جعلها تحت عَصْدِهِ . والشكوة : ركوة الماء تُصْنَعُ من جلد الثور
أو الخروف . وتأبَّطها : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تحفزه :
تهيؤه وعجلته للانصراف ، وتحفَّز وانحفز ، إذا كان جالسا على عقيبه متهيئا
للقيام . تأهبه : استعداده . مزايه : مفارقة . مركزه : موضعه الذي قام به . أنعم :
ملا ، ونعمت الشيء نفما : ملأته . سجالا : دلوأ . سبيه : عطاؤه ، معناه وهب له
نصيبا من عطائه . رقتك : أصحابك . مفضيا : مستحيا ، وأصل « أغضى »
كف بصره وضَمَّ جفنيه . انثنى : رجع وانعطف عن طريقه . مبيعه : طريقه
البيت . يسرَّب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السَّرَب وهو الطريق ، كأنه يردم عن
تشبيعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السَّرَب ، وهو الجحر ، فكأنه يقيهم
عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب
في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه .
مربه : منزله في الربيع خاصة . والمربع : المنزل في كل وقت ؛ من ربت
بالمكان ، أقت به .

قال الحارث بن همام : فاتبَعْتُهُ مُوَارِيَا عَنْهُ عِيَانِي ، وَفَقَوْتُ
إِزْرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي ؛ حَتَّى اتَّمَعْتُ إِلَى مَنَازَرَةٍ ، فَأَنَسَابَ فِيهَا
عَلَى غَرَارَةٍ ، فَأَمَمْتُهُ رَيْثَا خَلَعَ ثَمَلِيهِ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ هَجَسْتُ
عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُهُ مُعَاذِيَا لِيْلِيذٍ ، عَلَى خُبَرٍ مَمِيذٍ ، وَجَدِي حَنِيذٍ ،

وَقَبَائِلُهُمْ خَائِيَةٌ نَبِيذٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، أَيْكُونُ ذَلِكَ خَبْرَكَ،
وَهَذَا مَخْبَرُكَ!

مواريًا : سائرًا . عياني : شخصي ، أى تبعته مستخفياً بحيث لا يرانى .
قوّته : اتّبعته من جهة قواه . انساب : دخل ، وأصل الانسياب ، جرى الحية على
وجه الأرض ، أو جرى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب فى البحر ؛ حدثنى به بعض منّ لقيت من أصحابنا ، وكان
أضبط الناس لسان العرب ، قال : وقول الحريري : « انساب فيها » وهم منه ، ولو قال :
« انشام فيها » لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضع فى غده . غرارة : غفلة .
رَيْث : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحرّ ، وهجمت
عينه : دخلت فى رأسه . محاذيًا : ملاصقًا أو جالسًا بجذائه . تليذ : متعلّم الصنعة .
حَنِيد : مشوى ، وحنيد اللحم حنْدًا : شواه . بحجارة محمّاة . نبذ ، أراد به
خبرًا . خبرك ، أراد به أمرك الذى أنت عليه . مخبرك ، أى باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس فى مجالس الوعظ]

ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أبى نواس حين رُئى فى مجلس منصور
ابن عمار يبيكى ، فظنّ الناس أنه قد نَسَكَ ، فجعلوا يهنتونه ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكى لبكاء ذلك الغزال - وغلّام بالمجلس يبيكى من وعظ منصور - ثم قال :
لم أبلّك فى مجلس منصورٍ شوقًا إلى الجنة والمُحورِ

لكن بكائي لبكا شادين تقيه نفسي كلَّ محدورٍ
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجزٍ وتصديرٍ

وحضر أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : أعل الله قد أقبل بك ! فقال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خَيَانِي وَالْعَامِي وَدَعَا ذِكْرُ الْقِصَاصِ
وَاسْتَبَانِي الْخَمْرَ صِرْفًا فِي أَبَارِقِ الرَّصَاصِ
وَعَلَى وَجْهِ غَزَالٍ طَائِعٍ لَيْسَ بِعَامِي
بَيْنَ فِتْيَانٍ كَرَامٍ قَدْ تَوَاصَوْا بِالْعَامِي
وَعَلَى اللَّهِ - وَإِنْ أَفَ - سَرَطَنِي الذَّنْبُ خِلَامِي

* * *

فَزَفَرُ زَفْرَةِ الْقَيْظِ ، وَكَادَ يَتَهَيَّرُ مِنَ الْقَيْظِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يُحْمِلُ
إِلَى ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيَّ . فَلَمَّا أَنْ خَبْتُ نَارَهُ ، وَتَوَارَى
أَوَارُهُ ، أَنَشَدُ :

لَبَسْتُ الْحِيَمَةَ أَبْنَى الْحِيَمَةِ
وَأَنْشَبْتُ شِعْمِي فِي كُلِّ شَيْمَةٍ
وَصَيَّرْتُ وَعْظِي أَحْبَبَ وَلَةً
أُرِيغُ الْقَنْيَصَ بِهَا وَالْقَنْيَمَةَ
وَالْجَانِي الدَّمْرَ حَتَّى وَلَجَ -
تُطْلِفُ اِحْتِيَالِي عَلَى الْإِثْمِ عِيَمَةَ

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ مَرْقَهُ
وَلَا نَبَضَتْ لِي مِنْهُ فَرِيصَتُهُ
وَلَا شَرَعَتْ بِي عَلَى مَوْرِدِ
يُدْنِسُ عِزِّي نَفْسُ حَرِيصَتِهِ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَا مَلَكَ الْحُكْمُ أَهْلَ النَّقِيصَةِ

° ° °

قوله: « فزفر زفرة القيط »، الزفرة: تنفس الملهوم أو الملتناظ، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبداه من شدة القيط بوهج الحر. يتميز: يتقطع ويتفرق. يخلق: يحد النظر، والحلقة: نظر الضبان، والحلاق: باطن الجفن. يسطو: يصل ويتناولني بالمكره، يقال: سطا عليه وبه، يسطوا سطوا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخبيصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخبيصة: كساء مربع أسودله علان. الخبيصة: نوع من الخلاء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكنتي به عن لذة العيش. الشص: حديدية موعة يصاد بها الخوت، وتسمى الصنارة. شبيصة: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والبزني، يارب اجعلنا برثيا ولا تجعلنا شبيصا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدى ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ما يصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أى عدل عنه ورجع، وهو يخفى رجوعه. قل الفرأ: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفيا

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَالِمِينَ﴾^(١)، أي رجع إليهم بضربهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «بالمين» أي يمينه الذي حلف في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ كَيْدٌ مِّنْهُمُ إِلَىٰ آخُفٍ مِّنَ الْآخِفِ وَنَافٍ مِّنَ النَّافِيَةِ وَأَعْمَقُ مِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنْهُمُ الْبُزْخُ﴾^(٢)، أو يريد بالمين القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ﴾^(٣)، أي رجع إليهم في إخفاء منه لرجوعه. القنيص والقنيصة: الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش، وهذا مثل، وإتما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل. ألباني: أحوجني. ولجت: دخلت. لطف: رقة وتلطّف. عيصه: بيته، وأصله الشجر للتلطف. والليث: الأسد. أهب: أخف. صرفه: تقلّبه. نبضت: تحركت. فريضة: بضعة في آخر الكتف تتحرك عند النزاع. شرعت: دخلت. وعلى: بمعنى «في» نحو قولك: كان ذلك على عهد فلان، أي في عهده. مورد: موضع الماء. يدنس: يوسخ ويعيب. عُرِضِي: ذكرى. نفس حريصة: كثيرة الرغبة والطمع. النقيصة: الخصلة القبيحة يقعها الرجل فينقص بها. وقال بعضهم:

غَضَّيْ عِيونَكَ يَا عِيونَ النَّرجِسِ	مِنْكَ اسْتَحْيَيْتُ بَأْنَ أَقْبَلَ مُؤْنِسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وَعِيونُكَ شَوَاخِصٌ لَمْ تَنْعَسِ
فَأَجَابَنِي تَفْلَحَ صَنْعَةٍ خَدَهُ	بِفَصَاحَةٍ مِنْ أَلْسِنٍ لَمْ تُخْرِسِ
قَبْلَ حَبِيبِكَ مَا اسْتَهَيْتَ فَإِنْ مِنْ	عَادَاتِنَا كَتَمَانٍ مِثْرَ الْجِاسِ
يَارِبْ إِنْ قَدَّرْتَهُ لِمَقْبَلٍ	غَيْرِي فَلِلْمِيوَالِكِ أَوْ لِلْأَكْوَاسِ
وَلِنْ قَضَيْتَ لَنَا بِصَحْبَةٍ ثَالِثٍ	يَارِبْ فَلْتُكَ شِمْعَةٌ فِي الْمَجَاسِ

ومن أحسن ما قيل في الدهر، قول تميم بن الحر:

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقساكَ من متلون
أترُوح للنكس الجهول ممهداً
وإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ
لا أرتضيك وإن كرمت لآنتي
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءه
ما قام خيرك يا زمان بشره
أولى بنا ما قلَّ منك وما كفى
إدريس بن اليمان^(١) :

ماذا أقول لدنيا لو ظفرتُ بها
شجاً من أقدية الأيام برح بي
أدبها غصباً للعلم والأدب
بل بالعوالى وبأهندية القصب

ثم قال لي : اذنُ فكلُّ ، وإن شئت فقمْ وقلْ .
فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمتُ عليكِ بمن تستدفعُ به
الأذى ، لتخبرني مَنْ ذا ؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، سراجُ
العرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفتُ من حيث أتيتُ ، وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ !

قوله : « اذن » ، أي اقرب . قل ، أي قل ماشئت . التليذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بن إليان البصري الأندلسي ، صاحب الأسماح الكثيرة
للكوك الطوائف ، ذكره صاحب القرب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لبيد^(١) :

* يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَسِيًّا *

أى يجلو التلاميذ لَوْلَا جديداً ، وطالبة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ، ولأدباء تاج يزينون به ويضعونه فوق رؤوسهم . انصرفت : رجعت . قضيت العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى تماماً . وقيل : قفى نخبه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ قَمَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٢) ، أى قلعهن وأحكم خلقهن ، ويكون « قفى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣١ ومصره :

* قَالَاءُ يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَا *

(٢) سورة فصلت ١٢ .

المقامة الثانية وهى الخلوانية

حكى الحارث بن مَهم قال : كَلِفْتُ مُذْ مِيطْتُ عَنِّي
التَّائِمُ . وَرَيْطْتُ بِي اَنْعَمَائِمُ ، بَأَنْ اَغْشَى مَعَانَ الْاَدَبِ ، وَاَنْصِي
إِلَيْهِ رِكَابَ الطَّلَبِ ، لِأَغْلِقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ،
وَمُزْنَةً عِنْدَ الْأَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ اللَّهْجِ : قَيْتَابِيهِ ، وَالطَّعْمِ فِي
تَقْمِصِ لِبَاسِيهِ ، أَبَاحِثُ كُلِّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَأَسْتَسْقِي الْوَبْلَ
وَالطَّلَّ ، وَأَتَمَلُّ بِمَعَى وَلَمَلَّ .

° ° °

كَلِفْتُ ، أى اشتدَّحَى ، والكَلَفَ : شدة الحبِّ والبالغة فيه ، وفلان كَلِفَ
بفلان ، أى مبالغ فى محبته . وَمِيطْتُ وَأَمِيطُ : أزيلت . التَّائِمُ : الأحرار .
نِيطْتُ : عَلَّقْتُ ، وإذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزلوا الأحرار عن عنقه ، وألبس
العمامة والإزار ، وَقُلْدُ السِّيفِ ، فأراد : أُحِبْتُ مَذْبَلْتُ الحلم مجالس الأدباء . أَغْشَى :
أقصد وأدخل .

المان : للنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة مَعَانُ مَنَّا ، أى منزل منا ،
قال العرى :

معان من أَحَبَّتْنَا مَعَانُ^(١)

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجمله منزل أحبابه . وقال بعضهم :

(١) سقط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبقية :

* تُحِبُّ الصَّاهِلَاتِ بِهِ التَّيَانُ *

سُمِّيَ معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأنّ فيه أعيانا . أنضى : أهزل
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازا ، وإنما يريد : أتعبت نفسى فرحت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعلق بها . الأنام : الخلق .
مُرّة : سحابة . الأوام : شدة العطش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزّن
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرط اللّجج : شدة الحب ، يقال : قد
لجّج بالشئ . إذا أكثر الحديث به لجه فيه ؛ وحرصه عليه . ولهج النصيل بالرضاع ،
إذا لجّ فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس التميمص . لباسه : ثيابه ،
أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحت : أسألت . جلّ : عظم . قلّ :
حقر . أستقي الوبل والطلّ ، أى أطلب منه السقى ، والوبل : أشدّ المطر والطلّ :
أضعفه ، ويقال : الرّكّ أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدنى : ركيك . أتعلّل :
أشغل نفسى وأطمعها . والعلالة : الشئ اليسير . وعسى ولعلّ : معناهما الرجاء
والطمع ؛ يريد أنه يسألت الجليل في العلم والخير ، ومنّ كثر علمه وكان كالوبل ،
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا قدّم من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطمعها .
والتعلّل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعلّل بشرايه ، إذا أخذ منه قليلا قليلا ؛
فغنى «أتعلّل بعسى ولعلّ» ، أذهب علّة وجدي بالرجاء والطمع .

فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوتِي ، وَقَدْ بَلَوْتُ الْإِخْوَانَ ، وَسَبَرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَا شَأْنَ وَزَانٍ ، أَلْقَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْإِنْتِسَابِ ، وَيَخْطِطُ فِي أَسَالِيِبِ الْاِكْتِسَابِ ؛
فَيَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّعْرَاءِ ، وَيَلْبَسُ حِينَ كِبَرِ الْكِبَرَاءِ .

[ذكر حلوان]

حلت : نزلت . وحلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وسميت باسم بانيتها ، وهو حلوان بن علي بن الحالف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .

* * *

بلوت : جربت . الإخوان : الأصحاب . سبرت : فقتت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جربت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زين ؛ يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس . ألفت : وجدت . يتقلب : يتنوع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يصنع عليه . يخطط : يمشي ، والخطط : المشي في الأرض على غير قصد كمشي الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعتزى : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزد بن القوث فشؤوا به . يبرز : يظهر . طورا : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب يلي الجسد . كبير : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك في أحوال المكدين ، ويمجى بذلك في طرق اكتساب العيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار الكدية]

وأصل هذا أن النرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاة وجراء وحروب

ورماية، فسكن من بق منهم الأمصار، واستعربوا وتلقوا، فكان منهم من نزع
الله به المسلمين، وكان منهم أهل أهواء وبدع، ونشأت منهم هذه الطائفة الخبيثة،
أهل الكدبية، فكانوا يطوفون على البلدان، ويقولون: نحن من بني ساسان،
فينتسبون إلى ملوكهم، ثم يتدللون في السؤال، ويذكرون تلاعب الدهر وانقلاب
حال الملوك إلى السؤال، فيمتع الإشفاق عليهم، وليليل بالرزق لهم، حتى شعر الناس
بمكرهم وخديمتهم، فطردوا، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا:
ساساني. وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكدبية،
فنسبوا إليه، كما أن الطائي منسوب إلى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل.
فأراد أن أبا زيد كان يتنوع في أحواله، فيتمسك تارة ويدعي أنه من
ساسان، ويتعاطم أخرى فينتسب إلى غسان، ويبرز مرة في أحلاس الشعراء
المكدين، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة، لباس الكبراء المنيرين.



يَبْدُو أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ، يَتَحَلَّى بِرُؤَاةٍ وَرَوَايَةٍ،
وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ، وَبَلَاغَةٍ رَائِعَةٍ، وَبَدِيعَةٍ مُطَاوِعَةٍ، وَأَدَابٍ
بَارِعَةٍ، وَقَدَمَ لِأَعْلَامِ الْمُلُومِ فَارِعَةٍ، فَكَانَ لِمَحَاسِنِ آلَاتِهِ،
يُبْلِسُ عَلَى عِلَالَتِهِ، وَلِسَعَةِ رَوَايَتِهِ، يُصَيِّ إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَلِخِلَابَةِ
عَارِضَتِهِ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَلِإِذْوَاقَةِ إِرَادِهِ، يُسْتَفْ بِجُرَادِهِ،
فَتَمَلَّتْ بِأَهْدَابِهِ، لِإِخْصَائِهِ آدَابِهِ، وَنَاقَسَتْ فِي مُعَافَاتِهِ،
لِنَفَائِيسِ صِفَاتِهِ.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُمَوِّبِي وَأَجْتَلِي
زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُتَمَتِّعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَمْنَاهُ غَيْبَةً وَرُؤْيِيَهُ رِيًّا ، وَنَحْيَاهُ لِي حَيًّا

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير . مُحَاله : باطله ، والمُحال ما لا يمكن أن يُتصور ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتحلى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في صُحْبَتِهِ ، وأصلها المخادعة . دراية ودَرْيَة : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائعة : معجبة ، وَمَنْ شاهدها ارتاع وتعجب . والبديهة والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهي الارتجال . مطاوعة : مُتَّفَادَة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائلة قد علما ، واللام في قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيداً ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التي قدمها التي تحلى بها . يابس : يصاحب ويخالط . علَّاته : عيوبه التي ذكر من أنواع الغربة . سعة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُصْنَى : يمال . خلافة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلافة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقاباته ومناقضه كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يتعرض أحد لجِدَالِهِ ، فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفضش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تُقَرَّب ناحيته . إirاده : أخذه في الكلام . يسمف : يساعد . أهدا به : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نائست : زائدت وغاليت . مصائنه : مصاحبته . تئاس : جمع تئيس ، وهو الرفيع من كل شيء يسئ تئيساً ، من التئس وهي العين ، حتى كأنه لرفعتة تملق به العين ، وقد قال المعري : فالعينُ يَسمُ منها ما رَأَتْ فَتَبَّتْ عذمو تلحق ما تهوى من الصور^(١) قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أنظر . طلق الوجه : مستبشراً ، والطلاق .

آلة يمزج بها للمشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من اللقمة وهي الصخرة للمساء ، فأملق ، كأنه صادف ملقة لاتنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان في ترقفه وغنى . أغراه : حرّضه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، قال صاحب العين : العراق : العظم بالاحم ، فإن كان عليه لحم فهو عَرَق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عُرَاق ، وللخالي من اللحم عَرَق . أبو عبيد ، العراق : القاعة من اللحم . أبو زيد ، قول العامة : ثريده العُرَاق خطأ ؛ إذ كان العُرَاق العِظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زَرَعه في عام جذب :

عَجِبْتُ من نَفْسِي ومن إِشْفَاقِها ومن طَرَادِي الطَّيْرِ عن أَرْزَاقِها
في سَنَةٍ قد كَشَفَتْ عن سَاقِها حُمْرَاءَ تَبْرِيِّ اللَّحْمِ عن عُرَاقِها
ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت العُرَاق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق القنزية^(١) : فجعلت لا آكل العُرَاق ولا أضمه ، قولا : « لا آكل » يدل على أن العُرَاق لحم مفرد أو لحم على عظم .

الأحمى ، قيل لأعرابي : أي الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دَكْنَاء من الفلفل ، رَقْطَاء من الحمض ، ذات حفايين من البضغ ، لها جناحان من العُرَاق ، قيل : كيف أكلك لها ؟ قال : أضدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين — يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شئت منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب فيها ضرب ولى السوء على مال اليتيم . فهذا يدل على أن العُرَاق قطع اللحم إذ كانت العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعُرَاق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عرَاقاً ، أكلت ما عليه من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكتاً .

العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سمي عراقاً لأنه سَقِلَ عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ من عراق القرية ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سُمي عراقاً لأنه دنا من البحر ، وبه يُنَاخ وينجد .

ويقال : استعرت إبلهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لَفَظَتْه ، أى رمته . ومعاوز : جمع مَعُوزَ ، والمعوز هو العوز نفسه ، والمعوز بالكسر : الثوب الخلق وجمعه معاوز . الإرفاق : مصدر أرفقته ، إذا أوصلت إليه ناعاً يَرْتَفِقُ به ، ورقيقته بمناءه ، فأراد بمعاوز الإرفاق فَقَدْ ما يَرْتَفِقُ به . والمفاوز : جمع مفازة وهى الصحراء ، سُميت مفازة على التفاؤل ، لأنَّ الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحى الأرض . نظمه : ضمه وجمعه . سَلَكَ : خِط . الرِّفَاق : جمع رُقعة ، وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه إذا أخذوا فى السير ، لأنهم يشون فيه واحداً بعد واحد ، فنظمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خَنُوق : اضطراب ، وقد خفق خَفَقاً وخُفُوقاً ، والإخفاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثله فى الصائده : صاد فأروق . شَحَذ : حَدَّ وسَنَّ ، وشحذ الرجل سيفه ، إذا أَلَحَّ عليه بالتحديد ، ومنه قولهم للملح فى المسألة : شحاذ ، والعامية تصحفه فتقول : شحات ، بالتاء . غَرَّار : حَدَّ . وأراد أنه لما عزم على الارتحال حَدَّ عزمته ، أى عَوَّل على السفر بجَدَّ . والعزيمة : مصدر عزم إذا جَدَّ ، وجعل لها حَدّاً ، مبالغة فى تعجيل السفر . ظعن : ذهب وارتحل . أَرْمَ : جمع زمام ، وهو حبل من جلود يشدُّ به فى حلقة بمجولة فى وتد أنف البعير ، فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وحينئذٍ إليه : كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه ، فن روى « القلوب » عادت الماء من « أزمته » على السروجى ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على السروجى ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقى » ، أى أعجبنى ، وقد راق الشيء يَرُوقُ رَوْقاً فهو رائق ، إذا أعجب . لاقى : لصق بى وصحبى .

شاقى : شوقى . ساقى لوصاله : دعانى لصحبته . لاح : ظهر . ندّ : فرّ ونرد .
ندّ : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خلال : جمع خُلّة بالضم ؛ وهى الصداقة ، خلال :
جمع خُلّة بالضم أيضاً ، وهى الخصلة . وهذا النمط فى وصف الصديق وغيبته بارع .
ولابن عمران فى ذلك :

يا مَرَجَباً بصديقٍ لستُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لى أَنَسٍ بِمِرْآةِ
وإن تَقَيَّبَ عن عيني فلم أَرَهُ فلى فؤادٍ بظَهْرِ الغَيْبِ رِغَامُهُ

وَاسْتَسْرَى عَنِّي حِينَا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينَا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينَا .
فَلَمَّا أَبْتُ مِنْ غَزْبِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبِي ، حَضَرَتْ دَارَ كَتَبِيهَا أُنَى .
هِيَ مُتَنَدِي الْمُنَادِّينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَعَرِّينَ ، فَدَخَلَ
ذُو لَحْيَةٍ كَثَّةٍ ، وَهَيْئَةٍ رَثَّةٍ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجَلَّاسِ ، وَجَلَسَ فِي
أَخْرِيَاتِ النَّاسِ .

o o o

استسر : غاب واختفى ، وأصله من سِرار الهلال فى آخر الشهر ، وهو
يستسر ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيناً : معلماً به
يبين لى أين استقر . أبت : رجعت . منبت شعبي ، أى بلدة قرابتي التى نبئتوا
فيها ، يريد البصرة . والشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . متندى : مجتمع .
القاطنين : الساكنين ، وقطن بالسكان : أقام فيه . كثة : كثيرة الأصول من
غير طول .

[مما قيل فى اللحن]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر: إنها لكثة، وقد كثت تكث كثانة
وكثونة، ورجل كث اللحية، ولحية كثمة، إذا كثفت وقصرت وجعلت،

ورجل كُنْهَمُ اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لذو عُثْنُون ، وإنه لَهْلُوف ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السَّنُوط والسَّنَاط ، ورجل سُنَاط : بَيْنَ السَّنَط ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك السَّنَط ورجل نَطَّ ، ورجال نَطَاط . والسَّبَلَة : مقدّم اللحية ، ورجل مسَبِل ، وفلان خفيف العذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالضدغ ، وهما العارضان ، وهما ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في حية حرب بن قطن :
هِيَوفَةٌ كَأَنَّهَا جُـوَالِقُ نَكْدَاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا أَخْلَاقُ
لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بِنَائِقُ إِذَا الرِّيحُ الْعَصْفُ السَّوَابِقُ
طَيْرَهَا طَارَتْ لَهَا عَقَائِقُ إِنْ الذِّى يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ
وَأُنْشِدُ أَبُو عَلِيٍّ :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ قَدْ كَثُرَتْ لَكَ الْحِيَةُ كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُـوَالِقِي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سعادة للرء خفة لحيته » . وكانت عائشة رضي الله عنها تقسم فتقول : « لا والذي زين الرجال بالاحتى » ، تقول : إنه قَسَمَ للملائكة .

قال الأحذب الصوفي : سمعت مطيار بن أحمد يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أشتبهى لحية كبيرة ، فقال لي : « لحيتك جيدة ، وأنت محتاج إلى عقل تام » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « اعتبر واعقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته ، وشس خاتمه ، وكنيته » .

أنى رجلٌ طويلُ اللحية معاوية فقال له : أَمَا اللحية فلا نسأل عنها ، فما تش خاتمك ؟ فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ^(١) ، قال : فما كنيتك ؟ قال : أبو الكوكب الدرّي ، قال : كَمَلِ الرجل .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقيض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المنثى : إذا رأيت رجلاً له حية طويلة ، ولم يتخذ حية بين لحيته ،
 كان في عقله شيء .

وكان المؤمن جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون
 أخبار الناس ، فقال المؤمن : ما طالت حية إنسان قط إلا وقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قط طويل اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يردّ على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينا هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال للمؤمنون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المؤمن لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده
 إليه ووقف بين يديه ، فسلم فأجاده السلام ، فأجلسه المؤمن ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال للمؤمنون : ما اسمك ؟ فقال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حذويه ،
 فضحك المؤمنون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : قهيه أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المؤمنون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلما تسلمها المشتري ، وقضى
 الثمن ، ضرطت ، فخرج من استها برة فققات عين رجل ؛ على من تجب دية
 العين ؟ قال : فنكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المؤمنون : وما الملة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن يستها منجنقاً ، قال : فضحك المؤمنون حتى استلقوا على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المؤمن يقول :

ما أخذت طالت له لِحْيَةً فزادت اللّٰهِيَّةُ في حِلْيَتِهِ

إلا وما ينقص من عقله
وقال آخر :

إذا عظمت للفتي إحيّة
فنقصان عقل الفتى عندنا
وأنشد أبو علي :

لا تفخرنّ بالحيّة
يهوى تفرّقها الرّيا
قدّ بدرك الشّرف الفتى
وقال : الحسيطة المجلة .

وأنشد أبو العباس رحمه الله :
كل امرئ ذى لحيّة عشوّيّة
وما الفضل في طول السّبال وعرضه
عشوّيّة : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحيّة عظيمة ، وقد
تلفّفت على صدره ، وإذا هو خاضب ، قال له : إنك من لحيّتك في مثوّة ، قال :
أجل ، ولذلك أقول :

لتمرّك لو يعطى الأمير على اللّحي
إذا لشتني لحيّ من عصاية
لما درم للدّهن في كلّ جمعة
ولولا نوال من يزيد بن مزيد
لأصبحت قد أيسرت منذ زمان^(١)
لهم عنده ألف ولى مائتان
وأخّر للحناء بيتدران
لصوت في حاناتها الجلمان

(١) الأبيات في اللسان (حل) من غير نسبة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بشرة آلاف درهم . والجلتان : القص ، ويسمى الجليم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داوُدِ وأنّني علّم في التّاسِ والجودِ^(١)
 ما شئتُ داودَ فاستضحكتُ من عجبِ كأتني واللّه يمشي بموَلودِ
 ما طولُ داودَ إلّا طولُ لحيته يظلُّ داودُ فيها غيرَ موجودِ
 تسكّنه خصلة منها إذا نفحت ريح الشمالِ ، وجفّ الماء في المودِ
 أجدي وأغني من الخبز الصفيق ومن بيض القطاف يوم القرّ والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحيةٍ يحملُها مائتُ مثل الشّراعين إذا شَرِعا
 تنوذه الرّيح بها طائعا قوفاً عنيفاً يُعيب الأخذعا
 وإن عدا والريح في وجهه لم ينبعث في مشيه إصبعا
 لو غاص في اليمِّ بها غوصةً صاد بها حيثانهُ أجمعا

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيّة الشّيخ الأزب تميم أهديت للأقوام عرف الثومِ
 لو أنها دون السماء غمامةً ضاقت مسالكُ دعوة المظلومِ
 أو صبّها في الماء ثم سَمّاها قامت مقام العارضِ المَرَكومِ

ولابن سارة :

ولحيةٍ لست أدري كيف أنبتها فضول أشعارها أودّت بأشعاري
 كأنها ويمينُ الرّيح تنشرُها مدبّة وقعت في عود بيطاري

وقال آخر :

أُبَصِّرْتُ شَيْخًا ذَاهِبًا جَائِيًا ذَا لَحْيَةٍ قَدْ كَبُرَتْ فِي اتِّسَاعِ
عَرْضًا وَطُولًا وَهُوَ مِنْ خَلْفِهَا كَأَنَّهُ نَاشِرُ ثَوْبٍ يُبَاعُ
وقال آخر :

لَقَدْ كَانَتْ مَجَالُهَا فِصَاحًا فَضِيَّتُهَا بِلَحْيَتِهِ رَبَاحُ
مُقَلَّبَةُ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ
وقال آخر :

يَأْتِيهَا النَّاسُ خَذُوا حِذْرَكُمْ قَدِ بَرَزَتْ لِحْيَتُهُ مُبْهُلُولُ
فَطَوَّلَهَا التَّرْسُخُ فِي فَرْسَخٍ وَعَرْضُهَا مِيلٌ إِلَى مِيلِ
لَوْ ضَمَّ مَا يَقَطُرُ مِنْ دُھْنِهَا أَسْرَجَ مِنْهُ أَلْفُ قَنْدِيلِ
وَلَوْ سَهَا الْحَجَّامُ عَنْ قَصِّهَا لَخَالَطَتْ مَا فِي السَّرَاوِيلِ
ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كثرة، وكل صفة بصفها السروجي
في المقامات، فذلك كانت صفة الحريري. وذكر ابن جهور أن الحريري كان
قليل اللحية لا خلقه، وإنما كان مولماً بنفثها، كانت يده رحمه الله لا تفارق
لحيته. وهذا على كثرتة قليل فيما قيل في اللحية.
قوله «رثة»، أي خَلَقَ بالية. أخريات: أطراف، وهي جمع أخرى.

* * *

ثُمَّ أَخَذَ يُبَدِي مَا فِي وَطَائِهِ، وَيُعْجِبُ الْحَاضِرِينَ بِفَصْلِ خَطَائِهِ،
فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ: مَا السِّكِّابُ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ؟ فَقَالَ: دِيوَانُ
أَبِي عِبَادَةَ، الْمَشْهُودِ لَهُ بِالْإِجَادَةِ.

* * *

أتى طاحنة رضى الله عنه مجلس قوم، فجلسوا ينادونه من كل جانب: هاهنا

يا صاحبَ رسول الله ! قال : فجلس في أدنى المجلس ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ من التواضع لله الرضا بالدُّون من شرف المجلس » .

وطابه : زَقَّاقَ لَبْنِه ، أراد أنه يظهر ما عنده . يعجب : يحلمهم يتمعَّبُون .
بفصل خطابه : يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته ، وقوله تعالى : ﴿ وَفَصَّلِ الْخِطَابِ ﴾ ^(١) هو قول الخطيب : « أما بعد » . يليه : يلصق به .

[البحتري وبعض أخباره وشعره]

أبي عبادة . قال البكري : هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ، من بني بختر بن عتود بن عُنَيْن ابن سَلَامان بن مُعَل بن عمرو بن العَوث بن جلهمة ، وهي طيء . شاعر مقدّم لا يُمدّل به أحد ، بفضل على حبيب ، والناس في تفضيلهما على اختلاف .

قال أبو الفرج الأصبهاني : كان البحتري شاعراً فصيحاً ، حسن للذهب نقي الكلام ، خُتم به الشعراء المحدثون ، وله تصرف في ضروب الشعر ، سوى الهجاء ، وإن بضاعته فيه نَزْرَة .

قال البحتري : وكان أول أمرى أني سرت إلى أبي عامر بِمَحْض ، فعرضت عليه شعري - والشعراء يعرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل عليّ ، فقال لي حين تفرّقوا : أنت أشعر من أنشدني ، فكيف حالك ؟ فشكوت خلّة ، فكتب إلى أهل ممرّة النعمان ، وشهد لي بالخلد في الشعر ، وشفع لي إليهم ، وقال : امتدحهم . فسرت إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته ^(٢) .

وحدث أبو الفرج ، قال : حدثني أبو العَوث البحتري ، عن أبيه ، قال : أول

(١) سورة م ٢٠ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

أمرى أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :

* أأفاق صبٍّ من هوى فأفقا *

فسرَّ أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يا فتى وأجدت - وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على ، ثم قال : أما تستجى منى ! هذا شعرى تنتحله وتشدّه بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحققاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشداً كثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متحيراً ، فقال لى أبو سعيد : يا فتى ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفنيك عن هذا ! فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ، ماسمته منه ، ولا اتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمتت أن يسأخ بى فى الأرض ، فممت منكسف^(١) البالي ، أجزّ رجلى ، فما بلغت باب الدار حتى ردّنى الغلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يا فتى ، والله ما قلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت ظننت أنك تهانوت بموضعى ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تلد طائفة إلا مثلك ، ودعانى وضئنى إليه ، وعافنى ، وأبو سعيد يضحك ، فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه^(٢) .

وعن أبى الفوثن عن أبيه قال : قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالاً جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لى : ظلموك ، والله ما وفوك حقك ، فلم استكرت ما أعطوك ! والله ليتبت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت المكارم ، وكسدت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٩

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أميرُ الشعراء غداً بعدى ، فمَتَّ قَبَّلَتْ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ
ورجليه ، وقلت : والله لهذا التولُّ أَسْرَى لي مما وصل إليَّ منهم .

قال البحتري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فأنشدني
بيت أونس :

وإن مُقَرَّمٌ مَنَّا ذَرَا حَذَنَاهِ تَمَخَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ^(١)

ثم قال : يابني ، نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي : فقلت : أَعَيْدُكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا ! فقال لي :
إن عمري ليس بطول ، وقد نشأ مثلك لطيئاً ، أما علمت أن خالد بن صفوان
الْمُنْقَرِيَّ رَأَى شَيْبَ بْنَ شَبَّةٍ ، وَهُوَ مِنْ رَهْطِهِ يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ : يَابْنِي ، نَعَى نَفْسِي
إِلَى إِحْسَانِكَ فِي كَلَامِكَ ؛ لِأَنَا أَهْلُ بَيْتٍ ، مَانَشَأُ فِينَا قَطَّ خَطِيبٍ إِلَّا مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ .
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحتري سنة ثلاث
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التي جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْفَتْحِ فِي
تَأْوِيلَاتِ^(٢) ، فَبَعَثَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَحْمِلَنِي إِلَيْهِ مَكْرَهًا ، فَوُرِدَتْ سُرَّةٌ مِنْ
رَأْيٍ ، فَأَدْخِلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَفِي الْمَجْلِسِ الْبَحْتَرِيُّ وَأَبُو الْعَنْبَسِ الصِّيمَرِيُّ ،
فَأَنشَدَهُ الْبَحْتَرِيُّ قَصِيدَةَ أُولَاهَا :

عَنْ أَيْ تَغَرٍّ تَبْقَمُ وَبَأَى طَرْفِي تَخْتَكِمُ^(٣)
حَسَنٌ يَصَنُّ بِحُسْنِهِ وَالْحُسْنُ أَشْبَهُ بِالكَرَمِ

حتى بلغ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْعَتَمِ

(١) وذرا حذنا به : انكسر ؛ كذا فسره صاحب اللسان ، واستشهد البيت .

(٢) ج : « تأويلاته » وهي ساقطة من العمودي وإنباء الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرتضى ابن المجتبى والنعم ابن المتقّم
أما الرعيّة فهي من أمانات عدلك في حرم
بابان المجد الذي قد كان قوَضَ فأنهَدَمَ
اسلمَ لدين محمد فإذا سلتَ فقد سلِمَ
نلتنا الهدى بعد العي بل والغنى بعد التدم^(١)

ثم مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العنبر ، وقال : يا سيدي
تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد ذلك :

في أيّ سلحٍ تنتظِمُ وبأيّ كفٍ تلتقِمُ
أدخلت رأس البحتريّ أبي عبادة في الرّحم

ووصله بما يشبهه من الشعر . فضحك المتوكّل حتى استلقى ، وقال : يُدفع
إلى أبي العنبر عشرة آلاف درهم ، قال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحتريّ
الذي هُجِيَ وأُسمِعَ السكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتريّ
عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصريّ الذي أشخصناه من بلده ،
ألا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال . وانصرفنا كلنا
في شفاعة الهذليّ ، ولم ينفع البحتريّ جدّه وحِذقه .^(٢)

وأما أبو الفرج ، قال : حدثني جعظة عن أبي العنبر الصيمريّ ، قال :
كنت عند المتوكّل والبحتريّ ينشده :

* عن أيّ قمرٍ تَبَقِّسِمُ *

وكان البحتريّ من أبيض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرّة
جانباً ، ومرّة القهقريّ ، ويهزّ رأسه مرّة ومنكيه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ! ثم يقبل على السّمعين ، ويقول لم :
مالك لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر

(١) الديوان : « بك والني » .

(٢) الخبر برواية للبرد في مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباء الرواة ٣ : ٤٤٤ .

المتوكل من ذلك ، وأقبل على قال : أما تسمع يا صيمري ما يقول ؟ قلت :
بلى ياسيدي ، فر فيه بما أحببت ، قال : بما أتى أهجه على هذا الروي ،
فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ	وعلمت أنك تهزِم ^(١)
يا بحتري حذارٍ ونحو	لك من قضاية صُعَم
فقد أسلت بواديـ	لك من المجاسيلِ القرم
فبأى عِرْضٍ تعصم	وبهتك جف القلم
واقه حلقه صادق	وقبر أحمد والحرم
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المتصم
لأصيرنك شهرة	بين الليل إلى القلم
يا بن الثقلة والثقيم	ل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكب	ير من اللوالى والحشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ ففضب البحتري ، وخرج يمدو ، وجعلت

أصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ وعلمت أنك تهزِم
والمتوكل يضطك ، ويصفق حتى غاب عنه .^(١)

ومدح البحتري بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطال الله مدته
يُعطى من العرف ما لم يُعطه أحد^(٢)
ينسى الذي كان من معرفه أبداً إلى العباد ، ولا ينسى الذي يمد
فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البتان خير من القصيدة .

وقال المذلي : قيل للبحتري : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير
من جيدي ، وردني خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتناق به أحد في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البحتري للمول ٨٧ .

(٢) معلق ديوانه ٢٠٤٥ .

فى جتيده ، وربما اختل لفظه لامعناه ، والبحترى لا يخل لفظه .

وقيل له : قد عثرت باحثناك أبا تمام فى شعرك ! فقال : أيعاب على أن أتبع أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالى !
وذكروا معنى تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى : أنت فى هذا أشعر من أبى تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر ؟ فقال : لأبى تمام استعراجات لطيفة ، ومعانٍ ظريفة ، وجيده أجود من شعر البحرى ومن تقدمه من المحدثين ، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره ، لأن البحرى يقول التصيدة كلها ، فتكون سليمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول البيت التادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعى ، وما أشبهه إلا بفائض يخرج الدرة المشلبة - وهى زجاجة توضع مكان الدرة - ثم قال : لأبى تمام والبحترى من الحسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ، ثم قال : والبحترى ختم الشعر ، وله بيتان لو وضعنا إلى شعر زهير لجازا فيه ؛ وهما :

فاسقه السفيه وإن تمدى بأنجمع فيك من حلم الحليم^(١)
مى أحفظت ذا كرم مخطئ إليك يبعض أفعال اللئيم

وذكر المبرد فى هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابنى صاعد أدت إليك غنائل ابنى مُخلد^(٢)
كالفرقدن إذا تأمل ناظر لم يمل موضع فرقد عن فرقد
وقوله :

من شاكر عني الخليفة للذى أولاه من فضل ومن إحسان^(٣)

حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَبْتُ رَأْيِي
وبعدهما :

أَغْنَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وله أيضاً في الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى الأسد قتله :

حَلَّتْ عَلَيْهِ السِّيفُ عَطْفُكَ مَا أَثْنَى ، وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَذُّهُ تَبَا (١)
فَأُجِجَ لَنَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَصَمَّ لَنَا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وله فيه :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بَنَ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَّا الْأَيَّامَ تُعْطَى وَتَحْرُمُ (٢)
سَجَابَ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ مَسِيلٌ وَبَحْرٌ عَدَائِي فَيْضُهُ وَهُوَ مَنْقَمٌ
وَبَدْرُ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذِمُّ الْفَيْثَ إِلَّا مَذْمَمٌ !
وله أيضاً في انتقاص صلح بين عشيرته :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَى عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ (٣)
وَلَسَّ لَهُمُ التَّيْدِيدُ أَشَدَّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
ومن جيد شعره :

وَلَا التَّيْنَا وَالْوَلْوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلَا قَطْعُهُ (٤)
فَمَنْ لَوْلُوْرٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُوْرٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقِطُهُ
والبعضرى مكثر جداً ، وديوان شعره نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص ؛ لأنه
شعره لا ينضبط لكثيره .

[وصية أبي تمام للبحتري]

قال البحتري : كنت أروم الشعر في حداثي ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانفذت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تحيّر الأوقات وأنت قليل المموم ، صفر من النوم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بحفظها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التثيب ، فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه بيان الصبابة ، وتوابع الكسابة ، وقلق الأسواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيد [ذى أباد] ^(١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وابن معاله ، وشرف مقامه ، ونصد المعاني ، واحذر المحتمل ^(٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ المهجنة ^(٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس ^(٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر الباطنين ، فما استحسن العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعامت نفسي فيما قال ، فوفقت على السياسة ^(٥) .

* * *

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيمَا لَمَحْتَهُ ، عَلَى بَدِيعِ اسْتَمْلَحْتَهُ ؟ قَالَ :
لَمْ أَمْ ، قَوْلُهُ :

(١) من زهر الآداب (٢) زهر الآداب : « المجهول » .

(٣) زهر الآداب : « الرديئة » . (٤) زهر الآداب : « نم اللين » .

(٥) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، السدة ٢ : ١١٤ .

كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُو مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ آفَاحٍ
فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، الْمُودَعِ فِيهِ .

* * *

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحته : نظرت . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مما ذكر من صنع البديع في [القائمة]
الثالثة والعشرين . والبدع : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبدعة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : المحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى بديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وابتدعها : خلقها بلا مثال . استملحته : وجدته مليحاً . يبسم :
يبدى بعض أسنانه عند الضحك . لؤلؤ : جوهر شبيه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقبله :

بَلَّ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْتَدُ مَجْدُولَ مَكَانِ الْوِشَاحِ^(١)
فَبَتَّ أَفْسَدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَهْيَ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَهْيَ لَاحِ
أَمْزُجُ كَأَيْسَى بِحَيِّ رَيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا بِرَاحِ
كَأَنَّمَا يَبْسُمُ الْبَيْت .

وبعد :

سَحَرُ الثُّبُونِ الثَّجَلِ مُسْتَهْلِكٌ لَهْيٌ ، وَتَوَرِيدُ الْخُدُودِ لِلِلَاحِ
قُلْ لِأَبْنَى نُوحٍ شَقِيقِ الْمَلَأِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَرْبِ التَّمَّاحِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي وَتَوَدَّتْنِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَحِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفَ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جُدُوكَ بَعْدَ النَّجَاحِ
أَتَمَّتْ حُسَادِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنْ سَيْبِكَ الْفُغْدَى عَلَى الْوَرَّاحِ
فَهَلْ لَأَنْسَى بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالٍ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

لَسْتُ عَلَى سَخَطِكَ جَدَّ التَّوَى وَلَا عَلَى هَجْرِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ .
قوله : « المودَع » : المضمَّن ، وأودع الشيء : صَيَّرَهُ وَدِيعَةً .

فَقَالَ لَهُ : يَا لَلْعَجَبِ ، وَلِضِيَمَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّدْرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ! وَأَنْشَدَ :

تَقْبِى الْفِدَاءَ لِثَغْرِ رَقٍ مَبْسُوءٍ
وَزَانَهُ شَبَّ نَاهِيكَ مِنْ شَبِّ
يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُوٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدٍ
وَعَنْ أَفَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبِّ

استسمنت : حبسته سميئاً وطلبت السمانة من هزيل . وَرَمَ : دُمْلٌ ، والمعنى
أنه يرميه بسوء الفهم ، وقد بين هذا أبو الطيب المتنبي قال :

أَعِيدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ونظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تننخ » ، والضرم : النار . الندر ، والناذر : الغريب . الثغر :
الأسنان ، مبسمة : موضع ابتسامه ، يعنى الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جملة الأمثال ٧ : ٣٠٠ : « نفخت لوتنفخ في غم » ، وانعم :
الجر الطال .

الشَّنب : للماء التليل الجارى على الأسنان . الجرمى : سمعت الأصمعى يقول : الشَّنب بَرَد الأسنان والقم ، قلت : أحبا بنا يقولون : حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثها وطرائفها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، يقال : ما هو إلا بَرَدها . ابن سيده : قال الأصمعى : سألت رؤبة عن الشَّنب ما هو ؟ فأخذ حبة رمان فأومأ إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أى قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية ونهى الرجل من اللحم وأنهى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنهى : الغدير لأنه ينتهى إليه ماء الوادى . يفتّر : يكشف وييسم . رطب ، أى طرى كما أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا ذاك رطوبة وسعاع بياض ، فإذا أصابه الهوى ودام عليه صلّب ، وإذا تداولته الأبدى باللمس وقدم تغير بياضه . الطامع : أول حمل النخلة ، وهو القرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه شبه الأسنان فى بياضه ، ثم الإغريض إذا افترق حبه ، وإنما شبه الأسنان بالطامع ، وهو القرخ ، لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ، ويقال له : الوريع ، قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليع تشقق عنه الرقاة الجفوف^(١)

الجفوف جمع جُف وهو قشر القرخ ، ويقال له القيفاء والبليلة ، وهو طيب الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحبّ : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر فى الحجر عند مزجها بالآ ، فأما الفقاقع التى تملو الحجر عند المزج فهى الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتلس^(٢) : عَقَارٌ أُعْتِقَتْ فى الدنّ حَتَّى كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ^(٣)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسيه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والقار : الحجر ؛ سميت عقارا لأنها عاقرت الدن .
والجر العبيقة : القديعة .

وقال آخر :

حَرًّا قَانِيَةً إِذَا مَا شَمَشَتْ نَزُو إِلَى وَجْهِ النَّدِيمِ حَبَابُهَا

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَعْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَقُّ قَائِلُهُ أَوْ مَنِيَّتُهُ ؟ فَقَالَ : أَيْمُ اللَّهِ ،
لَلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُذَبِّعَ ، وَلِلصَّدِّقِ حَقِيقٌ بَأَن يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَأْقُومُ ،
لِنَجِيَّتِكُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجُمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِبِرْزَوْتِهِ ،
وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
وَفَطَنَ لِمَا بَطَّنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَحَازَرَ أَنْ يَفْرُطَ إِلَيْهِ ذِمٌّ ، أَوْ
يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةُ
الْقَرِيضِ ، وَأَسَلَةُ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ أَظْهَرُ بِالسَّبْكِ ،
وَيَدُ الْحَقِّ تَصْدَعُ رِذَاءَ الشُّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
الْامْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يَهَانُ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَّضْتُ خِيَّتِي^(١)
لِلْاِخْتِبَارِ ، وَعَرَّضْتُ حَقِيقَتِي عَلَى الْاِغْتِبَارِ .

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعدّه على . استعلاه : طلب أن يكتبه . أيم الله :
يعين يحلف به . نجيتكم : محدثكم . معنى ذمه . ارتابت : شكّت والرّتبة الشكّ .
ببرزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعائه أنه من قوله . والدعوة
بكسر الدال في النسب ، وبتفتحها في الطعام . فتوجّس : أى أحسّ وسمع .
هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . بطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

يصدّقوه في أنّ الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساة : أطباء ، واحدم آس . القول للريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلص منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنجاس وغيرهما ، فإذا عرض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاء وجودة ، وما لم يكن خالصاً فضحّته النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غبر : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بَقِيَ » وهو من الأضداد ؛ يقال : غبر الشيء غبوراً إذا بقى ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(١) ، أى الباقيين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدّته حيث قال : غبر من الزمان . خبّيتى : مكتومى ، وما خبأت من على ، وأصل « خبّيتى » الهمز ، فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعلی خففت الراء ، وإن أتيت باللام شدّتها . والحقيبة : وعاء يحمله الراكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

* * *

فَابْتَدَرَ أَحَدُ مَنْ حَضَرَ ، وَقَالَ : أَعْرِفُ نَيْتًا لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَالِهِ ، وَلَا تَمَحَّتْ قَرِيحَةٌ بِمِثَالِهِ ، فَإِنْ آثَرْتَ اخْتِلَابَ الْقُلُوبِ ، فَانظُرْ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ

وَرَدَا وَعَصَّتْ عَلَى الْمُنَابِ بِالْبَرْدِ

° ° °

قوله : « ابتدر » ، أى سبق بالكلام وبادر به . والمنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن اليتزفيع الصنعة في الشعر لم يصنع بيت مثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قرعة : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إِمالتها إليك بتصديقك وانخداعك بما تبديه ، وهو من الخلب وهو من غشاء القلب . وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب : الذى بين الزيادة والكبد^(١) ، يقال : خلبنى حب فلان ، أى وصل حبه إلى خلبي ، وفلان خلب نساء ، أى تخليه النساء ، وخلاّب : يخلب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخبب جمعه خلبة ، وكله من الخلب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرِ مَا حُبُّ جُمِعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدْ
فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالْكَبِدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر في نوره انكسار وفور لا يكاد يُرَى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان في نظرها فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء في تشبيه العيون به]

وقد تهادى إنكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة في العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستعجن موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشيخى في صفرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب « الجمل » وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) في السان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكبد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والكبد

بالمشرق نُورٌ يشبه نُورَ القول . وأكثرَ مَنْ لقيته يستبعد التشبيه بهذا الأصفر ، لأجل لونه ، وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً ؛ وهو أكل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيه العيون بالسيوف والسهام ، إنما المراد به المضاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكّن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانُ قَدْ خَدَعَ الثَّمَّاسُ جَفُونَهُ خَشِيَ بِمَقْلَتِهِ ذُبُولَ النَّرْجِسِ ^(١)

والنرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هو نبات له قضبان خضر في رؤوسها أقعاق ، يخرج منها نور ينبسط منه على الأقعاق ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنوشروان ، فقال : النرجس ياقوت أصفر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرّد أخضر ، أخذ به بعضهم فقال فيه :

وَيَا قُوتِيَّ صَفْرَاءَ فِي رَأْسِ دُرٍّ مَرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ
كَأَنَّ بِهِيَ الدَّرَّ عَقَدَ نَظَامَهَا فَرِيدٌ أُنَيْقٌ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدٍ

وأنشد أبو عَوْنُ الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في النرجس ما أنشده للبرّاد رحمه الله تعالى :

تَرْجِسُهُ لِحَظِي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)
وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

تَرْنُو بِأَبْصَارِهَا إِلَيْكَ كَمَا تَرْنُو إِذَا خَافَتِ الْيَعَافِيرُ^(٢)
مثل البواقيت قد نُظْمِنَ عَلَى زَمْرَدٍ فَوْقَهُنَّ كَافُورُ
كَأَنَّهَا وَالْعَيُونُ تَرْمُقُهَا دَرَاهِمُ وَشَطَاهَا دَنَائِيرُ
وقال أبو نواس :

لَدَى رَجَسٍ غَضُّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَنْحَاهُ الْعَيُونُ عَيُونُ^(٣)
مُخَالَفَةٍ فِي شَكْلَيْنِ وَصَفَرٌ مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُنُونُ
أَجَادَ التَّشْبِيهَ ، وَكَشَفَ بِذِكْرِ الْمُخَالَفَةِ قَنَاعَ الشَّبْهَةِ ، وَبَيَّنَ مَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ
غَايَةَ الْبَيَانِ .

وقال أبو عبد الله بن فرج في كتاب الحلاس والحسوس ، له : وَأَحْسَنُ بَيْتٍ
أُتِّشِدْنِيهِ أَبُو جَعْفَرُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَمِسٍ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبْرِجَدِ
وقال أبو الفرج البغواء :

وَنَزَجَسَ لَمْ يَمْدُ مُبَيِّضُهُ إِذْ كُنَّاسَ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا^(٤)
تَحَالُ أَحْقَاقُ لَجْبَيْنِ حَوَتْ مِنْ أَصْفَرِ الْمَسْجِدِ أَقْدَاحَا
كَأَنَّمَا يُهْدَى الْحَيِّ بِهَ لَفْظًا إِلَى الْأُرُوحِ أَرْوَاحَا

(١) كتابة التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأدب ١١ : ٢٣٥ ، والباقع : جم يفرور ، وهر الطي بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) يقيمة الدهر ١ : ٢٢٨

يعنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحا
وقال ابن المعتز :

كَأَنَّ عَيُونَ النَّجَسِ الْغَضَّ يَنْنَا مَدَاهُنْ دَرٍ يَنْهِنَ عَقِيقُ^(١)
إِذَا بَاهِنَ الْقَطَرِ خَلَّتْ دُمُوعُهُ بَكَاءَ عَيُونِ كَحْلِهِنَّ خُلُوقُ
وقال النّاشئ :

أَخْصَرَ الصَّفَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا مَنْ كَتَبَ
عَيُونٌ بَلَا أَوْجِهٍ لَهَا حَدَقٌ مِنْ ذَهَبٍ
وقال ابن الرومى :

يَا نَجَسَ الدُّنْيَا تَرَى أَبَدًا لِلْإِفْتِرَاجِ وَدَامَ النَّعْبِ
ذَهَبُ الْعَيُونِ إِذَا مَثَلْنَا دَرِ الْجَفُونِ زَبَرَجَدُ الْقَصَبِ
وهذه الصفة التي أثبتتها أهل المشرق للنّجس، هي التي يصف بها أهل المغرب
البهار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حَدَقُ الْحَسَانِ تَرَى لِي وَتَفَارُ وَتَظَلَّ فِي صِفَةِ الْبَهَارِ تَحَارُ
طَلَعَتْ عَلَى قَضْبِ عَيُونِ كَأَنَّمِ مِثْلُ الْعَيُونِ تَحْنَهَا الْأَشْفَارُ
وَأَخْصَرْتُ شَيْءَ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي دَرٍ تَمْنَطُقُ سَلَكُهُ دِينَارُ^(٢)
أَهْدَى لَنَا قَضْبَ الزَّبَرَجَدِ سَاقُهُ وَحَبَاهُ أَنْفَسَ عَطَرِهِ الْقَطَارُ
أَنَا نَجَسٌ حَقًّا بَهَرْتُ عَقُولَهُمْ بِدَبِيعِ تَرْكِبِي قَبِيلِ بَهَارُ
يَبَيِّنُ أَنَّ الْبَهَارَ عِنْدَنَا، هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ نَزْجًا .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كذا في ج ، و ق ط : • سلكه دينار • .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مغنا
كما أنه من نوره الخليل الندي^(١)
مدهنٌ تبير في أنامل فضيه
على أذرع مخروطه من زبرجد
وقال القسطلي^(٢) :

بهارٌ يروقُ بمسكٍ ذكيٍّ وصنعٍ بديعٍ وخلقٍ عجَب
غصون الزبرجد قد أورقت بها فضة نورت بالذهب
وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

وبهارٍ يحكي كنوس الجُنين حنتها أنامل من زبرجد
سابرتها الكواكب الزهر حتى سمرت وسطها كواكب عسجد
وأشدني بعض أسياخنا :

انظر إلى حُسن البهارِ وغنجه
يرنو إليك بمقلتي وسنان
فكأنما هي راحة من فضة
قد صُممت كُسا من العقيل
وكان شرّ نسيمه غب الندي
ياتيك بالأنفاس من بعدان

والذي تسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال
الحريزي في العاشرة : « ووردني بالبحار » ، دعا فيباع على الغلام بالحتى ، وأن
ينعكس حمرة خذه صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إن وجه الحنّى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهراً جهاراً^(٣)
لم تشنْ وزدَ وجنتيه ولكن صيرتَ وزدَ وجنتيه بهاراً^(٤)

(١) القخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن حراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشن وجهه للبح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

ياشاكيا صدني عن مته ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أتم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قرير رقيه في سماء المجدِ والكريم
لم أَرْضَ قلبي مكاناً إذ حلت به حتى خلطتكَ في سوادته برمي
أنت البهار ولا أدري متى خلعتُ عليك أيدي الليالي نرجس السمر

ولابن الزقاق :

وغزال ذي اعتدال شفّه بعد ما شقّ هواه الأنفُسُ
جارت الحمى على وجنته فاستحال الوردُ منه نرجساً

ثبت بما قدمناه، أنّ نرجسهم بهارُنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدلّ على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن بُرْد في لفظ واحد ، أخذ ابن بُرْد منه صفة النرجس ، قلبه لاسم البهار حين نظمه .

واعلم أن تشبيه العين بنرجسهم أئبن لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى ، وهو مع ذلك متكرّر في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقصة ابن الرومي في تفضيله النرجس على الورد :

إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَالٌ وَشَوَاهِدٌ^(١)
 نَاظِرٌ إِلَى الْمَصْرِ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْطِنُ فَمَا بَصَرُ إِلَّا الْحَاسِدُ
 فَلَوْلَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَشْعَارِهِمْ ، لَحَكَمْنَا بِهَذَا الْيَتِ ، عَلَى أَنْ تَرْجِسَهُمْ هُوَ
 تَرْجِسُنَا ، وَمَذْهَبُ ابْنِ الرُّومِيِّ^(٢) تَفْضِيلُهُ عَلَى الْوَرْدِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوَجْهِ الْعِيُو نٌ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا التَّرْجِسُ
 وَالنُّوَسُ تَتَشَوَّقُ إِلَى رُؤْيَا تَرْجِسِهِمْ ، لِأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ تَرْجِسُنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،
 حَتَّى نَعْلَمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النُّوَارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ
 لِنَظَرِ تَرْجِسُنَا .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَةُ الْقَاضِي الْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ لُبَّالٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ
 عَشِيَّةً خَارِجَ إِسْبِيلِيَّةِ أَيَّامِ حَدَائِقِي وَقَرَأْتُ فِيهَا ، فَجَلَسْتُ فِي وَسْطِ وَاذِيهَا ، وَيَدِي
 كِتَابٌ أَنْظُرُ فِيهِ ، وَإِذَا رَجُلٌ يُحْمَلُ حَوَالِيَّ ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ يَأْخُذُ وَيَنْشُدُ
 لِلْأَشْعَارِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَظَاثَرُ مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ ، فَمَا كَرِهَتْهُ فَوَجَدَتْهُ بِحَرَ أَدَبٍ ،
 فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَحْذُوظِهِ ، فَقَالَ : أَحْفَظُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ يَتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَسَأَلْتُهُ : هَلْ
 تَنْظُمُ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي فِي وَصْفِ فَرَسٍ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَائِلُ :

(١) أورد التوريري في نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ من شعر ابن الرومي أبا تانها :

خَجَلْتُ خَدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمَوَرَّدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
 لِلتَّرْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبِي آبٍ ، وَحَادَ عَنْ الطَّرِيقِ حَائِدُ
 فَضْلُ الْفَضِيلَةِ أَنْ هَذَا قَائِدُ زَهْرُ الرَّبِيعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
 شَتَانٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مَوْعِدُ بَسْلُ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

منع الخوافر أن تطين به التّرى فكأنه في جريه متمسّق
وكان أربعة توافق طرفه فكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته ، وراجعت في قوله : « آطين » ، قلت له : إنما هو « تطان » ، فلم
يعرف اللفظ ، وإنما تكلم بلاهر على لحن عامته ، فجزّيته في غيره ، فوجدت
شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ ، لا من جهة العلم ، فسألته عن بلاده ، قال :
أنا من العراق ، قلت له : فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس ؟ فقال لي :
لأرى التّرجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً . ودعاني إلى الإطالة في ذكر
التّرجس رغبةً أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقت فيها زماناً طويلاً ،
لا أجد من يرفعها عني .

[ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النّظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الدّستقي
المعروف بالوأواء ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيّمته ^(١) ، قال : أبو الفرج من
حسان الدهر ، وصاغة الكلام ^(٢) .

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البطح بدمشق ينادي على الزواك ،
وما زال يشعر حتى جاد شعره ، ووقع له ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعلّق
بالمعيق ^(٣) .

وقال الفتح بن خافان : إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما

(١) يتيمة الدهر : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) اليتيمة : من حسان الشام ، وصاغة الكلام .

(٣) اليتيمة : حتى يلو الموق ، والمعيق : نجم أحر مضيّ وطرف المبرة الأيمن
أو التريا لا يتقدمها .

دخلت مجلسي أقيمت خلافة^(١) جاريقي ، فلم أملك أن ، قُبْتُها ، فوجدت ما بين
شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام الفتح ، فقال
'لوأواء ملأ به'^(٢) :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَنْفَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَّاحِ عِنَاقًا^(٣)
بَطِيبٍ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلَبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْمَحْمُومُ فِيهِ أَفَاقًا^(٤)
وله أيضًا :

بِاللهِ رَبِّكَمَا عُوجًا عَلَى سَكَنِي وَعَاتِبَاهُ ، لَعَلَّ الْقَتْبَ يَعْطِفُ^(٥)
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهِجْرَانِ تُتَلَفُ !
فَإِنْ تَبَسَّمْ قَوْلًا فِي مِلَاطِفَةٍ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بَوَّالٍ مِنْكَ تَسْعِفُهُ !
وإن بدا لكمان سَيِّدِي غَضَبٌ فَمَا لَطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وله في النحول :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مَنًى سَوَى رُوحٍ تَرَدَّدَ فِي خَيَالٍ^(٧)
خَفِيتُ عَنِ الْمَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَنًى فِي مُحَالٍ

(١) اليقظة : « استقبلني فلانة — يعني جارية له — فلم أملك أن قبلتها » .

(٢) اليقظة : « فكان هنا مما يحسن ويستظرف من كلام الفتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبعده هناك :

تَمَلَّكْنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقْنِي لَمَّا أُمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاطفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن التوايب » .

وله في الزَّرَقَة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخُرُّ فِي أَفْئَالِ مُقْلَتِهِ ^(١)
وَمَنْ بَرْزُقَةُ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي وَالسَيْفُ ، مَا فَنَزَرُهُ إِلَّا بِزُرْقَتِهِ
عَلِمْتَ إِنْسَانٌ عِنَى أَنْ يَوْمَ قَهْدُ جَادَتْ سِيَّاحَتِهِ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ بِأَمْهِجَتِي مَهْجَتِي وَأَسْهَرْتُ يَا نَاظِرِي نَاظِرِي ^(٢)
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ ^(٣) وَلَا هَجَسَ الْمَجْرُ فِي خَاظِرِي ^(٤)
فَبَذْتُ بِالْوَصَالِ فِدَتَكَ الْنَفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْمَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّقْتُ نَظْمَ الْقَرِيبِ فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُفِيقُنَا لَنَا بَرَقَ الشُّغُورِ أَدَلَّةٌ إِذَا مَا صَلَّلْنَا فِي ظِلَامِ الدَّوَائِبِ ^(٥)
قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :
فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسٍ ... الْبَيْتِ ^(٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبسده :

وَمَنْ خَلَعْتُ عِدَارِي فِي هَوَايَ لَهُ وَمَنْ تَهْتَكُ سِرِّي فِي حَبَابِي

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يَا ظُلُوم »

(٤) الديوان : « وَلَا خَطَرَ الْهَجْرِ » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

قِفُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ لِنَبْذِلَ مَذْخُورَ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضمنه خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضمنها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قُرّاً ، ومالتْ حُوطَ بَانٍ ، وفاحتْ عَنبراً ، ورنتْ غَزَالاً^(١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد على أكثر منه ، إذ لا يحتمل القروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خلوتُ بها والكأسُ نائلةٌ لنا وجُنْحُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قد مدَّ وَاَتَانِجُ^(٢)
فتاةٌ عَدِمْتُ العيشَ إِلَّا بقرِهَا وهل في ابتغاء العيشِ وَرُغْمُكَ من حَرَجٍ !
كأني وهى والكأسُ والحمرُ والدُّجَى تُرى وَحْيًا والدرُّ والتُّبرُّ والسَّيْنُجُ
وقبل بيت الرأواء :

إنسيّةٌ لو بدتْ للشمسِ ما طاعتُ للنّاظرين ولم تتربُّ على أحدٍ
فالت وقد فتكتُ فينا لواحِظُهَا : ما إن أرى لقتيلِ الحبِّ من قَوْدٍ^(٣)
فأمطرتْ لؤلؤاً من رَجسٍ وسقتُ ورذاً وعصفتُ على العَنَابِ بالبردِ
ثم استمرتْ وقالت وهى ضاحكةٌ :

قومُوا انظُرُوا كيفِ فِئْلُ الظَّبْيِ بِالْأَسَدِ !^(٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدَا لَيْثٍ وَصَحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلَامِ مَا كَبِدِي !^(٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ . (٢) طوق الحمامة ١٥ .

(٣) الديوان : ٥ كم ذا أما .

(٤) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كأنما بين غابات الجفونِ لها أشدُّ الحمامِ مقياتٍ على الرِّصَدِ

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ مُبْدِي
لِيَ هَجْرَ الطَّوِيلِ وَلَا يَزُورُ^(١)
قَالَ النَّاسُ لِمَا أَبْصَرُوهُ
لَيْتَنِكَ زَارَكَ الْقَمَرُ لِلنَّيْرِ
قُلْتُ لَمْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي
عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ نَثِيرُ
وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا يُلْزَأُ عَيْنِي
لَكَانَتْ مِنْ مَدَامِعِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

قَلَمَ يَكُنْ إِلَّا كَلْفَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أُنْشَدَ
فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضَوُ بُرْقِعِهَا أَلَا
قَمَانِي وَإِيدَاعَ مَعْنِي أَطِيبَ الْخَبْرِ
فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَمِّي سَنَا قَرِ
وَسَأَقَطَتْ لَوْلَا مِنْ خَائِمِ عَطْرِ

° ° °

قوله : «لح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغيب عنه بسرعة ،
وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغير . نضو : كشف . الثاني :
الأخر . إيداع معني : إعطاء أذن ، كأنه جعله وديعة عنده . زحزحت : أزال .
الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غمى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قواح
طيب للتنفس . ويت الحريري في صناعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعد تشبيهات
هيت أبي النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية ، فيقول : إنها ثرت
دموعها على مَنْ قتل من عشاقها ، فسقطت على خدّها فبلّته ، وعضّت

على أصابعها المصبوغة بالحناء، فجعل البيت كله استعارة ، قال : « فأمطرت
لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عينا وخدّاً ،
وذكر عتّاً وبرداً ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمن تحت ألفاظه هذا المعاني ،
وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، مقابل الحريرى هذا
بقوله : « نزعحت شفقاً » ، وهو يرى نقاباً أحمر ، وذكر « سناقر » وهو يريد
ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثانى فى
مقابلة بيت أبى الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فساءها ،
أن تكشف عن وجهها وتحذته ، فأزالت نقابها ، وأسممته كلاماً حسناً من فم عطر .

[مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبّه به الأسنان فى مثل قوله :

* كأنما ييسم عن لؤلؤ رطب *

، وقوله :

* يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد *

ويشبه به الكلام فى مثل قول البحترى :

* ومن لؤلؤ عند الحديث ناسقطة ^(١) *

، وقول الحريرى :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداع ودمعنا ودمعي يُبِيرَان الصَّبَابَةَ والوجدَا

بكت لؤلؤاً رطباً قاضت مدامي عقيقاً ، وصار الكلّ فى نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسى بفسونها حتى أتاك بلؤلؤ مشور

(١) ديوانه ١٧٣٠ ، ومصدره :

* فـن لؤلؤ تجلوه عند ابنسليمها *

فأخذه الرماذي فحسنته فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين
غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامناً
قال : فوقت استمارة التبتسم للعين موقفاً لطيفاً ، وإنما هو للشعر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدائق يتجليون في أخذ الماني بترك القافية والوزن ، كقول
ابن شهيد :

ولما فشا من دمعنا بعض سِرِّنا إلى كاشحين والقلوب كواهم
أمرنا بامساك الدُموع جُفوننا ليشجي بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت فنظمت بين الحاجر ناظم
وراق الهوى منأ عيون كريمة تلحن حتى ما تروق المتألم

[من قولهم في الامتحان]

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تبيض صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاحوا إلى قولي نأسمت صمهم وغاصوا على سري نأعيام أمري
قال فريق : ليس ذا الشعر شِعْرُهُ وقال فريق كَيْفَنُ الله ما نَدْرِ
فمن شاء فليخبر فإني لحاضر ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر

وينظر في هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبي بكر
ابن سبي^(١) حين استهدى بعض إخوانه أقلاماً ، فبث إليه ثلاث من القصب ،
وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر الملاح قصباً كأننا صاغها الصَوَّاع من ورقه
يزحم بها الطرس حسناً ما نثرت به مسك اللداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن سبي ، ذكره أبو الفتح بن خالان في الثلاث ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدياء .

فأجابه أبو بكر بن بَقيّ قال :

أرسلت نحوى ثلاثاً من قنّا سلب ميادة تلعن القِرطاس في ورقة
فالخطُ بنكرها والخطُ يعرفها والرقّ يخدمها بالرق في عنقه
فحسده عليها بعض من سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، قال أبو بكر يخاطب
صاحبه الأول :

وجاهلٍ نسب الدّعوى إلى كلى لنا رماه بمثل النّبل في حدّة
قلت من حَقّق لنا تعرّض لي : من ذا الذي أخرج اليربوع من نفقه !
ما ذمّ شعري وأيم الله لي قسم إلا اسرّ وليست الأشعار من طرقة
الشعر يشهد أنّي في كواكبه بل الصّباح الذي ينشق في أفقه

[بديهة السّلاي]

وخرج السّلاي^(١) إلى الموصل وهو صبّى حين رآه ق البلوغ ، فوجد بها أباعمان
الخالدي وأبا الفرج البغّاء وأبا الحسن التّلفريّ وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا
منه ، وآتهموه في شعره ، قال الخالدي : أنا أكفيكم أمره . فآخذ دعوة ، وجمع
الشعراء والسّلاي معهم ، فلما توسّطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قدر
بضاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطرٌ شديد وتلج وبرّد عمّ الأرض كثرة ، فألقى
أبو عثمان الخالدي نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرّد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم
في أن نصف ذلك ؟ فقال السّلاي ارتجالاً :

لله درّ الخالديّ الأوحد النّذب الخطير
أهدى لاء اللّزبِ عن جدّ جوده نار السّعير
حتى إذا صدر العتّا ب إليه من حنق الصّدور^(٢)

(١) هو عمّد بن عبد الله بن عمّد السّلاي ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشعر أهل العراق في
عصره ، ومن ترجم لهم التّحالي في البقية ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٨ ، والجزيري ترجمه في ابن
خلكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خلكان : « من حر الصدور » .

بعثت إليه بعذره من خاطري أوفى الشور
لا تمدُّ لوه فأنسا أهدى الخدود إلى الثور
فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلا التلعفري ، فإنه أقام على
قوله فيه ، حتى قال السلمي فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُر
لو كنت تعرف والدًا تسو به
تاه ابن فائمة السوق على الورى
وبلادة في الشعر تعلم أنه
وما كنت أول طالب لم يظفر
لم تنسب صفه إلى تلعفر
بذل صفات ونكته أبحر
تيس ولو نصرت بطبع البعثري
وقال فيه :

سما التلعفري إلى وصالي
بناق خلقه خلقي وتآني
فصنعتي اللطيفة في لاني
فإن أشمر فما هو من رجالي
ونفس الكلب تكبر عن وصالي
فعالي أن تصاف إلى ذمالي
وصنعتي الحسنة في قذالي
وإن يصفع فما أنا من رجالي

[من نواذر صاعد بن الحسن الريمي]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسنة ، أن صاعداً^(١) اللغوي
منهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورة ورد لم
تفتح أكامها ، قال فيها صاعد ارجعاً :

أتسك أبا عامر ورده
كعذراء أبصرها مبصر
يذكرك المسك أنفاسها
فقطت بأكامها رأسها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الريمي ، وقد عدل المنصور بن أبي عامر بنده .
وله منه أخبار ونواذر مشهورة في الأدب والمثاق ، ابن خلكان ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بتصر لفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، قال له النصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب وجعل بحث ، حتى ^(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بدية - فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إني قصر عباسية وقد صرع التوم حراسها ^(٢)
 أبيتاً ضمن فيها البيتين ، فكتبها ابن العريف بخط بصري ^(٣) ، وصار بها إلى النصور . فاشتد غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان . ^(٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوار ياسين ^(٥) على بركة ماء حساؤها الدر والجوهر . ودعا في مجلس حافل ، وقال له : هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدّم بين يدي ذلك قبلي ، نصفه فقال على البدية : أبا عامر هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف ^(٦) !

(١) من القخيرة .

(٢) بضم كاف القخيرة :

فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
 فقالت : أسار على هجمة ؟ قلت : بلى ، فرمت كأسها
 ومدت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أغاسها
 كمذراء أبصرها مبصر ففطت بأكتافها رأسها
 وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
 فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها

(٣) القخيرة . « مصري » .

(٤-٤) القخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سفائف من ضروب التواوير ، ووضع على السفائف

جوارى ياسين » .

(٥) القخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وبمده :

يسوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاعها هامرُ الحيا حُلِيًّا فَنَها عَبَقَرُ ورَقارُ
ولما تَفَاحى الحسن فيها تَقَابَلَتْ عليها بأنواع اللامى الوصافُ
كثُلُ الظباء المستَكِنَّة كُنُسا تظللها بالياسمين السَّافُ
فلم تر عيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ^(١)
والحكاية طولها في القسم الرابع من الذخيرة.^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فدب إليه إلى شيء من الترنجان يعث به،
ورمى به إلى صاعد معرضاً بأن يصفه، فقال :

(١) بعده في الذخيرة :

وأعجب منها أنهم نواظِرُ إلى بركة صُمَّتْ إليها الظرافُ
حصاها اللآلى ، سابحٌ في عُبَاجِها من الرُقش مسموم اللعابينِ راجِفُ
ترى ما نشاء العينُ في جنباتها من الوحش حتى يَبْهِنَ السَّلاحِفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها النصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية
تجذب بمجناف ذهبه، لم يرها صاعد، فقال له للنصور: أجبت إلا أنك لم تصف هذا الجارية،
فقال :

وأعجبُ منها غادة في سفينةٍ مكلَّلة تصبو إليها المَهايفُ
إذا راعها موجٌ من الماء تَتَقَي بكَانِها ما أُنذرتُه العواصِفُ
مضى كانت الحسناء ربان مركب تصرَّف في يميني يديها المَجادِفُ
فلم تر عيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ
للآخر الأيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى ريفي زاهرة » .

لم أذرِ قبلَ ترنجابِ عَيْثُ بِهِ أَنْ الزُّمَرِدَ قَضِيانَ وَأُورَاقُ^(١)
 مِنْ طِيْبِهِ سَرَقَ الْأَتْرَجَ نَسَكْتُهُ يَأْقُومُ حَتَّى مِنَ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ!
 كَأَنَّمَا الْحَاجِبُ لِلنُّصُورِ عَلمُهُ فَعَلَ الْجَلِيلُ فَعَالِيَتَ مِنْهُ أَخْلَاقُ
 مَنْ لَيْسَ يَقْعُدُهُ عَنْ سُؤْدَدِ كَرَمٍ وَلَا يَقُومُ لَهُ فِي سُوءِ سَأَقُ
 وَهُوَ أَيْضًا :

بَعَثَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِي دَارِي مَحْزَمَةَ كَلَوَانِ الْعِيقِ^(٢)
 تَوَكَّلْ بِالْعُكُوفِ عَلَى التَّصَانِي^(٣) وَتَصْطَادِ الْخَلِيقِ مِنَ الطَّرِيقِ

فَحَارَ الْحَاضِرُونَ لِبِدَاهَتِهِ ، وَاعْتَرَفُوا بِزَاهَتِهِ . فَلَمَّا آتَسَ
 اسْتَنَاسَهُمْ بِكَلَامِهِ ، وَانصَبَإُهُمْ إِلَى شَيْبِ إِكْرَامِهِ ، أَطْرَقَ كَطَرْفَةِ
 الْعَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَدُونَكُمْ يَتَيْنِ آخَرَيْنِ ، وَأُنْشِدْ :
 وَأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلُلِ
 سُودٍ تَمَضُّ بِنَانَ النَّادِمِ الْحَصْرِ
 فَلَاخَ لَيْلٍ عَلَى صُبْحِ أَقْلُهُمَا
 غُضُنٍ وَضُرْسَتِ الْبُلُورَ بِالذَّرِيرِ
 فَحِينَئِذٍ اسْتَسْنَى الْقَوْمُ قِيَمَتَهُ ، وَاسْتَفْزَرُوا دِيَمَتَهُ ، وَأَجْمَلُوا
 عَشْرَتَهُ ، وَجَمَّلُوا قِشْرَتَهُ .

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٤ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : « بالزوف عن التصاني » .

قوله: «لبداهته» ، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة ، ويقال :بداهه بذهًا وبديهية وبدَاهة ، إذا فجأه . وبده فى كلامه : إذا لم يتفكر فيه ، وفلان حسن البدية والتبداهة ، أى الارتجال .

[مما قيل فى البدية الحاضرة]

والقول من غير تفكر وهو عندهم مما يمدح به ، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة ، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له : دَعُوا الرأى حتى يَحْتَمِر ، فلا خير فى الرأى الفطير ، والقول القصير .
وقال المنصور لكتابه : لا تبرم أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآته تزيه حسنه من قبيحه .
وقال أيضاً : الحكمة نور الفكرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير فرع الهمة .

قال ابن الرومي :

نارُ الرويةِ نارٌ جدّة منضجةٍ وللبديةِ نارٌ ذاتُ تلويحٍ^(١)
وقد يفضّلها قومٌ لبعاجلها لكنه عاجلٌ يَمْضى مع الرّيحِ

وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :

يريدُ الملوكُ مدىَ جهنمٍ ولا يصنمونُ كما يصنعُ^(٢)
وليس بأوسعهم فى الفنى ولكنّ معروفه أوسعُ
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجقِعُ^(٣)

وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء . إذا التبتت على الناسِ الأمور

(١) بدائم البلاءه ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧ : ٣٧ .

(٣) الأغاني : ٥ بديهته متى رمته .

وقال إبراهيم بن العباس الصولى فى الفضل بن سهل :

يقضى الأمور على بديته وتريه فكرته عواقبه
فيظال بوردتها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلماً فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ فى دولتك، والمتقلب فى نعمتك، والمؤمل بخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال للمأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول. ثم أمر أن ترفع مرتبته فى الديوان.

قوله : « بنزاهته » أى برفقته وبعده من التهمة بسرقة الشعر . آنس : أبصر . استثناسهم : أنسبهم وتركهم الإنكار . طرفه : نظرة ، قد طُرف يطرف طرفاً ، إذا حرك جفنيه بعد النظر . دونكم : إغراء ، ومعناه خذوا حذرکم واسموا . جد : تحقق . البين : الفراق . بنان : أصابع . الحصر : المنقطع عن الكلام عيلاً . ليل : أراد به نقاباً أسود . صبح : وجه . أفلها : رفعها . غصن : قد . ضرست البلور : الأصابع . الدرر : الأسنان .

[نقد شعر الحررى]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدم استثناساً بأنه غير مدح فى الشعر ، ودل على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما ، وهو قد أخرج معنى زائداً فى البيت ولم يصرح به لما عليه فى ذلك من التقصير عن درجة غيره ، وذلك أنه لما لم يستوف مقابلات أبى الفرج مرةً بيئيه للمتقدمين ، استوفها فى هذا البيت الثانى ، لأنه قابل « أمطار » بساقط ، واللؤلؤ باللؤلؤ ، والرجس بالخلاتم ، وما العين والنم ، وحمرة الخلد بسنا القمر ، وبقي عليه زائد من قول أبى الفرج : « وعضت على العناب بالبرد » ، فقابله فى هذا البيت بقوله : « وضرست

البور بالدر ، وجعلها تعضّ على أصابعها وهي بيض ، لانه يصف امرأة شعرت
 بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحناء ، فلما حان وقت فراقهم ، لبست
 ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندّماً على فراقهم ، ووصف الأصابع
 باللّين والصينغ ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
 المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلسٍ فظنتم بلطفكم إلى أمرٍ عجيبٍ
 لبستم في ما تمسك بياضاً وجشتم منه في زِيٍّ غريبٍ
 صدقم فالبياض لباسُ حزنٍ ولا حزنٌ أشدّ من الشيبِ

وأنشد أبو عثمان الأشنانداني في أبيات الماعاني له :

أرعتُ مراتع مدرّاهي على عجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً
 واستبدلتُ من رياض الحزن موقّةً تَوَبَّ الأمير الذي في مُلكِه قعداً

عنى بمراتع مدرّاهي شجرها ، وبصنوين متصّاً لحقته به ، وبرياض الحزن
 ثياباً ملوّنة ، وبشوب الأمير ثوباً أسود ، لأنّ ملوك بني العباس لباسهم السواد .

وعارض ابن لبّال^(١) الحريريّ في أبياته فقال :

ودّعتهُا ومسدّامى تنهلُ بالدّمع الطليقِ
 فبكتُ ناذرتُ أدمعاً في صفحة الخلد الأنينِ
 ومضتُ تعضّ بناتها بين التلّف والشهيقِ
 ورأيتُ مبيضَ اللّج بين يَمعشٍ محمّرٍ العقيقِ

وكما عارض بيتَ الحريريّ عارض قولَ البعترى المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه عليّ ابن أحمد بن عليّ ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأدبائها ؛ وله
 كتاب في شرح اللغات . الغرب ١ : ٣٠٣

يا باني ظبي إذا مارنا أثنى قلبي وفؤادي جراح
 بقترة عن طلع وعن جوهر وفضة أو حبيب أو أفاع
 فزاد عليه بوصفين .

من أقوالهم في الفراق

ومما يناظر ما تقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :
 وكأنا أثر الدموع بخداها طلئ تساقط فوق وردي يانع
 عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه كسم ناقع
 وقال ابن الرومي :

لو كنت يوم الدواع شاهداً وهن يطفئن غلة الوجدي
 لم تر إلا دموع باكية تسفع من مقلة على خدي
 كانت تلك الدموع قطر ندى بقطر من نرجس على وردي
 وقال النابغة :

بكيت الفراق وقد راعني بكاء الحبيب لبعد الديار
 كنّ الدموع على خدّها بقية طلل على جنانار

وقال أبو نواس :

قول غداة البين إحدى نسايمهم لي الكيد الحري فيسر ولك الصبر^(١)
 وقد غلبتها عبرة فدموعها على خدّها جمر وفي نحرها صفر

يقول: لون خدعا أحمر، فتشككت الدمعة به جمرًا، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كأنها فِصَّةٌ قد مَسَّها ذهبٌ فصَّارَ فيها اللونَ للدمعِ صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد: ما لونُ الماء؟ فقال: لونُ إنانته .

ولما ذكر الحريري الحلال السود على الجارية، تذكَّرت ما قال أبو عثمان
النَّاجم^(١) في جارية رأى عليها ثوباً أزرق :

ما تعدَّتْ قبولُ حينَ جلتُ زِيَّاً شبيهاً بوجهها دِي الضَّيَّاءِ
لبست أزرقاً فحامتُ بوجهِ يشبه البدرَ في أديمِ السَّماءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي، قال :

لما بدا في لازور دِي الحريرِ وقد بهر^(٢)
كبرت من فرط الجفا لِي وقلتُ ما هذا بَشَرُ
فأجابني لا تنكرفُ ثوبَ السماءِ على القَمَرِ

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي :

وبنفسجي الثوب قد لِي محبته من حاله^(٣)
الآن صرت البدر إذ أليست ثوبَ جماله

قوله: «استسنى»، أي استعظم، وقد سنَّو الرجل، وسنا: شرف وعظم. ديمته :
كلامه بالشعر وهو حاتم غير منقطع ، أو يريد بها فطنته التي تمدُّه بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المروفي بالنَّاجم الشاعر الأديب . صاحب ابن الروي
حرواية شعره . معجم الأدباء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع ، وما في الذخيرة ٢ : ٣٧ ، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستفزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا محبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حشّنها ،
من لفظ الجمل ، أو يكون معناه : جملوا من جملة الحساب وأجلته ، أى جمعته ،
فكانهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدّم أن هيئته كانت رائة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

* * *

قال، الخبير بهذه الحكاية: فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلْهَبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
جَلْوَتِهِ ، أَمَعَنْتُ النَّظَرَ فِي تَوَشُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِدْسِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَقْمَرَ لَيْلَهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَّتْ نَفْسِي
نَمُورِدِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلَامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهَلْتُ مَمَرَفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَبَّ لِحْيَتَكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِيلَتَكَ أَفَأَنْشَأُ يَقُولُ :

وَقَعُ الثَّوَابِي شَيْبَ وَالذَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلْبُ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَثْقُ بَوْمِيضٍ مِنْ بَرْقِهِ فَهُوَ خَلْبُ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أُخْرَى بِكَ الْخُطُوبُ وَالْأَبُ
فَا عَلَى التَّبَرِّ حَارٌّ فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ
ثُمَّ نَهَضَ مُفَارِقًا مَوْضِعَهُ ، وَمُسْتَضْجِبًا الْقُلُوبَ مَعَهُ .

• • •

تأهب جذوته : اشتعال جمرته وانشادها ؛ وأراد حدة ذهنه ، والجذوة : النار في طرف المود . تألق : لمعان . جلوته : ما جلاه وكشفه من وجهه ، وتقول : جلوت العروس جلوة ، إذا أزلت ثيابها ، وأظهرت وجهها ، والجلوة بالكسر : هيئة جلوته حين يحل ، وأراد بتألق جلوته بريق وجهه . أمعت : بالفت وأدمت النظر ، وأصله من أمعن في الأرض إذا أبعد الذهاب فيها . توسعه : نظر سماته ، وهي علامته التي يُعرف بها ، ويريد أنه أدام النظر في نعوته . سرح الطُرف : أرسلت العين بالنظر ، وأصل الطرف تحريك العين عند النظر ، تقول : طرفت العين طرفاً . والعين : الجراحة ، والبصر : ما تدركه بنظرها ، ثم سُميت العين طرفاً لذلك . وميسمه : علامته . أقر : أبيض ، نصار مثل لون القمر . الدجوجي : الشديد السواد ، وأراد نبات شعره الأسود .

قوله : « بمورد » ، أي بقدمه وإنيانه ، تقول : وَرَدَ علينا فلان ، إذا قدم عليك من بلد آخر ، والورد : مصدر وَرَدَ ، وهو بمعنى الورد ، لأنه قدّم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعاً ، ولا يجد عنه مخبراً ؛ حيث قال : « واستر عني حيناً » ، فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدمه وهنأ نفسه على ذلك .

استلام : تأمل اليد . ابن الأنباري : استلم الحجر ، معناه أخذه ومسه بيده ، واستلم ، افتمل ، من اللسالة . يريد أخذ الحجر وضمه إليه ، أو يكون استعمل ، من اللأمة وهي السلاح ، يريد أنه حصّن نفسه بمسّ الحجر من المذاب ، لأن السلاح إنما يابس ليمتنع به ويتحصن . أحال : غير . طيتك : صنتك . ولذلك احتاج أن يمن النظر لما تغيرت صفاته التي كان يعرف بها من الفتوة والشبيبة ، فلما رآه قد شاب شعره ، وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل . وقال الحلواني القبرواني :

ولربّ باكيةٍ رأت في مِثْلِي وَخَزَ للشيب تَأَلَّفَتْ مَحِجَّاتُهُ

قالت : أغضنا قد علاه فلا أرى زهر الرّياض وورث ورقاته
فأجبتها : قارعتُ في جنبِ الموى صرف الزّمان ، وهذه نكباته
ولا بن الجد :

نَكَرَتْ نُحُولِي وَهُوَ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى لفراقِ إخوانٍ على كرامِ
وَتَمَجَّجْتُ لِلثَّيْبِ لَا تَمَجَّجِي هذا غبار وقائع الأيامِ
قوله : « نأشأ يقول » أى ابتداء ، وأنشدوا :

أَنشَأْتُ . تَطْلُبُ مَا تَفَيَّرَ رَ قَدْ تَنَاشَبَتِ الْأَعَاظِرُ

أى ابتدأت تطلب . الشواذب . أصله ما يقع في الماء البصافي من الأقذام
فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيئته . وقُلِبَ : كثير التقلب ، فيحول من
حال إلى حال . دان : طاع واطقاد . يتقلب : يتحول عن الطاعة . وميض :
لمع خفى . حُلب : خداع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تتق بالدهر ، إذا ما كسبت
فيه شيئاً من المال فإنه يحول عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى
وألصقها بك ، وأصل « أضرى » من ضراوة الكلب ، تقول ضرى الكلب
بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرته أنا بمعنى عرضته للصيد . وانخلوب :
الأمور الشداد . وأَلَبَ : حشد ، أى اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك
وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسَبِّكُ بالنار وهو مع ذلك
عزير القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في
السابعة والأربعين :

وَمَالًا أَصْلَى الْيَاقُوتِ جَمْرَ غَفَى ثم انطلقا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ

وزاد الآخر في المقي قال :

لَمِنِ أَنَا الذَّهَبُ الْمُحَمَّى وَمُخْبِرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارَا

وَأَنشَدُوا :

اضْمِرْ عَلَى نُوبِ الزَّمَّا ن فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَرَحٌ وَحُزْنٌ تَارَةً لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا الشُّرُورُ

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ مَهْمَاهٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخَذَانَا لِي نَادٍ ، لَمْ يَنْجِبْ
فِيهِ مَنَادٍ ، وَلَا كَبْنَا قَدَحُ زَنَادٍ ، وَلَا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ
تَتَجَادَبُ أَطْرَافُ الْأَنَاشِيدِ ، وَتَتَوَارَدُ طُرْفُ الْأَسَانِيدِ ، إِذْ وَقَفَ بِنَا
شَخْصٌ عَلَيْهِ تَمَلُّ ، وَفِي مِشْبَتِهِ قَزَلٌ .

• • •

نَظَمَنِي ، أَي جَعَنِي . أَخَذَانَا ؛ أَي أَصْحَابَا . نَادٍ : مَجْلِس . مَنَادٍ : مُتَكَلِّم .
كَبَا : شَخَّ . وَلَمْ يَبْدِ نَاراً . قَدَحُ : ضَرْب . زَنَاد : حَدِيدَةُ النَّارِ ، وَزَنَادِ الْعَرَبِ
مِنْ خَشَبٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّمْخِ وَالْقَمَارِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عَوْدٌ
قَدْرَ شِبْرٍ ، فَيُتَبَقُّ فِي وَسْطِهِ ثَقْبٌ لَا يَنْفِذُ ، وَيُؤْخَذُ عَوْدٌ آخَرُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، فَيُحْدَقُ
طَرَفُهُ ، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ رَجُلٌ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، فَيُدِيرُهُ وَيَقْتُلُهُ ،
فَيَبْدِي النَّارَ ، فَالْأَعْلَى زَنْدٌ وَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ ، وَالزَّانَادُ جَمْعُ زَنْدٍ . قَوْلُهُ : « ذَكَتْ » ، أَي
اشْتَمَلَتْ . عِنَادٌ : خِلَافٌ ، يَرِيدُ أَنْ هُوَ لَا . الْأَصْحَابُ لِحْنِ أَدْبِهِمْ وَمَنَاظِرَتِهِمْ
لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، وَهُمْ عُلَمَاءُ لَا يَسْقُطُ مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَاهِلٌ ،
فَيَكُونُ كَلَامُهُ قَلِيلَ الْإِصَابَةِ . وَالْأَنَاشِيدُ : مَا يَتَنَاشَدُونَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْنَهُمْ ، كَأَنَّ
وَاحِدَهَا أَنْشُودَةٌ . وَتَتَجَادَبُ أَطْرَافُهَا ، يَرِيدُ الْمُشَارَكَةَ فِي إِنْشَادِهَا ، أَي إِذَا أُنْشِدَ
أَحَدُهُمْ شِعْراً لِيُغَرِّبَ بِهِ شَارِكُوهُ فِي إِنْشَادِهِ لِحُظْمَتِ الْأَشْعَارِ ، فَكَأَنَّهُمْ تَتَجَادَبُونَ كَمَا
يَتَجَادَبُ بِأَطْرَافِ الثُّوبِ . وَالْأَسَانِيدُ : الْأَخْبَارُ الْمُسْنَدَةُ إِلَى أَهْلِهَا . وَأَصْلُ التَّوَارِدِ ،
مِرَاحِمَةُ الْإِبِلِ عَلَى شَرْبِ اللَّاءِ ، فَجَعَلَ مُشَارَكَتَهُمْ فِي ضَبْطِ غَرَائِبِ الْأَخْبَارِ

كتوارد الإبل على الماء، والطَّرف: الفرائب، والفاخرة: الشيء المجيب من كل شيء، الذي لا يوجد له نظير. سَمَل: ثوب خلق، وأكثر ما تقول العرب: ثوب أتمال وأخلاق، فيوصف بالجمع لأنه قطع متفرقة. وسَمَل: قليل، وفي تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي بما لبس». قَزَل: عرج.

فقال: يا أخاير الذخائر، وبشارَ المشائر، هموا صباحاً، وأنعموا اصطباحاً، وانظروا إلى مَنْ كَانَ ذا ندى وَندى، وَجِدَّة وَجَدًا، وَعَقَارٍ وَقَرَى، وَمَقَارٍ وَقَرَى، فَتَا زَالَ بِهِ قَطُوبُ الْخُطُوبِ، وَخُرُوبُ الْكُرُوبِ، وَشَرَزُ شَرِّ الْخُسُودِ، وَاتِيَابِ الثُّوبِ الشُّودِ، حَتَّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ، وَقَرِعَتِ السَّاحَةُ، وَغَارَ الْمَنِيْعُ، وَتَبَا الْمَرْبِيعُ، وَأَقْوَى التَّمَجُّعُ، وَأَقْضُ التَّمَضُّجُ، وَاسْتَعَالَتِ الْحَالُ، وَأَعْوَلَ الْعِيَالُ، وَخَلَّتِ الْمَرَابِطُ، وَزَحِمَ الْغَايِطُ، وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالْعَامِيتُ، وَرَنَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِيتُ.

قوله: «يا أخاير الذخائر»، الأخاير: جمع أخير، كما يقال: أكبر وأكابر، وللمتعمل خير وشر، ولا يقال: أخير ولا أشر إلا شاذاً، وإن كان هو الأصل، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل، لأنه يرد الشيء إلى أصله. وقال رؤبه:

• بلال خيرُ الناسِ وابنُ الأخيرِ *

فنفق بالاستعمل لشهرته ، وبأصله وهو قليل ، فإذا تمجّبوا من ذلك قالوا :
 ما أخيرَ فلاناً ، وما أشرَ فلاناً . والذخائر : جمع ذخيرة ؛ وهي الشيء النفيس الغالي
 يصونه الإنسان ويمتدّه زمانه . البشائر . جمع بشارة ، وقد بشرت الرجل بشارة
 إذا أدخلت عليه السرور . والعشائر : جمع عشيرة ، وهي قرابة الرجل من قبيلته ،
 يقول : أنتم أرفع الذخائر ، وخيرها ، وأنتم يستبشرون لتيكم برؤيتكم ، وبنيامن
 بلقائكم ، ويعلم أنكم تصلّونه وتكرمونه ؛ ليستعطفهم بهذا الكلام . عموا
 صباحا : دعاء لهم بالنعمة في الصباح ، أى جعلكم الله تنعمون في صباحكم .
 وعمّوا : أمر من وعمّ يعمّ ، وهو فى معنى نعيم ينعم . وأنعموا اصطباحا ، أى طالب
 شربكم فى الصّباح وتنعمتم به ، والاصطباح : أن يُصْبِحُوا وهم يشربون . ندى :
 مجلس اجتماع ، أى هو شريف يُقدّم ويجمع عنده . ندى : كرم . جدّى : عطية .
 القفار : المال الذى لا ينتقل كالنخل والدّور والأرضين . قرى : جمع قرية .
 قمار : جفان بُقرى فيها الأضياف ، أى يطعمون فيها . والقرى : طعام الضيف .
 قَطُوب . عبّوس . الخطوب : الشدائد . الحروب : القتال . الكروب : الهموم ،
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مما أعلم أنه لا يقوله مكروب إلا فرّج الله عنه ، كلمة
 أخى يونس : ﴿ فَنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت ... ﴾ الآية » .

ومن كلام ابن المعتز : الحوادث المحضة مكسبة لخطوط جزيلة ، وثواب مدخر ،
 وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرور على مقارعة
 الدهر ، وإذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة .

غيره : لولا حوادث الأيام ، لم يعرف صبر الكرام ، ولا جزع
 اللئام .

وقال أبو تمام :

والحادثاتُ وإن أصابَكَ بُؤْسُهَا فهو الذى أُنْبَاكَ كيفَ نعيمِهَا^(١)

الحسود: التمتنى إهلاك مالك، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته، يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه، وقلماً يوجد الذى يرمى بالعين إل الحسودا. انتياب: نزول وقصود. التوب: النوازل. قوله، «صفت»، أى خلت من الدراهم الراحة: باطن الكف. قرعت: خلت من اللال وصارت قرعاء. والساحة: فناء الدار، والساحة عند العرب: الرحبة التى تُحلق بها البيوت، وأراد أنها خلت من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك. غار للنبع: جف الماء النابع، والنبع: موضع النبع. الربع: المنزل فى الربيع. ونبا: بأهله: وجد نبوة، أى ارتقاء غير وطىء فلم تمكن الإقامة فيه. أقوى: خلا. الجمع: موضع الاجتماع. أقص: حُسن وصار فيه القصص، وهى الحجارة. والمضجع: موضع رقاذه، وأخذ من قول أبي ذؤيب :

أُم ما لجنبك لا يلائمُ مَضْجَعًا إلا أقصَّ عايه ذلك المضجع^(٢)

وكنى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب اللال.

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم، قال: أشكو إليكم أيها اللال زماناً أناخ على بكل كلة بعد نعمة من اللال، وثروة من اللال، وغبطة من الحال، أعتماي جديدها بقبيل مصائبه، عن قسيت نوائبه، فأتارك لى رغبة أجتدى ضرعها، ولا ثاغية أرتجى نعيمها، فهل فيكم من معين على صرته، أو مُعَدٍّ على حتفه!

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهذلين ٢.

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نوادره
حكاية عن أبي زيد اللّوى على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه
وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ النّبع الذي كنّا نعيش به نحن وأموالنا قد
ذهب ، فهلكنّا بذهابه . وللربيع : وهو موضع الخصب ، صار نبوة لا يثبت شيئاً ،
فلم نجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والمجالس التي
كنّا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطأً بالفرش أفضّ
فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : « استحلّت ، تغيّرت » . وحال الرجل : ما هو عليه من خير أو شرّ
أو غيٍّ أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه
في مؤنته ونفقتة ، واحدم عيّل . الرابط : المواضع التي تربط فيها الخليل وتُخبّس .
النابط : الذي يتميّ مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق :
المال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكلّ ما يتملّك من ذى روح ؛ سميت
بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة
والنتاع . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تسميت الماطس ،
وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شمتاً وشماتة ، فهو شامت إذا
سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .



[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أوّل ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد
إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هابيل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(١): إنهما قاييل وإبليس، فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قاييل على قتل أخيه.

وقال علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أع للول، ولا محبة لسيء الخلق.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحبك، قال: وما يمنعك، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ! يريد أن الحسد موكل بالأدب ثنتين.

الحسن البصري: ما رأيت ظالماً أشبه بظالم من حاسد بنفسٍ دائم، وحزن لازم، وغيرة لا تنفد.

مماوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلّا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا الزوالها.

المبرد: حدثنا الزبائدي، قال: يقال: ستة لا تحطهم الكتابة: فقير حديث عهد بريني، ومكثير يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم.

قال الأصمعي: اجتمع ثلاثة حساد، قال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما اشتبهت أن يفعل بـسلم خير قط، قال الثاني: أنت رجل صالح، ولكني ما اشتبهت أن يفعل بي خير قط، قال الثالث: ما في الأرض خير منك، ولكني ما اشتبهت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط.

قال: وأنشد الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرْحَى مودَّتُها إلّا عداوة من عاداك من حسدٍ

وقال حبيب :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
تولا اشتعال النار فيما جاورت
طويت أتاح لما لسان حسود^(١)
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر :

نهاني حلمي فما أظلم
ولا بد من حاسد قذبه
وعز مكاني فما أظلم
بنور ما ثرنا مظلم
رحمت حسودى على أنه
يغذب بى ثم لا يرحم
أنا الحود ولسنا كما
يقول ولكن كما يعلم

وقال البمانى :

إني لأرحم حاسدى لقرط ما
نظروا صنيع الله بى فميونهم
ضمت صدورهم من الأوغار
فى جنّة وقلوبهم فى نار
لا ذنب لى قدرمتكم فواضلى
فكانما برقعها بنهار
قوله : « رضى لنا الحاسد والشامت » : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ارحموا
ثلاثاً غنى قوم افتقر ، وعزير قوم ذل ، وقيها ياعب به الجهال » .

قال الشافى : خمسة مرحومون : عزير ذل ، وغنى قل ، وحبيب عمل ، وفصيح

كل ، وقيها ضل .

وقال الشافى : ومن حديث واثلة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تظهر الشامة بأخيك ، فيعاقبه الله ويتأليك » ، وأخذ الحريى من قول الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت
ومرمر توقد أحشاؤه
ومثلة إنسانها باهت
بالنار إلا أنه ساكت
رق فما فى جسمه مفصل
إلا وفيه سقم ثابت

يَرِي لَهُ الشَّامِتُ مِمَّا بِهِ يَؤْوَحُّ مَنْ يَرِي لَهُ الشَّامِتُ !

* * *

وَأَلَبْنَا الدَّهْرُ الْمَوْقِعُ ، وَالْفَقْرُ الْمَذْفِعُ ، إِلَى أَنْ اخْتَذَيْنَا الْوَجَى ،
وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى ، وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ،
وَكَتَحْنَا السَّهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا
الْإِقْتَادَ ، وَاسْتَطَبْنَا الْحَيْنَ الْمَجْتَاحَ ، وَاسْتَبَعْنَا الْيَوْمَ الْمُتَّاحَ ، قَهْلُ
مِنْ حُرِّ آسٍ ، أَوْ صَمَحِ مَوَاسٍ ! فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةٍ ،
لَقَدْ أَمْسَبْتُ أَخَا غَيْلَةٍ ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ .

قال الحارث بن عمّام : فَأَوَيْتُ لِمَفْأَقِرِهِ ، وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِبْطَاطِ
فَقْرِهِ ، فَأَبْرَزْتُ دِينَاراً ، وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَاراً : إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْماً ، فَهُوَ
لَكَ حَتَمًا ، فَاَنْهَرِي مُنْشِدٌ فِي الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ انْتِحَالٍ .

* * *

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل يئيل ويئول ، أى رجع . الموضع :
للمهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل موقع
إذا اشتكى ألم رجله . المدقع : الملتصق بالدقاء ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان
شيئاً يسطه غير التراب . اخذينا : اتعلمنا . الوجى : توجع باطن القدمين من الحفا .
يريد أنه لبس مكنال النعال الحفا حتى توجعت قدماء . الشجى : ما يعرض فى
الحلق ، وكى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بنذاء إنما هو مشقة وتعب .
ولكن بالغ فى وصف سوء حاله ، فقال : إنه يئتمل مالا يئتمل ، ويقتذى ما ليس .

بفناء ، أى ليس ثم انتعال ولا غذاء . استبطنا ، أى جملناه فى بطوننا . الجوى : فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد طوى يطوى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه انحوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعمى كجلى بالشهاد ولجنى نايًا عن وسادى

استوطننا : سكنا واتخذناه وطنًا . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطننا : وجدناه وطنًا . القتاد : شجر له شوك شديد يسمى عندنا حىض الأمبر . الاقتاد : خشب الرّحال ، يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعدهم بها ورجعوا الآن يمشون . على الشوك فيجدونه . طينًا . الحنين : الموت . المحتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به المستأصل للأموال . استوطننا : وجدناه بطىء الحى . المتاح . المقدّر ، يريد أن يوم موتهم تمتوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آس : طيب يطبّ علة الفقر والجمع الأساة . سمح : كريم . والمواسى : العين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى فى كرميته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواس من الأسوة ، كأنه يشبه فى ماله . ويقال : آسيته ، والأصل الممز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه : شاركه فيما هو فيه .

مؤرّج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلا .

غيره : معناه يعوضه من مودته وقرابته شيئًا ، من الأوس وهو العوض . قال الشاعر :

فلا زمرتك مشقصًا أو سًا أويس من المباله^(١)

(١) اللسان - جبل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة ؛ وفيه أن الهبالة اسم ناقة أسماء بن خارجة . ورواية اللسان : « لأحسانك » .

والهباله: اسم ناقة، أى أرميك بسهم يكون عِوَصًا عن الناقة. وتُكَنُّ أصله
يؤاوسه، قدموا السين وهى لام الفعل، وأخروا الواو وهى عينه، فصار «يؤاوسه»
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فهو من المقلوب، وإن جعلته من أسوتُ
الجرح، إذا أصاحته فلا قلب فيه.

قوله: «والذى استخرجنى من قيلة»، قيلة هى أم الأوس والخزرج، وهى بنت
الأرقم الفسّانية، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان. أخا عيلة: صاحب
قر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١)، أى قرأ، وقال صلى الله عليه وسلم: «أعوذ
بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة». بيت ليلة: قوت بيت عليه ليلة.

أويت: أشفقت وحننت. مفارقة: جمع قر على غير قياس - ومثله ماذا كبر
الرجل جمع ذكّر: محاسنه ومساويه. لويت: انمطت. استنباط: استخراج.
الفقر فى النثر: فواصله، وهى مثل القوافى فى النظم، والفقر: ما تقدّم فى المقامة من
الكلام المفقر. أبرزت: أطهرت. حمّا: واجباً، يريد أنه قصد إلى أن يتحقق
ما تقدّم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلها، فقال ليختبره: امتدح هذا
الدبنار بشعر. فأنبرى، أى ألزمه نفسه، وجمله كالملك، من النحلة، وهى الهبة
يتال: انتحل كذا، أى أَلْزَمَهُ نَفْسَهُ، وجمله كالملك، من النحلة، وهى الهبة
والعطية.

* * *

أَكْرَمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأَتْ صُفْرَتَهُ	جَوَابَ آفَاقٍ تَرَأَتِ سَفْرَتَهُ
مَأْثُورَةً سَمِعْتُهُ وَشَهْرَتَهُ	قَدْ أَوْدَعَتْ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتَهُ
وَفَارَنْتُ نُبْجَ الْمَسَاعِي خَطَرَتَهُ	وَحُبَيْتُ إِلَى الْأَنَامِ غَرَّتَهُ
كَأَنَّا مِنَ الْقُلُوبِ نُقِرَتُهُ	بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوْنُهُ صُرَّتُهُ

وَإِنْ تَفَاقَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزَّتُهُ يَا حَبِذَا نُضَارُهُ وَقُرَّتُهُ
وَحَبِذَا مَفْضَاتُهُ وَنُصْرَتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَنْبَتَ إِمْرَتُهُ
وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَمْرَتُهُ وَجَيْشٍ هَمَّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ
وَبَدْرٍ تَمَّ أَنْزَلَتْهُ بَذَرَتُهُ وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى جَمْرَتُهُ
أَمْرًا نَجَّوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أَمْرَتُهُ
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهُ وَحَقَّ مَوْلَى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ
* لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

° ° °

قوله: «الكرِّم به»، معناه مأكرمه. راقى. أعجبت. جواب أفاق:
قطاع بلاد. ترامت سفرته: بعدت غيبته، وسمى السفر سفرًا، لأنه يسفر عن
أخلاق الرجال، أى يكشفها ويوضحها، أخذ من قولهم: سقرت المرأة عن
وجهها، إذا كشفتها وأظهرته، ويقال للمكسفة: منفرة، لأنها تسفر التراب
عن الموضع، وسفر بيته، كنهه. ماثورة: محدث بها. سمعته: ذكره المسموع.
أودعت: ضمنت. أسيرته: خطوط وجهه، أراد نقشه، وأن بين أسطاره سر-
النقى، فمن ملكه ملك النقى. فآرت: ساوت: النجج: ضد الخلية. المساعى:
المشى فى طلب الحوائج. الأنام: الخلق. غرته: وجهه؛ قيل لأبى الزناد: مالك
تحب الدرهم وهي تدنيك من الدنيا! قال: إنها وإن أدنتني من الدنيا، فقد
صاننتني عنها. والنقرة: القطعة المسبوكة من الذهب والفضة، قيل أن يطبع منها
الدرهم والدنانير، وأراد: كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم
فيه. والنقرة، إنما تستعمل من الفضة، واستعملها في الذهب لقرب ما بينهما
وأخذه من قول البحتري:

فكلَّ قلبٍ إليه منصرفٌ كأنَّه من جميعها خُلِقا (١)

أو من قول ابن الرومي :

به أُمست الأهواءُ يجمعها هوَى كأنَّ نفوسَ النَّاسِ في حبِّه نفسُ
أو من قول المتنبي :

في خَطِّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ حتَّى كأنَّ مداده الأهواءُ (٢)

بصول : يقهر ويغلب ، وصال الشجاع على قِرْنه ، والفعل على إبله ، والجار
على أنَّه صَوْلًا ، إذا قهر وعلا وصاحبها . الصَّرة : الخرقَة تصرُّفها الدراهم . حوته :
خِصْمته ، يريد أنَّ مَنْ مَلَكَ الدينار صال به على زمانه . تقات : هلكت . توات :
أبطأت وضعت عن نصرته . عِترته : قرابته الأدنُون . نصاره : ذهبه . نصرته :
حسنه . مَفْناة : منابه ، يقال فلان يفنى مَفْناةً ، أى ينوب منابك ، ويقوم مقامك ،
يريد أنه ينوب عن الإنسان في اللضايق وينصره . استنَّبت : تَمَّت واستقامت ،
وللستنَّب : الطريق البين ، قال الشاعر :

* على مستنَّبٍ كالجُرَّة تعمل *

إمرته : ولايته . مُتَرَف : منعم . حسرته : تَفَجُّمه ، وحزنه . كَرَّته : رجعته ،
وبدريتم : القمر ليلة السكال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا
جعث في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبُدرة : عشرة آلاف درهم .
مستشيط : غضبان : تتلظى : تتأهب . جهرته : شدَّة غيظه . أسرَّ : أخفى . نجواه :
حديثه مرأ . شِرَّته : حدِّته وغضبه ، يقول : كم من غضبانٍ شديد الغيظ ، مثل

(١) فلحق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوَى ، مقصور ، وهو المحبة .

حَاكَمْ يَصُولُ بِصَاحِبِ جَنَابَةٍ وَيَهْدِيهِ ، فَإِذَا رُشِيَ بِالْدِينَارِ وَبُعِثَ إِلَيْهِ سَرًا أَزَالَ غَضَبَهُ ، وَسَكَنَتْ حِدَّتُهُ . أَسْلَمَتْهُ ، تَرَكَتْهُ . أَسْرَتَهُ : قَوْمَهُ . مَسَرَّتْهُ : فَرَحَهُ . أَبْدَعَتْهُ : أَوْ جَدَّتْهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ . فَطَرَتْهُ : خَلَقَتْهُ . التَّقَى : الْخَوْفَ ، جَلَّتْ : عَظُمَتْ .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أُنْشِدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حَرْثًا وَعَدَ ، وَسَحَّ خَالَ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَا سَوْفَ عَلَيْهِ ، فَوَضَعْتُهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلانْتِثَاءِ ، بَعْدَ تَوْفِيَةِ الشَّأْنِ .

[قصة المثل : أنجز حَرْثًا ما وعد]

قوله : « أنجز حَرْثًا ما وعد » ، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جد امرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ، وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها ؟ قال نعم ، فدلّه على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان طريقهم على شجعات - وهي ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي : والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففي ذلك يقول نهشل بن حرث بن منبج ابن نهشل بن دارم :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا الْجِيْشَ أَنْ يَتَأَوَّأُوا عَلَى شَجَاطِ الْجِيَادِ بَنَى تَجْرِي
حَسْبَانُمُ حَتَّى أَقْرَوَا لِحَكْمِنَا وَأَدَّى أَقَالَ الْخَيْسَ إِلَى صِخْرِ

فعنى «أُنجز حرُّ ما وعد»^(١) أحضر وهياً. وقد نُجز الشيء إذا حضر، ولفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرُّ ما وعد.

• • •

سَحَّ: صبَّ وأماز. خال: سحاب يحيل لك أن المطر فيه. رَعَدَ: صوت؛ يقول لابن همام: إنَّ السحاب إذا سمع الرعد سَحَّ بالمطر، وأنت قد أسمعني ذكر الدينار، ووعدتني به، فأُنجز لي وعدى.

نَبَذْتُ: رميتُ. مأسوف: محزون. بارِك: أى ضع البركة فيه، وقولهم: تبارك الله، أى تقدَّس وتطهر، وقيل: هو «تفاعل» من البركة، أى البركة تنال بذكر اسمك. الانثناء: الرجوع. توفية الثناء: كمال الشكر والمدح.

[بما قيل في وصف الدينار]

وتما قيل في وصف الدينار ومدحه :

وَمُتَّسِمِ الْوَجَنَاتِ يَبْرِقُ وَجْهُهُ بَادٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ عِبَادُ
جِبِلِّ الْأَنْامِ عَلَى حَبَّةٍ حَسَنِهِ فَكَأَنَّهُ رَبٌّ وَمُمْ عِبَادُ
وفي مقامات البديع في وصفه .

يَاحْسَنَهَا فَاقْصِدْ صَفَاهُ مشرقه منقوشة قَوَارِهُ^(٢)
يَكَادُ أَنْ يَقْطَرَ مِنْهَا الْمَاءُ قد أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلَيَا
يَاذَا الَّذِي بَصِيَّتُهُ الثَّنَاءُ ما يَنْقِصِي بِقَدْرِكَ الْإِطْرَاهُ

• امض على الله لك الجزاء •

• • •

(١) جبهة الأُمثال ١ : ٣٠ ، فصل للقال ٧٩ ، الفاخر ٦١ .
(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : «مشرقة» بدل «معرفة» .

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإذا قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ،
فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكرمهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

• ويع آجلاً منك بالعاجل •

وقال : وإذا خُيِّرَ بين ذرّة منقودة ، وذرّة موعودة فَمِلْ إلى النقْدِ .

وقال جرير :

إِنِّي لأَرْجُو مِنْكَ خَيْراً عَاجِلاً وَالنَّفْسُ مَوْلَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ (١)

قال آخر :

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَخْبَرَ مِنْكَ سَجِيَةً وَلَكِنْ خَيْرُ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعِجَلُ

وقال آخر :

أَتَى زَائِراً مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَقَالَ لِي : أَجَلُكَ عَنْ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد
كَلَّمَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةِ رَجُلٍ ، قَالَ لَهُ : عَدَمَعَنِي قَضَائُهَا ، قَالَ مَنْصُورُ بْنُ زِيَادٍ :
وَمَا يَدْعُوكَ إِلَى الْعِدَّةِ مَعَ الْقُدْرَةِ ! قَالَ : هَذَا قَوْلُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَوْقِعَ الصَّنَائِعِ
مِنَ الْقُلُوبِ ، إِنَّ الْحَاجَةَ إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْهَا وَعْدٌ يُنْتَظَرُ بِهِ نَجْحُهَا ، لَمْ تَتَحَدَّثِ النَّفْسُ
بِسُرُورِهَا ؛ إِنَّ الْوَعْدَ مَطْعَمَ وَالْإِنْجَازَ طَعَامٌ ، وَلَيْسَ مِنْ فَاجِأَةِ طَعَامٍ كُنَّ وَجَدَ
رَاحَتَهُ وَتَطْعَمَهُ ثُمَّ طَعِمَهُ ، فَدَعَ الْحَاجَةَ تَحْتَمِرُ بِالْوَعْدِ ، لِيَكُونَ لَهَا عِنْدَ الْمُصْطَنَعِ
حَسَنٌ مَوْقِعٌ وَلَطْفٌ مَحَلٌّ .

(١) ديوانه ٤٩٠ ، من تصبئة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠) - شرح مقامات الحريري (١)

قال ابن السكيت لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل متى شكره ، فقال له : لم قلت ذلك ، وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولاني : إن أنجح المروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعده لا بكدره مطل .

ووعد المهدي^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزيري [قول مضرس الأسدي]^(٢) :

ولا تياسن من صالح أب تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره

فقال : يدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزيري :

وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مطل ومن طول كده

فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :

حلاوة الفضل بوعده ينجز لا خير في العرف كنهب ينجز

فقال المهدي :

الوعد أحسن ما يكون إذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجليله حقير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعده ، لم يجد للصديعة مطعماً وفيه يقول أبو قابوس النصاراني :

رأيت يحيى أتم الله نعمته عليه يأتي الذي لم يأنه أحد

ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

(٢) من معجم الأدياء .

(١) ط : « المهدي » تحريف .

(٣) الخير في معجم الأدياء ١٦ : ١٥٤

وقال الحارثي :

وما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ منمنمةٌ زهرها ذات نري صَعِدِ
بأحسنَ من حُرٍّ تضمّن حاجةً لحُرٍّ ، فأوفى بالنَّجَاحِ مع الوعدِ

وقال ابن رشيقي :

أحسنَ في تأخيرها مِنَّةٌ لو لم تؤخَّرْ لم تكن كامِلَةً (١)
وكيف لا يحسنُ تأخيرها بعد يقيني أنها حاصِلَةٌ !
وجَنَّةُ الفردوسِ يدعى بها آجلةٌ للمرءِ ، لا عاجِلَةٌ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء : وعدتني بأمر فلم تنجزه ! قال أبو عمرو :
حن أولى منا بالعتب ؟ أنا وإلا أنت ! قال : أنا ؛ قال أبو عمرو : لا والله بل
أنا ، قال : وكيف ؟ قال : لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد ، فبتَّ ليلتك
جدلان مسروراً وبتُّ أنا بهم الإنجاز ، فبتَّ ليلتي منكراً مغموماً بما علق الذم
من بلوغ الإرادة فيه ، فلقيتني مدلاً ولقيتك مستحيماً .

واعتذر بعضُ الرؤساء لأبي عليّ البصريّ من تأخر وعد ، قال : في شكر
ما تقدّم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه .

فَنَشَأْتُ لِي مِنْ فُكَاهِيَةِ نَشْوَةِ غَرَامٍ ، سَهَلْتُ عَلَى اتِّتَانِ
اغْتِرَامٍ ، فَجَرَدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ، ثُمَّ
تَعُذِّمُهُ ؟ فَأَلْشَدَّ مَرْتَجِلًا ، وَشَدَّ آعِجِلًا :

قوله : «فَنَشَأْتُ»، أى ظهرت وبدت. فكلأه: مزاح. نشوة غرام: سكرة شوق، والغرام: الحب للمعذب للقلب. انتناف: استقبال. اغترام: غرم. ثم ذكر أن يذمه ثم يرضه، وقد نظمها الزاهد بن عمران في قوله :

إِنَّ الْمَوْئِدَ وَالْحَسَابَ كَلَّاهَا قرنا بهذا الدرهم المذمومِ
كَفِ الْأَنَامُ بِنِعْمِهِ وَبِضْمِهِ فتمجَّبوا لِمُذْمَرِ مِضْمُومِ

وقال ابن شرف في الدينار والدرهم :

أَلَا رَبُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ أَحْرَفِ اسْمِهِ نَوَاهٍ لَنَا عَنْهُ وَزَجَرٌ وَإِنْدَارُ
فُتِنًا بِدِينَارٍ وَمِثْلًا بِدَرَاهِمِ وَآخِرُ ذَاهِمٍ، وَآخِرُ ذَا نَارُ
وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دَالِينَ مِنْ دِينَةٍ أَرِي يُلُوحُ وَدَرَاهِمِ
نَقُلُ لِي ذَلِكُمْ «ذِي» نَارُهُ وَذَا قَالَ: «ذَرَاهِمِ»

وابن رشيق وابن شرف أديبا القَيَرَوَانِ، يَحْمَمُهُمَا الْبَلَدُ وَالزَّمَانُ، وَكَانَ
مَرَّةً بِتَصَاحِبَانِ، وَمَرَّةً يَتَبَاغَضَانِ.

وقال ابن رشيق في مدح الدينار والدرهم :

صَدِيقُ الْمَرْءِ كَالدِّينَارِ طَبْعًا وَكَيْفَ يَفَارِقُ الْمَرْءَ الطَّبَاعَا !
تَرَاهُ إِذَا أَقَامَ يَتِيمٌ جَاهًا وَإِنْ فَارَقَتْهُ أَجْدَى انْتِنَاعَا
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ كُشَاجِمِ :

وَمُرِيدٍ مِّنْ أَبَاهُ وَمُهَيَّنٍ مِنْ أَجَلِهِ^(١)
فَهُوَ كَالدِّينَارِ لَا يُبْكَ رِمُّهُ إِلَّا مِنْ أَذْلِهِ

وقال آخر :

النارُ أخسر ديتارٍ نطقتَ به والممّ آخر هذا الدرهم الجارى
والنار ما لم يقد من غيره ورعاً مقسم القلب بين الممّ والنار
قوله : «مرتجلاً» ، أى من غير تفكير . شدا : ابتدأ الفناء وطرب بنشيد

* * *

تَبَا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَادِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمَانِقٍ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِمَنِ الزَّامِقِ زِينَةُ مَشْهُوقٍ وَلَوْنُ عَلَاقِقِ
وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَى أَرْضِ تَسْكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
لَوْلَاهُ لَمْ تُنْقَطِعْ عَيْنُ سَارِقِ وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ
وَلَا اشْتَأَزَ بِاخِلٍّ مِنْ طَارِقِ وَلَا شَكَا الْمَطُولَ مَطْلَ الْعَائِقِ
وَلَا اسْتَعِيدَ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقِ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَاقِ
أَنْ لَيْسَ يُعْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ قِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَنْ يَقْدِفُهُ مِنْ خَالِقِ وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقِ

° * °

تبا : أى خسرأ . ممادق : لا يصفو وده لصاحبه ، وقد مذق وده ، إذا لم
يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : المخلوط . أصفر ذى وجهين ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شر الناس ذو الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

ووقع هذا في نثر البديع، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١): أظعنًا تريد؟ قلت: إى والله، قال: أخصب رائدك، ولاضل قائدك، فتي عزمت؟ قلت: غداة غد، فقال:

صباح الله لا صبح انطلاق وطير الوصل لا طير القراق
وقال السعد لا يمدوك دأباً يصاحبكم إلى يوم التلاق^(٢)

فأين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بلغت الوطن، وقضيت الوطر، فتي العود؟ قلت: القابل، فقال: طويت الریط^(٣)، وثبتت الخطيط، فأين أنت من الكرم؟ قلت: بحيث أردت، فقال: إذا رجعت الله سالماً من هذا الطريق؛ فاستصحب لى عدواً في ثياب صديق، من نجار الضفر، يدعو إلى الكبر، ويرقص على الظفر، كدارة العين، يحطّ قَل الدن، وينافق بوجهين. فعملت. أنه يلتمس ديناراً، قلت: ذلك لك نقداً، ومثله وعداً، فأنشأ يقول:

رأيتك مما خطبتُ أعلى لا زلت للمكرّمات أهلاً
صلبتُ عدواً، ودمتُ فرداً^(٤) وطبتُ فرعاً وطبتُ أصلاً
يا واحد الدهر والعالى لا لقي الدهر منك تُكللاً

قوله: «عدواً في ثياب صديق» من قول أبي نواس:
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عدوٍّ في ثياب صديق^(٥)
قوله: «الرامق» أى الناظر، ورمقت الشيء رمقاً أتبعته النظر إليه. وزينته

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع المعناني في اللغات من ٢٢ و ٢٣

(٢) هنا البيت ساقط من اللغات (٣) الریط : جمع رطلة ، وهي اللامة .

(٤) اللغات : «جوداً»

(٥) ديوانه ١٩٢ .

المشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينة فيهبوا ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والفرام ، ويدل على ذلك صفته الظاهرة عليه . وقال ابن ظفر : زينة للمشوق غرور مدعاة إلى التهور في الفرار ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسر من شاغل الكاف ، فالعافل ينظر من الدينار مثل زينة للمشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعافل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدل على باطن الجوى . ذوى الحقائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بمن الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمنهما ، فكان الأعسر يعمل يساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل يساره شيئاً ، ففخر الأعسر عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المصيبة أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من نَسَقَت الرطوبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرٍ غَائِرَا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا^(٢)

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) الفائق ، السان - فسق

اشْتَأَرَ: أَهْبَضَ. باخِل: شَحِيحٌ، وَيَخِيلُ أَكْثَرُ مِنْ باخِلٍ. طَارِقٌ: قَاصِدٌ
بِئَلِيلٍ. الْمَطْلُ: تَأْخِيرُ الْحَقِّ الْوَاجِبِ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَطَّلَ الْقَيْنُ الْحَدِيدَ فِي النَّارِ، إِذَا
مَدَّهُ وَطَوَّلَهُ. الْعَائِقُ: الْحَاجِسُ، وَقَدْ عَاقَهُ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا حَبَسَهُ. رَاشِقٌ: عَائِنٌ،
وَأَصْلُهُ الرَّامِي، فَجَعَلَهُ لِلَّذِي يَهْيِيبُ النَّاسَ بِعَيْنِهِ. وَاسْتُعِيدَ: قُرِئَ عَلَيْهِ لِلْمَوْتَانِ،
وَهُمَا: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». الْخِلَائِقُ: الطَّبَائِعُ، وَاحِدَتُهَا
خَلِيقَةٌ. الْآبِقُ: الْهَارِبُ، وَأَبَقَ الْعَبْدُ يَأْبِقُ إِهَابًا: زَالَ عَنِ مَوْلَاهُ. وَفِي مَعْنَى
فِرَاقِ الدِّينَارِ قَوْلُ الْأَخْطَلِ:

وَمَعْشُوقٌ يَرْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ تَرَى فِي وَجْهِهِ أُبْدًا كَلَامًا^(١)
إِذَا فَارَقْتَهُ أَجْدَاكَ خَيْرًا وَلَا يَجْدِي عَلَيْكَ إِذَا أَقَامَا
وَهَذَا مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَقَدْ رَأَى رَجُلًا يَقْلِبُ دِرْهَمًا، فَقَالَ لَهُ:
أَتَحِبُّ دِرْهَمَكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ يَدِكَ.
وَاهَا: تَعَجُّبٌ، مَعْنَاهُ مَا أَعْجَبَ مَنْ يَقْذِفُهُ. حَالِقٌ: جَبَلٌ أَمْلَسَ مُنِيفٌ.
نَاجَاهُ: حَدَّثَهُ سِرًّا. الْوَاقِقُ: الْحَبُّ، وَقَدْ وَمَقَّ يَمِيقُ مِقَّةً. الْحَقُّ: الْقَائِلُ الْحَقُّ.

قُلْتُ لَهُ: مَا أَغْزَرَ وَبَلَّكَ! فَقَالَ: وَالشَّرْطُ أَمْلَكُ،
فَنَفَّخْتُهُ بِالْدِّينَارِ الثَّانِي، وَقُلْتُ لَهُ: عَوِّذُهَا بِالْمَسْأَنِي، فَالْتَأَمَ
فِي فِيهِ، وَقَرَنَهُ بِتَوَّعِيهِ، وَانْكَفَأَ بِمَحْمَدٍ مَعْدَاهُ، وَنَدَحُ
النَّادِي وَتَدَاهُ.

قَوْلُهُ: «مَا أَغْزَرَ وَبَلَّكَ»، أَيْ مَا أَكْثَرَ بِلَاغَتِكَ. وَأَمْلَكُ: أَزْمَ وَأَحَقُّ،
يُرِيدُ أَنْ شَرَطَكَ الَّذِي شَرَطْتَ مِنْ إِعْطَائِي دِينَارًا آخَرَ إِنْ ذَمَّمْتَهُ، قَدْ لَزِمَكَ

(١) لَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِهِ.

بذئى له. والشرط أملك مثل^(١)، وأول من قاله الأنفى الجرهمى، وكان حكيماً
للأرب، فتعاكم إليه خصمان، فاشترط أحدهما وأراد ألا يلتزمه، فقال الأنفى:
الشرط أملك، وتقديره الشرط أملك لأمرك منك.

نفعته: رميته. عوذهما: رقاها. والثانى: أم القرآن، سميت بذلك لأنها
ثنى فى الصلاة، واحتصنها لأنه أشار عليه أن يحمده الله على أخذ الدينار، فكأنه
قال: اقرأ الحمد لله رب العالمين، شكرًا لله عليهما وتويناً لهما.

وهذا كما قال ابن رشيقي فى غلام جميل:

معتدل القامة والقَدَّ مورّد الوجنة والخذَّ
لو وضع الوردُ على خدّه ما عرف الخدّ من الوردِ
قل للذى يعجب من حُسْنِه اقرأ عليه سورة الحمدِ

وله فى مثله:

شكوت باحبّ إلى ظالى قال لى مستهزئاً: ما هو!
قلت: غرام ثابت، قال لى: اقرأ عليه «قل هو الله»

وقال أبو عبيد: الثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء: القرآن، سمّاه الله الثانى
فى قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًّا﴾، وسمّى القامحة «مثنى» فى قوله: ﴿سَبْعًا
مِّنَ الْمَثَانِي﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم: «إن
الثانى من السور ما دون المئين»، كأنها جعلت مبادئ والتى تليها مثنى.

قوله: «بتوهمه»، أى بأخيه، يعنى الدينار الأول. انكفأ: انقلب وولّى،
معناه بكوره وسيره فى الندوة. النادى ونداء: المجلس وكرم أهله.

[فصل في مدح الشيء وذمّه]

ونريد أن نأتي بفصل في مدح الشيء وذمّه على حكم ما مدح الحريريّ
الدينار وذمّه ، ونبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق
فيه كتاباً جلبت في هذا الكتاب عيونّه .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربيّ يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر
به ، ولكنه لا يفرح به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فأنهم هذا ؛ فإن الناس
يفلطون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به ، وهذا
باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان ، فإذا مدحواذكروا أحسن الوجهين ، وإذا
ذمّواذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذم على جهة المناقعة ،
لا على جهة المناصفة ، ومن باب المسامحة لا من باب المشاحنة ، وإلاّ فالشيء
لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذمّاً لمبني واحد ،
لكن لكلّ شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوياً ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبرقان بن بدر على
ما ادّعاه من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانعٌ حوزته ،
مطاع في أُنديته ، شديد المارضة . فقال الزبرقان : أما والله لقد علم أكثر مما
قال ؛ ولكن حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته
إلا ضيق الطّعن زمر الرواة^(١) ، ثم الخال ، حديث الفتي . فرأى الكراهة
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، قال : يا رسول
الله ، رضيتُ قتل أحسن ما علمت ، وغضبتُ قتل أقبح ما علمت ؛ وما كذبت
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة^(٢) .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه
محاربة الحسين بن عليّ رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسمي الرأي فيه : أمّا
(١) زمر الرواة : قليلاً ، وفي ط : « زمن » تحريف . (٢) جبهة الأمثال ١ : ١٣ .

بعد ، فإن المسبوب يوما مدوح ، وإن المدوح يوما مسبوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئا قط ، فمر يوما بكلب ميت ،
فقال أصحابه : ما أنتن ربحه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أستانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :
لأني شديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطعم في الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حليم ، وأنا عفيف ؛ فسلم لعائنه ما ادعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينازع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأتى على الحجاج خيرا ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيخته ابتلاه بالسجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيخته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فانعنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلح هذا التهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :
أجل والله أيتها الأمير ؛ يتعلم القوم فيه صيائهم ، فيكون لسقايتهم وسيل مياههم ،
ويأتيهم بغيرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضمر هذا

التبر لأهل هذا النصر ! قال : أجل والله أيها الأمير ، تبرز منه دورهم ، ويفرق فيه صيانتهم ، ويكثر لأجله يعوضهم .

ومدح الجاحظ القروض ، قال : هو ميزان الشعر ومعياريه ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعاليل من السليم ، وعليه مدار القريض والشعر ، وبه يُسلم من الأود والكسر . ثم ذمه قال : هو علم مولد ، وأدب مستبد ، ومذهب مرفوض ، تستنكره العقول ، مستغلن فمول ، من غيره فائدة ولا حصول .
وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده ، ثم يقول : أما النفس فقسبحين ، وأما الهم فتطردين ، أفترارك متى تغفلين ! ثم يشربها .

وشكا أبو العنقاء حاله إلى عبد الله بن سليمان ، قال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن النضر ! قال : كتبت إلى رجل قد حصر من هنته طول الفقر ، وذلك الأسر ، ومعاناة بحن الدهر ، فأخفت في طلبتي . قال : أنت اخترته ، قال : وما علي أعز الله الأمير في ذلك ! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد ، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار علي رضي الله عنه أبا موسى حكماً ، فحكم عليه .



قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ، وَأَنْ تَمَارُجَهُ لِكَيْدٍ . فَاسْتَعْدْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عُرِفْتَ بِوَشِيكَ ، فَاسْتَقِمْ فِي مَشِيكَ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ ابْنُ هَمَامٍ ، فَحَيِّيتُ يَا كَرَامٍ ، وَحَيِّتُ بَيْنَ كِرَامٍ . فَقُلْتُ : أَنَا الْحَارِثُ ، فَكَيْفَ حَالُكَ وَالْحَوَادِثُ ؟ فَقَالَ : أَتَقَلَّبُ فِي الْحَالَيْنِ : بُؤْسٍ وَرَخَاءٍ ، وَأَتَقَلَّبُ مَعَ الرَّبَّيْنِ : زَعَزَعٍ وَرُخَاءٍ . فَقُلْتُ : كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْقُرْلَ ، وَمَا مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ ! فَاسْتَسْرَّ بِشَرِّهِ الَّذِي كَانَ تَجَلَّى ، ثُمَّ أَنْشَدَ حِينَ وَلَّى :

تَمَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَا تَقْرَعُ بَابَ الْفَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِي وَأَسْأَلُكَ مَسَلَّكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنَى الْقَوْمُ قُلْتُ اغْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أَغْرَجٍ مِنْ حَرَجِ

° ° °

قوله: «فاستعدته»، أى قلت له أعد علىّ. عرفت بوشيك، أى عرفت بحسن كلامك وتزينه. استقم: استمّدد وأزّل عوجك. خيّت: طال بقاؤك، والتحية البقاء: حييت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. يؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسقته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السّير، وهو عدوّ فوق التقريب، وناقة مرّخاء: سريعة. القَرَل: أسوأ العرج، وقد قرل قرلاً.

وهزل هزلاً: ترك أخذ في قول أو فعل، يقول: كيف تحملت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، ففضض عند ذلك. استسرّ: بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أى أضرب. العرج: كشف الهم. ألقى حبل على غاري: أى أسرح وأمشى حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلك على غاربك، أى أنت مسيئة فتوجهي حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السّنام، والخبل هو الذي يُعقل به البعير، فإذا سرّحوه حلّوا عقاله وألقوه على غاربه، قال ابن الأنباري: أصله أن يلقى على حبل الناقة على غاريها فتفزع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أى أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مرّج: خلط الجذء بالهزل. حرج: إنهم والله تعالى أعلم

المفامة الرابعة وهى الدمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَنَنْتُ إِلَى دِمِيَاطٍ ، عَامَ هِيَاطٍ
وَمِيَاطٍ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخَاءِ . مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْحَبُ
مِطَارِفَ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . قَرَأَقْتُ صَخَبًا قَدْ شَقُّوا
عَمَّاسَ الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَمُوا أَفَاقِيْنَ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْمَانِ
الْمُشْطِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي الثَّمَامِ الْإِهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
ذَلِكَ نَسِيرُ النِّجَاءِ ، وَلَا نَرْحَلُ إِلَّا كُلَّ هَوْجَاءٍ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا ،
أَوْ وَرَدْنَا مِنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُطِلِ الْمَكْثَ . فَمَنْ لَنَا
إِعْمَالُ الرُّكَّابِ ، فِي لَيْلَةٍ فَيَّةِ الشَّبَابِ ، غُدَاقِيَّةِ الْإِهَابِ . فَأَمَرْنَا
إِلَى أَنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصُّبْحُ خِضَابَهُ .

قوله : « ظلمت » ، أى رحلت ، والظمن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخًا ، وهى على ساحل البحر المالح ،
وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنْيَسَ ،
وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها
تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنْيَسَ .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهياط التوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مِياط :
دفاع ، أى كان عام هُزَجٍ وخِلَافٍ . مرموق : منطور إليه . الرخاء : سعة للمال .
هؤموق : محبوب . أسحب : أجر . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أجبتلى : أنظر . معارف : وجوه . المراء : الفنى والسرور . راققت : صحبت فى السفر . والصَّحْب : الأصحاب . الشَّقاق : الخلاف ، ومعنى شَقُوا عصاه ، أزالوه وطرحوه ، والعرب تقول : شَقَ فلان العصا ، إذا ترك الطاعة وخرج مياناً ، قال أبو عبيد : العصا تُضرب مثلاً للاجتماع ، وانشقاقها يُضرب مثلاً للافتراق الذى لا اجتماع بعده . أفأويق : جمع أفواق ، وأفواق جمع فُواق ، وهو ما بين الحلبتين . والوَفاق : ترك الخلاف ، وقد وافقته موافقةً ووَفاقاً .

قوله : « لاحوا » ، أى ظهروا . والعرب تضرب لثنتل بأسنان اللُشط ، وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان اللُشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » ، فإن أرادوا الاستواء فى الشر قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وقال كثير يهجو بنى ضمرة :

فسائل بقومى كل أجردَ سابحٍ وسل غنارُبنى بضمةً أو سَخلاً^(١)
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لى كِبَرَةٍ منهم على ناشئ فضلًا

الثام : اجتماع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تمحبه وتميل إليه النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النجاء : السير السريع . نرحل : نشد عليها الرُّحل ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأن بها هوجاً وهو الحق ، لسرعة مشيها . وردنا منهلاً : أتينا ماء ننزل عليه ، والنهل : للشرب الأول ، والقائل الثانى ؛ وذلك أن الإبل ترد الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترى ساعة وتستريح ، وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرئة ، ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء ، فالشرب الأول نهل ، والثانى علك . والنهل : موضع النهل . والورود : قصد الماء .

اختلسنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله لكث ، أى لا يستمرئون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والركاب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فتيّة الشباب : خفيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوداء لا قر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الفريسي : و «رُبْنِي» لغة فى : «رُبْنِي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كالفتية ، واليلة أول الشهر سوداء . عُذافية : منسوبة إلى العُذاف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أُشربنا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نَصًا الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونصا ثوبه : جرده عنه ، ومثله : سكت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه ، وسكت الشيء سكتًا ؛ أزاله عما علق به ، والمرأة خضابها كذلك ، وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل في سواد الليل]

وينظر فى سراه مع صحبه فى سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
 وَفَتَوْا أَسْرَوْا وَقَدْ عَكَفَ اللَّيْلُ وَأَقْبَى مُفْدَوِّفِ الْأَطْنَابِ
 وَكَانَ النِّجْمُومَ لَمَّا هَدَتْهُمْ أَشْرَقَ كَالْعَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ
 يَتَفَرِّقُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاحٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
 عَنْ ذِكْرِى لِمَدِّحِهِمْ فَتَنَاهَا مِنْ حَدِيثِى فِى عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ
 هَمَّةٌ فِى السَّمَاءِ تَسْجُبُ ذِيلاً مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدَ الرَّكَّابِ
 ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن العذل ، وهو من حسن الاستعارة :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَّيْلٌ فِى كُلِّ نَجَجٍ يَدُ^(١)
 وَنَحْنُ ضُجَيْمَانُ فِى مَسْجِدٍ فَتَنَّهُ مَا ضَمِنَ السَّجْدُ !
 فِى لَيْلَةِ الْوَصْلِ لَا تَبْدَى^(٢) كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَبْعَدُ^(٣)
 وَيَا غَدَ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَا غَدُ

(١) ديوان الماتى ٤٣ ، ونسبها إلى ابن أبى قيس .

(٢) ديوان للماتى : « لَا تَبْدَى » (٣) ديوان الماتى : « لَا تَبْعَدُ »

وقال ابن المعتز :

يارب ليل حالك الجلبابِ متحفٍ خافقٍ غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا نراعي الليل لم نطوِ بُرْدَهُ ولم يحن شيبُ الصبح من فرغِهِ وَخَطَهُ

تراه كَمَلَكِ الزَّئِجِ من فرطِ كِبَرِهِ إذا رام شيئاً في تأخره أبطأ

مطالاً على الآفاق والبدرُ تاجُهُ وقد علّقَ الجوزاءُ في أذنه قُرْطاً

وقال حبيب :

إليك هتكنّا جُنَحَ ليلٍ كأنَّه قد اكتحلت منه البلادُ يأمِدُ^(١)

وقال ذو الرمة :

ودويّةٌ مثل السماءِ اعتسقتُها وقد صبغ الليلُ الحصى بسوادِ^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدُ^(٣)

أحمَ غداقُ ، وأبيض صارمُ وأعيسُ مهريٌّ ، وأروغُ ماجدُ^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسقتها : سرت فيها على غير معنوية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كأتاء الرويزي جبه » . والرويزي : طيلسان ، شبه الليل وسواده به . وجبه : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأربعة في البيت السابق : أحم : أسود ، ومثله غداق . وفي الديوان : « علاق » ، منسوب إلى علاف ، حي من العرب يسلون الرجال . والأبيض : سيف صامم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعني بيده . وأشمت ، يعني قسه . وللهري من الإبل : منسوب إلى مهرة ، حي من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحتري :

يا خَلِيْلِيْ بِالْهَوَاجِرِ مِنْ مَقْنَنِ بْنِ عَوْفٍ وَبَحْتَرِ بْنِ عَتُودٍ^(١)
اطْلُبْنَا ثَلَاثًا سِوَايَ ، فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالذُّجَيِّ وَالْبِيدِ

وقال السَّلامِيُّ :

إِلَيْكَ طَوَى عَرَضَ الْبَسِيطَةِ عَاجِلًا قَطَارُ الْمَطَايَا أَنْ يُلَوِّحَ لَهَا الْقَضْرُ^(٢)
وَكُنْتُ وَعِزِّي فِي الظَّلَامِ وَصَارِي ثَلَاثَةَ أَشْبَاحٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ
وَبَشَّرْتُ أَمَالِي بِتِلْكَ هُوَ الْوَرَى ، وَدَارِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ

فالبيت الأول والثاني نحو بيت البحتري ، والبيت الثالث نحو بيت ذي الرمة
في التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يتندح الملوك وإلا فلا . ولما مدح عضد الدولة
بلفظه به من السكينة الغاية القصوى ، وقُتِنَ بشعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السَّلامِيَّ فِي مَجْلِسِي ، ظَنَنْتُ أَنْ عَطَارِدًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ . وسندكر من شعره
ما يحسن .

* * *

فَحِينَ مَلْنَا الشَّرَى ، وَمِلْنَا إِلَى الْكَرَى ، صَادَفْنَا أَرْضًا
مُخْضَلَّةَ الرُّبَا ، مُعْتَلَّةَ الصَّبَا ، فَتَخَيَّرْنَاهَا مُنَاخًا لِلْعَيْسِ ، وَمَحَطًّا
لِلتَّغْرِيسِ ، فَلَمَّا حَلَّهَا الْخَلِيطُ ، وَهَدَأَ بِهَا الْأَطِيطُ وَالنَّعَاطِيطُ ، سَمِعْتُ
صَيْتًا مِنَ الرُّجَالِ ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ فِي الرَّحَالِ : كَيْفَ حُكِمَ مُسِيرَتِكَ ،
مَعَ جَيْلِكَ وَجِيرَتِكَ ؟

* * *

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندعي بالسواجير من ودين من » والسواجير : نهر من أعمال
جنج بسوريا
(٢) نيشة الدهر ٢ : ٢٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرُّبَا: السُّكْدَى، واحدها ربوة . معتلة الصُّبَا، أى ليّنة الريح . مناخًا: منزلًا .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطًا: منزلًا تحطُّ به الأحمال . التعريس:
 النزول بالليل فى آخره، وهذا التخيُّر الذى ذكر لهذه الأرض، منزَّعٌ من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا كانت
 أرض مخصبة فتقصّدوا فى السير وأعطوا الركاب حقّها، فإن الله رفيق يحبّ الرفق،
 وإذا كانت مجدبة فأنحوا عليها، وعليكم بالدّجة، فإنّ الأرض تطوى بالليل،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع» .
 الخليط: الأصحاب . هَذَا: سكن . الأطيط: أصوات الإبل، والنطيط:
 أصوات الناس الثَّيام . صَيْتًا: جهر الصوت . سميره: رفيقه الذى يسرُّ معه
 بالحدث . الرِّحَال: منازل المسافرين، سمّيت رحالًا باسم الرِّحَال التى توضع فيها،
 والرِّحْل: اسم لما يجعله البعير من حمّله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك:
 عادتك . جيلك: أهل عصرك . جيرتك: جيرانك .

* * *

فقال: أرعى الجارَ، ولَوْ جَارَ، وَأَبْذُلُ الوَصَالَ، لِمَنْ صَالَ،
 وَأَحْتَمِلُ الخَلِيطَ، وَلَوْ أَبْدَى التَّخْلِيطَ، وَأَوْذُ الحَلِيمَ، وَلَوْ جَرَّعَنِي
 الحَلِيمَ، وَأَفْضَلُ الشَّفِيقَ، عَلَى الشَّقِيقِ، وَأَفِيّ لِلْعَمِيرِ، وَإِنْ لَمْ
 يَكْفِ بِالْعَمِيرِ، وَأَسْتَقِلُّ الْجَزِيلَ، لِلتَّزِيلِ، وَأَعْمُرُ الزَّمِيلَ، بِالْجِيلِ .
 أَنْزَلُ مَمِيرِي، مَنَزَلَةَ آمِيرِي، وَأَحِلُّ أُنَيْمِي، مَحَلَّ رَبِيسِي، وَأُودِعُ
 مَمَارِفِي، عَوَارِفِي، وَأُولِي مَرَاْفِقِي، مَرَاْفِقِي، وَأُلِينُ مَقَالِي، لِلْقَالِي،
 وَأُدِيمُ نَسَالِي، عَيْنَ السَّالِي، وَأَرْضَى مِنَ الْوَفَاءِ، بِاللَّفَاءِ، وَأُقْنَعُ

مِنَ الْجَزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَطَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أَتَقَمُّ ،
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح نحوفا . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنتين والجمع بلفظ واحد ، وسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق المخلص ، والثاني للماء الحار . الشقيق : المحب . الأخ من الأب ، كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى : أعتد . أعامل الصاحب بالوفا . يكفى : بالعشر : يجازى بالعشر من فعل ، والمكافأة : المواساة . أسترقل : أراد قليلا . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزّل ما بعد الضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجليل : الأنمال الجليلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وفلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى ودعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحدها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولي مرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقة لاتفاق بعضهم ببعض . جمع مَرَفَقَةٍ وهى المعونة وما يُرْتَفَقُ به . القالى : البفض ، وقليت الرجل قلى ، أبفضته . تسألنى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للودّة والتارك لها ، وسلوت عن الشئ : أسلو سلوا وسلوة ، إذا تركته . اللّفاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللّفاء ما دُون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حَرَملة رحمه الله :

فأنا بالضعيف فتظلموه ولا حظّى اللّفاء ولا الخسيس^(١)

(١) اللسان - لئاً . وروايته : « فأنا بالضعيف فتزدري » .

أَتَقَمَ : أَرْضَى ، وَالتَّغَاةُ الرِّضَا بِالسَّيْرِ . وَالْجُزْءُ : الْمَكَاةُ ، وَجَازَيْتُهُ بِمَا صَنَعَ
مِثْلَ كَافَاتِهِ ، وَالْأَجْزَاءُ : الْأَنْصَاءُ تَقَسَّمُ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَاحِدُهَا جُزْءٌ ، وَأَقْلَاهُ أَنْقَصَهَا .
أَتَقَلَّمَ : أَشْتَكَى مِنَ الظَّالِمِ . لَا أَتَقَمُ : لَا أَتَقَمُّ . تَقُولُ : تَقَمْتُ مِنْهُ تَقْمَةً ، أَيْ
عَاقَبْتُهُ ، فَعْنَاهُ : لَا أَعَاقِبُ صَاحِبِي ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الْإِضْرَارِ مَتَى الْغَايَةَ ، وَتَقُولُ
أَيْضًا : تَقَمْتُ الشَّيْءَ وَأَتَقَمُّهُ تَقْمًا وَتَقُومًا : إِذَا أَنْكَرْتَهُ ، فَعْنَاهُ عَلَى هَذَا :
لَا أَنْكُرُ عَلَى صَاحِبِي وَلَوْ بَلَغَ فِي الْأَذَى ، وَيُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ أَيْضًا ، تَقَمَّ بِنَقَمٍ .

* * *

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَيْلَكَ يَا بُنَيَّ ! إِنَّمَا يُضْنُ بِالضَّيِّينَ ، وَيُنَاقِسُ
فِي الشَّيْنِ ؛ لَكِنْ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمَوَاتِي ، وَلَا أَسِمُ الْمَوَاتِي ، بَرَأَقَاتِي ،
وَلَا أَصَافِي ، مَنْ يَأْبَى إِنْصَافِي . وَلَا أُوَاحِي ، مَنْ يُبْلِنِي الْوَاخِي ،
وَلَا أُمَالِي ، مَنْ يُحَيِّبُ أَمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي ،
وَلَا أَدَارِي ، مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنْ يُخْفِرُ
ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وَدَادِي ، لِأَصْدَادِي ، وَلَا أَدْعُو لِإِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ،
وَلَا أَعْرِسُ الْإِيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمُوَاسَاتِي ، لِمَنْ
يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا
أَخْصُ بِحَبَاتِي ، إِلَّا أَحْيَاتِي ، وَلَا أَسْتَطِيبُ لِدَائِي ، غَيْرَ أَوْدَائِي ، وَلَا
أُمْلِكُ خَلَّتِي ، مَنْ لَا يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَلَا أَصُقِّي نَبْيِي ، لِمَنْ يَتَمَتَّى
مِنِّي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَاتِي ، لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَاتِي ، وَلَا أُفْرِغُ ثَنَاتِي ،
عَلَى مَنْ يُفْرِغُ لِنَاتِي .

قوله : «ويلك» معناه التمجُّب، كأنه قال: ما أعجبك! أو عجباً لك . وقيل : أراد «ويلك» ، لحذف اللام . إنما يَضُنُّ بالضَّيْنِ^(١) ، هذا مثْلٌ؟ ، أوَّلُ مَنْ قاله الأغلب العجليّ ، وفسره أبو عبيد^(٢) فقال : معناه : تَمَسَّكَ بِإِخَاءٍ مِنْ تَمَسَّكَ بِإِخَائِكَ ، وبَيَّانِهِ أَنَّ الضَّيْنَ البَخِيلَ ، ويَضُنُّ : يَبْخُلُ ، فيقول : إِنَّمَا تَمَسَّكَ وَأَتَمَّاقُ بِصَاحِبِ تَمَسَّكَ بِي وَعَرَفَ حَقِّي ، فَأَنَا أَبْخُلُ بِهِ عَلَى غَيْرِي أَنْ يَشْرَكَ كُنِّي فِي صَحْبَتِهِ كَمَا يَبْخُلُ بِي هُوَ عَلَى غَيْرِهِ ، وقيل : الضَّيْنُ فِي الثَّلْثِ هُوَ الشَّيْءُ الْمَضْنُونُ بِهِ لِنَفَاسَتِهِ ، فَعَنَاهُ إِنَّمَا يُبْخُلُ بِالشَّيْءِ الْفَنِيسِ الرَّفِيعِ . المَوَاتَى : الْمُسَاعِدُ الْمَوَافِقُ . الْعَاتَى لِلتَّكْبَرِ الصَّعْبِ الْخَلْقُ . وَالْمَرَاعَاةُ : الْحَفَاطَةُ لِلوَدِّ . أَسِمَ : أَجْعَلَهَا سِمَةً ، أَيْ عَلَامَةً . أَصَافِي : أَخْلَصَ لَهُ وَدِّي . يَأْتِي : يَنْمَعُ . إِنْصَافِي ، أَيْ إِعْطَاؤِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ . أَوَاخِي : أَصِيرُ لَهُ أَخًا وَأَتَّخِذُهُ صَدِيقًا . يَلْنِي : يَتْرَكَ وَيَطْرَحُ . الْأَوَاخِي : أَسْبَابُ الْوَدِّ ، وَاحِدُهَا أُخْيَةٌ ، وَأَصْلُ الْأُخْيَةِ عُرْوَةٌ مِنْ حَبْلِ تَشَدُّ فِي وَتْدٍ أَوْ عَلَى حَجَرٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَتَبْقَى الْعُرْوَةُ عَلَى الْأَرْضِ فَيَرْبُطُ فِيهَا حَبْلُ الدَّابَّةِ فَيَمْسِكُهَا . أَمَالِي : أَعَاوَنُ ، وَأَصْلُهَا الْهَمْزَةُ ، تَقُولُ : مَا لَأَتُنْعَلِ الْأُمْرَ أَمَالَتِهِ ، إِذَا عَاوَنْتَهُ وَسَاعَدْتَهُ ، وَمِنْهُ : وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَلَا مَالَاتٍ فِي قَتْلِهِ ، نَخَفْتُ الْهَمْزَةَ لِيُوَافِقَ آمَالِي ، وَهُوَ جَمْعُ أَمَلٍ ، وَهُوَ الرَّجَاءُ . صَرَمُ حَبَالِي : قَطَعَ أَسْبَابَ وَصَالِي ، وَهُمْ يَكُونُونَ بِالْحَبْلِ عَنِ الْوَدِّ ، لِأَنَّ الْوَدَّ يَرْبُطُ الْقُلُوبَ وَيُؤَلِّفُهَا كَالْحَبْلِ فَيَا يَرْبُطُ . قَوْلُهُ : «أَدَارِي» ، أَسُوسُ وَأَحْسَنُ صَحْبَتِهِ . وَالْزِمَامُ : حَبْلٌ مِنْ جُلُودٍ يَرْبُطُ فِي حَلْقَةٍ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ . يَحْقِرُ ذِمَامِي : يَنْقُضُ عَهْدِي ، أَيْ لَا أَقْدِرُ أَنْ لَاعَهْدَ لَهُ . وَدَادِي : حَبِّي ، وَهُوَ مِنْ وَادَهُ وَهُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ فَوْضَعَهُ مَوْضِعَ وَدِّي ، وَيُقَالُ أَيْضًا : فِي الْحُبِّ حُبَابٌ « مِثْلُ وَدَادٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* أَدَاءُ عِرَانِي مِنْ حُبَابِكَ أَمْ سَحَرُ *

(١) جَهْرَةُ الْأَمْتَالِ ١ : ٩٩

(٢) الْهَسَانُ ، وَنَسَبَ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ وَصَدْرُهُ :

* فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ *

أضدادى : أعدائى المناقضين لأفعالى . إيعادى : تهديدى وتحويئى .
 الأيادى : النعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوة نفسى فى مالى قاسمته فيه .
 مساأتى : أحزأتى وما يسوءنى . التفائى : نظرى وانعطافى إلى جهته . يشمت :
 يسرّ : وناق : موتى . أخصّ : أفرد . حبائى : عطائى . أحبائى : جمع حبيب .
 أستطبّ : أطلب ضيقه . خلّتى : صداقتى . بسدّ خلّتى : يصلح قبرى . أخلص :
 أجعله خالصاً . يُنعم : يتلأ . أفرغ فئائى : أصبّ مدحى وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

وَمَنْ حَكَمَ بَأْنَ أَبْذُلَ وَتَحْزُنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخْشُنَ ، وَأَذُوبَ
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَحْمَدَ ! لَا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمُثْقَالِ ، وَتَنَحَازِي فِي الْأَعْمَالِ . حَذَوُ النَّعَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ الثَّعَابِينَ ،
 وَنُسَكِّفَ التَّضَاغِينَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَاكَ وَتُمَلِّنِي ، وَأَقْلُكَ وَتَسْتَقْلِنِي ،
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرَحُنِي ، وَأَمْرَحُ إِلَيْكَ وَتَسْرَحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلِبُ
 إِنْصَافُ بَضِيمٍ ، وَأَتَى تَشْرِقُ نَفْسٌ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحَبُ وَدَّ
 بَعْسَفٍ ، وَأَيُّ حُسْرِ رَضِيَ بِخُطَّةِ خَسَفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

قوله : «تحنز» ، أى تحبس . أذكو : أضيء . يقال : خدث النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انتقدت . والمثقال : الصنعة التى يوزن بها ، سميت بذلك
 لأنها تنقل ما يوزن بها فى الكفة الثانية . تنحاذى : تشابه . والنعال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرها إلا فى مصدر ناعل ، قال ابن
 الأعرابى : النعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والفعل بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والعرب تقول فى الشئين يشتهبان : هما حذو النعل

بالنمل، أى كل واحد من النملين يُقطع على قالب أختها، ومنه قول الهذلي:
وتأمل السَّبْت الذى أخذوكُم فأنظرُ بمثل حدائه فاحذوني^(١)

التفان: الغبن. نكفى: نمنع. التضامن: العداوة، وتضامن الرجلان: اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضيقاً وهو الحقد. أعلَّك: أسقيك عللاً، أى مرة بعد أخرى. تعلنى: ترضنى. أقلَّك: أرففك. تستقلنى: تحقرنى. أجترح: أكتسب. أشرح: أرعى عليك، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشى. تشرقنى: تهملى. ضيم: ذل. أئى: كيف. تضىء: من أشرقت، وتشرق تطلع، من شرقت. غيم: سحب. أصحب: أقاد. بعصف: بجور، وأصل السَّف ركوب الأمر بغير تدبير. والخطلة: المنزلة والمرتبة، والخسف: الإذلال والنقصان، ومنه خسف الأرض، والخساف: للهبول، ويقال: بانوا على الخسف، أى جياًعاً ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للدابة: أن تبيت بغير علف.

* * *

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وَدَّةً جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أَسَدٍ
وَكَلْتُ لِلْخِلِّ كَمَا كَالِ لِي عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ
وَلَمْ أَخْشَرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ يَوْمُهُ أَخْشَرُ مِنْ أَمْسِهِ
وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرَسِهِ
لَا أَبْتَنِي الْغَبْنَ، وَلَا أَتَنِي بِصَفْقَةِ الْمُنْفُونَ فِي حِسِّهِ
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِمَنْ لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ
وَرُبُّ مَذَاقِ الْهَوَى خَالِي أَصْدَقُهُ الْوُدَّ عَلَى لَبْسِهِ

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ
فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجَرَ الْقَلِي وَهَبَهُ كَالْمَلْحُودِ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسْ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجِ الْوَدَّ يَمَنْ يَرَى أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلْسِهِ

* * *

قوله: «أعلق»، بمعنى علق، أى ألصق. أسه: أصل بناءه؛ يقول: من علق بقلبي وده، جعلت ذلك الود أساً بقاى، وبنيت عليه ودى، فإن أسس في قلبي وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن غشنى في ود غششته، والهاء في «أسه» ترجع إلى «من» أى من نصحنى في صحبته نصحته. والخال: الصاحب. بخه: نقصه. أخسر: أنقص. الورى: الخلق من الناس. الجنى: ما يجنى من الثمرة. أبتنى الفين: أطلب الخلداء: أثنى: أرجع، وصفقة المغيبون: بيعة المخذوع. حته: نهمة، والحسن: صوت حركة الحى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال: صفق صفقاً إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري وانفقد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا رضى البيع، ثم مُمى عقد البيع صفقة. مداف: خلط غير مخلص. الهوى: الحب. وخالتي: حبيبي. لبسه: تخليطه وتليسه. غريمي: صاحب دبنى. من جنه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استفجك. القلى: البفض. هبه: احببه. الملحود: المدفون. رمسه: قبره، ويسر إلى يته قول ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ فَقَدْ نَفَى نَفْسَهُ وَأَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوء
يُكرّم للثرى فإن أُمْلَقَ أَقْصَاهُ بُنُوءُ
أنت ما استغنيتَ عن صا جك الدهر أخوه
فإن احتجت إليه ساعةً ججك فوه

ووجد على حجر مكتوباً :

كلّ من أحوجك الدهر إليه وتعرّضت له هُنتَ عليه

وهذان اللذهبان اللذان ذكرهما الحريري مبنيان على آيتين ، من كتاب
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ
مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاخير في صجة من لا يرى لك من الحق ،
مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في الغزو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال المتعم السكندی في
المذهب الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي
أراهم إلى نصرى يطاء وإن هم
وإن أكلوا الحى وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً^(١)
دعوني إلى نصرى أتيهم شداً

وإن ضَيَعُوا غَيْبِي حَفَظْتُ غَيْبَهُمْ وإن هَمُّهُمُ هَوَايَ هَوَيْتَ لَهُمُ رُشْدًا
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بَنَحْسِي تَمَرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمُ طَيْرًا تَمَرُّ بِهِمُ سَقْدًا
لَمْ جَلَّ مَالِي إِنْ تَابَعَ لِي غَنَى وإن قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلفَهُمُ رِنْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وليس يَسُودُ الْقَوْمَ مِنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وقال ممن بن أَوْسٍ الْمُرْنَى فِي الْإِذْهَبِ الثَّانِي :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ^(١)
وَيَرْكَبُ حَدَّ السِّيفِ مَنْ أَنْ تَضِيْعُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السِّيفِ مَزْخَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَنْتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْضَلُ
قَلْبَتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ نَلَمْ أَدُمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْنَا أَمْحُولُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أَمِيلَ مَعَ النَّعَامِ إِلَى ابْنِ عَمِّي وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ^(٢)
وَإِنِّي أَقْبَيْتَنِي حُسْرًا مُطَاعًا إِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفْرَقْتِ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَبَيْنِي وَأَجْمَعَ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِّوْقِ
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِي بَرِيْقِي
غَفَرْتُ ذَنْبَهُ، وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَانَةً أَنْ أَعِيشَ بِإِلَا صَدِيقِ

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :

إِنِّي مَتَى أَحْمِلُ بِمَقْدِكَ لَا أَضُرُّ بِهِ سِوَاكَ^(٣)

(١) حاشية أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ : ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومنى أطلعك في أخيك أطلعتُ فيكَ غداً أخاصاك
 حتى أرى مستقماً يومئذٍ ، وغداً لذاك
 وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني :

فإن تزدني أزر وإنا نَقِفُ بيابى أقف بيباك
 والله لا كنت في حسابي إلا إذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه
 أحد فيه ، ولا سبته إليه إذ يقول :

وإني لأختصُّ بعضَ الرجال وإن كان قدماً ثقيلاً عبكاً^(١)
 فإنَّ الجبين على أنه وخيمٌ ثَقِيلٌ يشبهُ الطامناً

ولابن شرف :

يَعْنِي مَنْ جَفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِسَلْتِهِ واطلب به بدلاً إن راء تبديلاً
 وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا وَعَيْتُ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، ثَقْتُ إِلَى أَنْ
 أَعْرِفَ عَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا لَاحَ ابْنُ ذُكَّاءَ ، وَأَلْخَفَ الْجَوُّ الضِّيَاءَ ، غَدَوْتُ
 قَبْلَ اسْتِقْلَالِ الرُّكَّابِ ، وَلَا اغْتِدَاءِ الْغُرَابِ ، وَجَعَلْتُ أَسْتَقْرِئُ
 صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ ، وَأَتَوَسَّمُ الْوُجُوهَ بِالنَّظَرِ الْجَلِيِّ ، إِلَى أَنْ

لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَعَادَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَثَّانِ ، قَعَلْتُ
أَنْهُمَا نَجِيًّا لَيْلَتِي ، وَصَاحِبَا رِوَايَتِي .

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عينيما : شخصيما .
لاح : ظهر . ابن ذُكَاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذكاء . لأنه من ضوئها . ألحف : غطى . الجوّ : الهواء بين السماء والأرض ،
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح السّأرى الذى كَمَلَ السّرى على أخريات اللّيل فَنَقُتْ مُشَبَّرٌ^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجئل والنوف أشقرُ
شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يعمل المنيديل منه مكان حائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطَرْفٍ أشقرٍ ملقى الجلال

وقال يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهٍ راحٍ تستنير فتشرفُ
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحلّ لقمانُ ، وأقبل يوسفُ

قوله : «غدت» ، أى بكرت . استقلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الا.

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فحذف « مثل »
 المنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب للمعارف ، وأراد أن
 اغتدائى كان قبل أن يقتدى الغراب ، والغراب أكثر العليز بكوراً ، وهذا
 وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال
 السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طابت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من
 المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « نقي ولا كلك » ، فيريدون
 مالكا أفضل من النقي ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى فاضل فى
 « ييه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء
 أفضل من ذلك الماء على طيبة ، فهذا مذهب العرب فى ذكر « لا » بين المشبهين .

وأما قول الحريرى : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر
 من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم
 فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من
 السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ،
 ولا فائدة فى ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى
 كلام العرب انقلب المعنى ، وإتاما للفظ من كلام عامة العراق ، فاستعملها لأنها عندهم
 متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزة للولدون فى أشعارهم ، وجاء منه
 فى مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة « ولا » فى تشبيهاتهم
 كثيراً جداً على حد استعمال الحريرى لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديهى : الرفع فى قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة فى

التشبيه من النصب .

قوله : « أستقرى » ، أى ألتج . صوب : جهة وناحية . اللطى : الذى سُمع بالليل .
 أتوسم . أتعرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . بردان رثان :

يوبان خَلْقَان . نَجِيًّا لَيْلِي ، أَى التَّحَدَّثَانِ فِيهَا ، وَجَعَلَهُمَا مُتَعَدِّثِينَ مَعَ اللَّيْلَةِ مَجَازًا
لَمَّا أَوْقَعَ الْحَدِيثَ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيَالِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) وَلَا يُمْكِرَانِ إِنَّمَا
يُمَكِّرُ فِيهِمَا ، فَسَبَّ ذَلِكَ الْمَكْرَ إِلَيْهِمَا . صَاحِبَا رَوَاقِي . أَى الذَّانِ أَرَوَى عَنْهُمَا
هَذِهِ النِّصَّةَ .

* * *

فَقَصَدَتْهُمَا قَصْدَ كَلْفٍ بِدَمَائِهِمَا ، رَاثٍ لِرَاثَتَيْهِمَا ، وَأَبْغَضَهُمَا
التَّحَوُّلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالنَّحْكَمَ فِي كُثْرَى وَقَلِي ، وَطَفِقتُ أُسَيْرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْزُ الْأَعْوَادِ الْمُثْمِرَةَ لَهُمَا ، إِلَى أَنْ غُمِرَا
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنْ الْخُلُلَانِ . وَكُنَّا بِمَعْرِسٍ نَنْبِيئُ مِنْهُ مُبْدِيَانِ
الْقُرَى ، وَتَنْتَوُرُ نِيرَانِ الْقُرَى .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَبْسِهِ ، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنَّ بَدَنِي قَدْ انْسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفَتَأْذَنُ لِي فِي قَصْدِ
قَرْيَةٍ لَأَسْتَحِمَّ ؛ وَأَقْضِيَ هَذَا الْمِهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ طَرَفِكَ إِلَيْكَ .

* * *

كَلْفٌ : مَحَبَّةٌ . دَمَائِهِمَا : سَهْوَتُهُمَا ، وَالْدَّمَائَةُ سَهْوَةُ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا
مَوَاطِنُهُ وَسَهْلَتُهُ وَأَذَلَّتُهُ بَيْنَكَ فَهُوَ دَمِيثٌ . رَاثٍ : بَالِكٌ مُشْفِقٌ . وَرَاثَتُهُمَا : سَوْءُ

حالمها . أبجته : جعلته له مباحاً . كَثُرِي وُقْلِي : أى كثير مالى وقاليه . طفقت : أخذت . أسير : أمتشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسرار . أهز الأعواد ، استعاره ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نقلاً حين قال :

قصده والشيخ يبنى جنى عودٍ له ما زال مهزُوراً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إلّا بكنّ ورقى غصّاً أراح به العتفين نأنى لئن العود
أراد إن لا أكن كثير المال نأنى كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهتز به ، من الأريحمة . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لأصل له ، ويقال لها الخلفة . قوله : « عمراً » ، أى أعطياً . التحلان : العنابا . الخلائن : الأصحاب . وقوله : « وكنا بعرّس » ، العرس موضع النزول آخر الليل . ننظّر : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كبسه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبذرة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب :
من بعد ما صارت هنيئة صرمة والبذرة التجلاء صارت كيا^(٢)

قوله : « التجلاء بوسه » ، انكشاف قفوه . درّنى : وسخى . ورسخ التى : فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العالم فى العلم : دخل فيه . أستحم : أدخل الحمام ، واستحم الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحار . أفضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشئ : صنعته . المهم : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أم أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيّع . وقيل :

(١) فى لقائه الأربيع صفح ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٧ ، والبيضة : اسم العانة من الإبل . والصرمة : ما بين الدهرة إلى بضمه - عشر . والتجلاء : الرخصة .

للهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذى فى القلب منه هم وشغل ، وقد ذكر أن الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأقضى هذا اللهم » من قوله تعالى : (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ)^(١) ، وقد أهمنى الشيء فهو مهم ، وهذا القول أوفى بمراده .

[نبذت ما قيل فى الحمام شعرا وشرا]

وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام :

يا صاح عهدى بالحمام قد بعدا فلا تلمنى فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معركٍ لجب دحضت زل به الأقدام قد بعدا
عدا آثرن برأسى حين تُرن به توقدا وأعادت جلده جليدا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها فلم أدع واليا منها ولا ولدا
ثم اثنتى معافى ناعما جذلا مظفرا أستزيد الواحد الصمدا
ورأى نفسه ممتدا بين يدى الحكاك ، قال :

أغترت إن مد فى العُمر لى وأرجى المتاب إلى قابيل
وأغفلُ والموت لى طالب حيث كذب الفضى القاتل
كأنى بى هكذا ميتا^(١) تحكّم فى يد الغاسل
وله أيضا :

شكرت للدهر حسن ما صنعا طريد مجدى محبى رفعا
يا حسن حمامنا وقد غربت شمس الضحى فيه بعد ما ممتعا
أيقن أن اللال راكبه فضاء للناشرين وأنمعا
فأنتم أبا علم بنمته وأعجب لأمرين فيه قد جمعا

(١) الملح ٢٩ : ١١٢ (٢) : وكان بى ٢

نيرانه من زنادِكُمْ قُدِحَتْ وماؤه من بَنانِكُمْ نِمْنا
ولبعضهم في حمام كانت مضاوله من زجاج أحمر ، وفي سمائه حمرة وبياض :

تَحَيَّرْتُ مِنْ طَيِّبِ حَمَامِنَا فَخُيِّلَ لِي أَنْ فِيهِ الْفَلَقُ
فمن حمرة فوقنا وبياض
لَحْدَ الْحَبِيبِ إِذَا مَا عَرَّقَ فَسَدَّ كُؤَى سَقْفِهِ بِالْشَفَقِ
رَأَى الدَّهْرَ مَسْدً مِنْ حُسْنِهِ

ودخل الحمام أبو جعفر التُّطَلِّيُّ وأبو بكر بن بَقِ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى ، فقال
أَبُو جَعْفَرٍ :

يَا حُسْنَ حَمَامِنَا وَبِهِجَتِهِ مَرَأَى مِنَ السَّحَرِ كُلِّ حَسَنُ
مَا: وَنَارٌ حَوَاهَا كَنَفٌ كَأَقْلَبَ فِيهِ السَّرُورَ وَالْحَزْنَ

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، فقال :

هَلْ اسْتَأْلَكَ مَيَّالَ الْقَوَامِ وَقَدْ سَأَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَامِ أُنْدَاهُ
كَالْفَصْنِ بِأَشْرَ حَرِّ النَّارِ مَنْ كَسَبَ فَظَلَّ يَقْطُرُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْمَاءُ
وَقَالَ آخَرُ :

حَمَامِنَا فِيهِ فَصْلُ الْقَيْظِ مُحْتَدِمٌ وَفِيهِ لِلْبَرْدِ سُرٌّ غَيْرُ ذِي ضَرَرٍ
ضِدَّانَ يَنْعَمُ جِسْمُ الْمَرْءِ بَيْنَهُمَا كَالْفَصْنِ يَنْعَمُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْمَطَرِ

وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ : وَمَا قُلْتَهُ عَلَى عَقَبِ وَدَاعٍ :

وَلَمْ أَدْخِلِ الْحَمَامَ سَاعَةً بَيْنَهُمْ لِأَجْلِ نَعِيمٍ ، قَدْ رَضِيتُ بِبُؤْسِي
وَلَكِنْ لَتَجْرَى عَثْرَتِي مَطْمَئِنَّةً فَأَبْسِكِي ، وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ جَلِيسِي

وقال آخر :

وَحَمَامٍ كَأَنَّ النَّارَ فِيهِ مَسْرَّةٌ يَتَوَلَّى الْجَحِيمَ
دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ أَهْوَاهُ فِيهِ ضَلَّ لَنَا كَجَنَاتِ الْقَصِيمِ
وقال آخر في ذم حمام :

وَحَمَامٍ سُودٌ وَخِيمُ الْهَوَا قَلِيلُ الْمَاءِ كَثِيرُ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقُعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامٍ
حَتَيَاتِهِ عَطَفَاتُ الْقِسَى وَقَطَرَاتِهِ صَائِبَاتُ السَّهَامِ

وقال آخر في تمجيد الخروج منه :

خَذَ مِنْ الْحَمَامِ وَاخْرَجَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ
حَدَّثَنِي عَنْهُ وَإِلَّا حَدَّثَ الْحَمَامُ عَنْكَ

وقال ابن رشيقي :

حُمُرْتَهُنَّ لَدَى الْحَمَامِ أَضْحَى وَحَالَآءُ لَأَمْحَابِ السَّعِيرِ
إِذَا سَمُوا الْمَذَابَ أَوْ اسْتَنَافُوا أَغَاثُومَ بِيَابِ الزَّمْهِرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَرًّا وَبَرْدًا بَيْتِ الْخَوْضِ أَوْ بَيْتِ الطَّهْوَرِ
وَطَالَ بِهِ انْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ قَدْ زَادَ الثَّقَى عَلَى النَّظِيرِ
وله أيضاً :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَامِ بَذْماً وَعُودَةً أَبَادَى بَيْضاً مَا لَمْ يَنْثَمِينْ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانَ حَامِرَا فَرَحْتَ بِتَطْلُيقِي وَأَنْتَ قَيْنٌ^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وَسُخِّنَ قَرَّ الْجَفْنِ وَهُوَ سَعِينٌ

(١) ط : « ثَمِين » . وما أنبته من أ ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحَتَامُ يَذْكُرُ جَهَنَّمَ ، وَيَتَّقَى الدَّرَنَ .
وقال على رضى الله عنه : بَسَّسَ الْبَيْتَ الْحَتَامُ ! تَكْشَفُ فِيهِ الْعُورَاتُ ، وَتَرْتَفَعُ
فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا يُقْرَأُ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقاشي فقال له : امدحْه ، فقال : يُذْهِبُ الْقَشَانَةَ ،
وَيُعْقِبُ النِّظَافَةَ ، وَيُفُشُّ ^(١) التُّعْمَةَ ، وَيَطِيبُ النِّعْمَةَ ، فقال : ذمّه ، فقال : يَهْتِكُ
الْأَسْتَارَ ، وَيُؤَلِّفُ الْأَقْدَارَ ، وَيَذْهَبُ بِالْوَقَارِ .

قوله : « إِذَا شِئْتَ فَالسرعة السرعة » ، يقول : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْصِدَ الْحَتَامَ
فَالزَّمِ السَّرْعَةَ ، وَجْعَلِ الرَّجْعَةَ ، وَكَرَّرْهَا تَأْكِيدًا ، وَالْفِعْلَ النَّاصِبَ لَهَا بِلَزْمِ
إِضْمَارِهِ مَعَ التَّكْرِيرِ ، فَلِذَا أَفْرَدْتَ جَازَ إِظْهَارَ الْفِعْلِ ، وَنَظِيرُهُمَا قَوْلُ الْعَرَبِ :
الطَّرِيقُ ، وَالطَّرِيقُ ، وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

* خَلَّ الطَّرِيقُ إِنْ يُبْنَى الْمَنَارُ لَهُ *

فلما سقط التَّكْرِيرُ سَاغَ لَهُ إِظْهَارُ الْفِعْلِ . مَطْلَعِي : مُصْدَرٌ بِمَعْنَى طُلُوعِي .
أَهْلُ الْحِجَازِ يَفْتَحُونَ لَامَهُ فِي الْمَصْدَرِ وَغَيْرِهِمْ يَكْسِرُهَا . ارْتِدَادُ طَرَفِكَ ، أَيْ
رَجُوعُ نَظَرِكَ .

ثُمَّ اسْتَنْتَ اسْتِنَانَ الْجَوَادِ فِي الْمَضَارِ ، وَقَالَ لَا بُدَّ : بَدَارُ بَدَارٍ !
وَلَمْ نَحْلُ أَنْهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ الْمَغْرَ . فَلَبِثْنَا تَرْقُبُهُ رَقَبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَطَامُهُ بِالطَّلَاحِ وَالرُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرْفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ ، وَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْلَاحِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْتُنَا فِي الْمُهَلَةِ ، وَتَعَادَيْنَا فِي

(١) قال: فنى الوطء، أى أخرج ما فيه من الرج

لِلرَّحْلَةِ ، إِلَى أَنْ أَصْنَعَا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَاهَبُوا لِلظَّمَنِ ، وَلَا تَلُوءُوا عَلَى خَضِرَاءِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنَّان الجواد : جرى كما يجري الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفِصال حتى القرعى ^(١) ،
يريدون جرت الفِصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرقا أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بِسِنَّةٍ كَاسْتَنَّانِ الْغُرُو فِوقَ قَطْعِ الْحَبْلِ بِأَبْرُودِ ^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفوفو ، وقد فسر « استنَّت الفِصال » بأن معناه
أحسن رعيتهما ، حتى كأنه صقاهما . والجواد : الفرس الكريم . المضمار : الطَّلَق تجرى
فيه الخليل ، تسمى مِضْماراً لأن الخليل تضمر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستمن
الخليل فتستخرجها إلى المِضْمار ، فتجريها طلقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيدها يوماً
آخر في الجري على ذلك ، ثم لا تزال تزيدها في الطَّلَق كل يوم ، حتى تجريها
الأميال ، فيسيل عرق الخليل بذلك الجري ، ويشتد لها بذلك التضجير
قال زهير :

تُضْمَرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ نُسْنٌ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ ^(٣)

القرن : دُفْعُ العرق ، واحدا قرْن .

وقوله : « بدار بدار » ، أى سبقاً سبقاً ، وهو ممدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرب للرجل يغفل ما ليس له بأهل - جبهة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) البان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدى بالجرى ، واسبق إلى الحقام . لم تَحَلْ : لم تحسب . غرّ : خدع . رقبه ، أى :
نظر من أين يحى ويروى : « رقبه رقبه أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الزقاق فى هذه الرقبة :

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله جفوتنا إلى نحو السماء موائلا^(١)
إلى أن بدا أحوى للدامع أحور يجر لأذيال الشبّاب غلائلا
قلقت له أهلا وسهلا ومرجبا بمن قد حوى طيب السمول شمائلا
أنتلبك الأبصار فى الجو ناقصا وأنت كذا تمشى على الأرض كاملا
وله فى معناه :

فه شهر ما نظرت هلاله إلا كنون أو كمنة لام^(٢)
حتى تبدى لي أغن مهف بضياته يتجأب كل ظلام
فطفت أهتف بالأنام ضلتم وغلطم فى عذة الأيام
ما جاءنا شهر لأول ليلة مذ كانت الدنيا بيدر تمام

نستطامه ، أى نلتص طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والرواد : العالون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون فى الطرقات ، الواحد
طليعة ، وأصل الرواد الطاليلون للرعى . هَرِم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتم .
ينهار : ينهدم . والجرف : ما يأكله الوادى ، استماره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطمار : الثياب الخلقّة ، أراد أن توب الشمس وهو ضومها قد تغيّر ولى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس .

وما يستغرب من ذلك قول العلوّى الأصبهاني :

ومجلس شرب جثته مطرّبا عشيا وعين الشمس فى الأفق تنفس

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ جَنُوحَ الشَّمْسِ ثُمَّ غُرُوبَهَا وَقَدْ جَلَّتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمَرُضُ^(١)
تَخَاوَسُ عَيْنَ بَيْنَ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِي مِنْهَا النَّوْمُ وَهِيَ تَمَضُّ^(٢)
وقال أيضاً :

إِذَا رَمَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَتَفَضَّتْ عَلَى الْأَفْقِ النَّارُ وَزَسًا مَدَّ عَزَا^(٣)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لَتَقْضَى نَجْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمَرِهَا فَتَشْتَعَلُ^(٤)
وَلَا حَظَّ الْأَنْوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدَّهَا عَلَى الْأَرْضِ أُتْرَعَا^(٥)
كَأَنَّ لَاحِظَ عَوَاذِهِ عَيْنَ مَدْفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا^(٦)
أخبرني ابن منصور ، قال : خرجتُ بخارج فأس عشيّة مع فتى وراق ، فنظر
إلى صفرة الشمس واستنشق برد التسيم ، وأنشدني مرتجلاً :

انظر إلى الشمس في الأصلِ كأنها وُجِنَتْنا عِلِيلِ
ورقٌ هذا التسيمُ حتّى كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الزقاق :

وعشيّةٍ لَيْسَتْ بِمِلَاءٍ شَفِيقِ تُزْهِى بِلَوْنِهِ لِلْخُدُودِ أَنْثَى^(١)
أَجَبَتْ بِهَا الْهَيْبَةُ لِلنِّيرَةِ مِثْلَ مَا أَبْقَى الْحَيَاءُ بَوْجُنِي مَشْوَقِ
لَوْ اسْتَطَعْتُ شَرِبْتُهَا كَلْفًا بِهَا وَعَدَلْتُ فِيهَا عَنْ كُثُوسِ رَحِيْقِ
وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفراناً بالربا وتبثّ مسكها على الفيضان

(١) ديوان المازني ٣٦١

(٢) ديوان المازني ١ : ٣٦١ ، ومذهنمأ : مفرأ .

(٣) حول بلل عمرها ، أي لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : لَيْسَتْ رِفَاءَ شَفِيقِ ،

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسرور وقد بدا
من دون قرص الشمس ما يتوقع^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها
فوددت يا موسى لو أنك بوسع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلف السحاب وذكر امرأة :

ترك بياض عُرَّتِها ووجهها
كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصةً فبدا كليلًا
كلًا وافلًا سائرًا افلًا

قوله : « بدا كليلًا » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلل الشمسُ ترمقنا بلحظٍ
مريضٍ مدنفٍ من خلفٍ سِترٍ^(٢)
تحاول فتقُ غيمٍ وهو بأبى^(٣)
كعنّينٍ يريدُ نكاحَ بكرٍ

قوله : « تناهينا » ، أى بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قد تراخينا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم منىً مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارٍ
أى على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :
وأهلك مهرَ أهلك الدّوا ليس له من طعامٍ نصيب

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان الماتى ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلحظ خي » .

(٣) ط : « لفتح غيم » ، وما أبته من ديوان الماتى .

أى قد الدواء ، وجاء فى القرآن ﴿ وَنَسَّالِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ ^(١) أى أهل القرية ، و﴿ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ﴾ ^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام النصيح ، بتأليب المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غاط الحريى فقال : لو تمدت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام النصيح فأراد : طالت بنا هذه السفرة . وتمادى الشئ فهو متمازٍ ، إذا طال فيه المدى ، وهو الفاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمامنا فى انتظاره ، فطالت علينا السفرة اطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسا فر به . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مينا ، وأما مانهَ يُمُونه مونا ، فقام بمؤنته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظن : الرحيل . ولا تلؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة المنظر سيئة الخبز ، وإذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه ، فشبها بأزيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحتِه ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطّلهم عن سفرهم نهاراً فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، قيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

وَنَهَضْتُ لِأَخْدِجَ رَاحِلَتِي ، وَاتَّعَمَلْتُ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَا لِي سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَحْصِيْنِ أَيْ نَأْيُهُ كَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرَ

قَالَ : فَأَقْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتْبَ ، لِيُعْذِرَهُ مَنْ كَانَ عَتَبَ
فَأَعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَمَوَّذُوا مِنْ أَقْتِهِ .
ثُمَّ إِنَّا نَخْلَعْنَا ، وَلَمْ تَذَرِ مِنْ اعْتِاضِ عَنَّا .

• • •

قوله : «أحدج» : أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء ،
وأراد أرحل الناقة . وراحته : ناقته . أتحمل لرحلى ، أو قرحلى للرجل ،
يقال : تحمل القوم ، إذا عبأوا أحماهم وارتحلوا . والقَتْبُ : خشب الرجل . قوله :
«ساعدا» ، أى ذراعايستمين به . مساعدا : مواظبا . تأيتك : بددت عنك . أشر :
بطر وعدم شكر ، يقال : أشر الرجل بأشِرْ أَشْرًا ، إذا بطر ، قال الأخطل
يذكر بنى أمية :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ جَدًّا تُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(١)
لَمْ يَأْشِرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِيرُوا
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذ بنت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام
وسخط فعله . خُرَافته : حديثه الملهى .

[حديث خرافة]

وحديث خُرافة^(٢) مثل سائر على ألسنة الناس في القديم والحديث ، يضرب
لكل حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال الفضل بسند يصل إلى عائشة رضى الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثني حديث خُرافة ، قال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرني أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاكم الله » .

(٢) اظهر الليثي ١ : ١٣١ ، الفخر ١٦٨ ، السان ١٠ : ٢١٤ .

فسيوه ، قال أحدهم : نفعو عنه ، وقال آخر قتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، قال : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ، قال : وما أتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أمرنا هذا فنحن نأتمر في أمره ، قال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أأشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنت ذا نعمة فزالت ، وركبني دين ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، فطأني العطش ، فمدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألقت إليه . قال : اللهم إن كان رجلاً فحوّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوّلها رجلاً ، فإذا أنا امرأة ، فأنت مدينة فتزوجني رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدت إلى بلدي ، ففرت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت ولم ألقت له ، فدعا كالأول ، فمدت رجلاً كما كنت . فأنت بلدي ، فتزوجت امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . قالوا : إن هذا عجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم نور يعاير فلماً جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يخزفي إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردوا ، وسألهم ، فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم ؛ قال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أأشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكان له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجل يريه ، فأنفقت ، قال : أيتكم يرده فأنبتني له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، وأتررت ، ثم حفزت في إثره وأنا غلام ، وقد شئت ، فلا أنا ألحقه ولا هو يكل ؛ قالوا : إن هذا لعجب ، أصدفأت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أبيض . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم أصحابه فردوا عليه كردم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه الخبر ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أأشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كانت لي أم خبيثة . ثم قال للفرس الأتي الذي تحته : أ كذالك هو

فَقَالَتْ : بِرَأْسِهَا نَعَمْ — قَالَ : وَكَنْتُ أُنْهَمُّهَا بِهَذَا الْعَبْدِ — وَأَشَارَ إِلَى الْفَرَسِ ،
الَّتِي تَحْتَ غَلَامِهِ : أَهْكَذَا ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ — فَوَجَّهَتْ بِغَلَاظِ هَذَا الرَّا كِبِ
ذَاتِ يَوْمٍ فِي بَعْضِ حَاجَاتِي ، فَخَبَسَتْ عَنْدَهَا فَأَغْنِي ، فِرْأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهَا صَاحَتِ
صَنِيعَةً ، فَإِذَا هِيَ بِمُجَرَّدٍ قَدْ خَرَجَ ، فَقَالَتْ : اسْجُدْ ، فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَالَتْ : ا كْرَبْ
فَكَرَبَ ^(١) ، ثُمَّ قَالَتْ : ادرِسْ فِندِرْسْ ، ثُمَّ دَعَتْ بِرَحًا فَطَلَحَتْ قَدَحَ سَوِيْقٍ ،
فَأَنْتَ بِهِ الْغَلَامُ ، فَقَالَتْ لَهُ : ائْتِ بِهِ مَوْلَاكَ ، فَأَتَانِي بِهِ ، فَاحْتَلَّتْ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَيْتَهُمَا
الْقَدَحَ ، فَإِذَا هِيَ فِرْسٌ أَتَتْ ، وَإِذَا هُوَ فِرْسٌ ذَكَرٌ ، قَالَ : أَمْ كَذَلِكَ ؟ قَالَتْ الْفَرَسُ
الْأُنْثَى بِرَأْسِهَا : نَعَمْ ، وَقَالَ الْفَرَسُ الذَّكَرُ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ ، فَقَالُوا إِنْ هَذَا أُعْجِبَ
شَيْءٌ سَمِعْنَاهُ ، أَنْتَ شَرِيكُنَا . فَاجْمَعْ رَأْيَهُمْ فَأَعْتَقُوا خُرَافَةَ فَاتْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَمَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُحَالَّةِ نُسِبَ إِلَى خُرَافَةِ
صَاحِبِ الْحَدِيثِ .

* * *

قوله : « آفته » أى ضرره . ظلمنا : رحلنا . اعتاض : استبدل .

المقامة الخامسة وهي الكوفية

حكى الحارث بن همام قال : سمّرت بالكوفة في ليلة أدعما ذو
لوزنين ، وقمرها كتمويد من لجين ، مع رُقعة غُذوا بلبان البيان ،
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ، ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يحفظ منه ، وعيل الرقيق إليه ، ولا عيل عنه ، فاستمروا
السمر ، إلى أن غرب القمر ، وغلب السهر . فلما رَوّق
الليل الزهيم ، ولم يبق إلا التهويم ، تمنعنا من الباب
تأأة مستنبح ، ثم تلاها صكّة مستفتح ، فقلنا : من المثلّم ،
في الليل المدلّم ؟ فقال :

• • •

[الكوفة]

سمّرت بالكوفة . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
فرسخاً ، وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهي الرملة الشديدة
البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوّف الرمل
تكوفاً ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قُطعت من البلاد ،
من قولهم : أعطيت فلاناً كيفةً ، أى قطعة ، وكفت أ كيف كينا : قومت .
والكوفة « قُملة » منه ، قُلبت الياء واواً للضمة التي قبلها .

وهي مدينة العراق الكبرى ، والمصر الأعظم ومُقبة الإسلام ، ودار هجرة
للدين ، وأوّل مدينة اختطّها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجاً، أنه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسة، قال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعالم منها أقل من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، وهي لا تزال تضر بها، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي ماحقاً ومنياً! وبنواؤها بالأجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها عمّاً إلى شرق البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمس أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطتان متسمتان، وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، وهي في نهاية من الطول متصلة بستف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فارتى في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يلزأء الخراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان موصلي الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود صوته، ومنه يخرج الخطيب لباساً ثياب السواد للخطبة، والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه، وتقربه هذا البيت عن يمين القبلة محراب محقق عليه بأعواد الساج، كناه مسجد صغير مرتفع عن سحن البلاط، هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضربه الشقي عبد الرحمن بن ملجم، فالتاس يصلون فيه باكين داعين، وفي الزواية من البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير محقق عليه أيضاً بأعواد الساج، وهو مقام التنوير الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبلي قضاء، يقال إنه كان منشأ المدينة.

ومع هذا القضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه - تاقينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البني الرحالة، قام برحلته الأولى إلى العراق من قرطبة سنة ٥٧٨ هـ، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١ هـ، ووصف مشاهدته في كتابه المعروف برحلة ابن جبير.

عن أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية بيت قبر مَسْلَمَة بن عَقِيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقى على قدر نصف فرسخ ، والجانب الشرقى كله حدائق نخيل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر ^(١) .



قوله : « سمرت » أى ذهب نوى . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليلة فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتمويذ من الجُبَيْنِ ؛ وهو خرز فضة ، يُستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصبيان .

[بما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه السكراوى :

قُمْ سَلِّ مَعِيَ بِاللَّيْلِ	م فقيهم قد أمضتْ
أَوْ مَا تَرَى قَرَّ السَّمَاءِ	• كأنه تمويذ فضة
فإِذَا أَلَمَّ بِهِ الْحَمَاءُ	ق تحالُهُ في الخلد عَصَا

وعلى معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

اسقني قبل صاحبي	واخش صرف النوايب
فالهلال الذي يلو	حُ خلال الفياهِبِ

مثل فتح اللجين صيد غ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال منطوياً في غرة النجر قارن الزهرة
شبهته والبيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي المنظر
كزورقي من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً بقطر قد أثار هلاله فالآن فاعُدْ إلى الدّام وبكّر^(١)
وانظر إليه كزورقي من فضة قد أثقلت حموله من عنبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالتأي والمود وشرب كأس بكف مقدود
قد انتضت دولة الصيام وقد بشر مرأى الهلال بالميد
يتلو الثريا كفاغبر شريه يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قيص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل القلامة قد قدّت من الظفر

وأخذه من قول الأعرابي :

كأن ابن مُزنتها جانحاً فسيط لى الأفق من خنصر^(١)

ابن مزنتها : الهلال . الفسيط : قلامة الظفر .

قوله : « غدوا » : أى رثوابه وجُمل غداءهم ؛ واللَّبان للآدميات ، واللبن الآدميات وغيرهن . سَحَبُوا : جرّوا . سَحَبان : فصيح العرب ، وانظره فى السادسة عشرة . ذيل النسان : طرفه ، يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سَحَبان ، فكأنهم جرّوا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحلمن هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثرٍ ليخفى ، كقول امرئ القيس :

* تمقى بذيل الدرع إن جئتُ موئلى *

وكقوله :

خرجتُ بها تمشى نَجْرُ ورائنا على أثرٍ بناذيلُ مرطٍ مُرحلٍ^(٢)

قوله : « يُحفظ عنه » ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظ ، يُتَحَذَّر ، وأخذ هذا من قول سليمان بن عبد الملك : قد أكلتُ الطَّيب ، ولبست اللين ، وركبت الفارّة ، وتبطّنت العذراء ، فلم يبق لى من لذى إلا صديق أطرّح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ . فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشيء وقلة الغفلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد نعلب :

إنى لأبفض عاشقاً متحفّظاً لم تهمة أعينٌ وقُلُوبُ

(١) اللسان - فسط ، ونسبه لى عمرو بن قميّة وهو أيضاً فى ديوان الماتى ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣ - شرح مقامات الحريرى ١)

قوله: «يَعْلِي الرَفِيقُ إِلَيْهِ»، تقول: مِلْتُ إِلَى فلان، إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَتَقَرَّبْتَ مِنْهُ، وَمِلْتُ عَنْهُ، إِذَا كَرِهْتَهُ وَتَبَعَدْتَ عَنْهُ. والرفيق: الصاحب يُرْتَقَى بِهِ السفر. قوله: «استهوانا»، هَوَى بنا وشغلنا. والسمَر: الحديث يُسَمَرُ عَلَيْهِ. وذكر الحريري أن أصل السمَر ظل القمر، والسمَر: الحديث، ومنه أخذ السمر، وغالب أحوال السَّار أَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّ الْقَمَرِ - وذكر هذا في تفسير الرابعة والأربعين - وهو الأصل، ثم لتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سَمَرًا، على أَيْ حال اتفق. رَوَى: ضرب رِوَاقِهِ، والرواق: الثوب يُسْتَقَلُّ بِهِ مِنَ الشَّمْسِ، يَرِيدُ أَنَّ اللَّيْلَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ ظِلَامِهِ رِوَاقًا فَانْحَجَبَ عَنْهُمْ بِهِ الْقَمَرُ. والبهيم: الخالص السواد، والبهيم الخالص من كل لون. والتهويم: النوم بالليل، والتغوير: النوم في القائلة، وقد هَوَمَ الرجل، إِذَا أَسْقَطَ النَّعْاسُ رَأْسَهُ فَانْتَبَهَ بِسُقُوطِهِ فَرَفَعَهُ، فَحَقِيقَتُهُ سَجُودُ الرَّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ فِي ذَلِكَ:

وَأَشْمَتَ مِثْلَ السَّيْفِ قَدْلَاحَ جِسْمِهِ وَجِيفٌ لِلْهَارَى وَالْمُحُومِ الْأَبَاعِدُ^(١)
سَقَاهُ النَّعَاسُ دَأْسَ سَكَرٍ فَرَأْسُهُ^(٢) لَدَيْنَ الْكَرَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ

ويقال: خَفِقَ رَأْسُهُ فَهُوَ خَافِقٌ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّحْلِ قَلْتُ لَهُ زُعْ بِالزَّمَامِ وَجُوزُ اللَّيْلِ مَرَكُومُ^(٣)
وَقَالَ الرَّصَاقِيُّ^(٤) فَأَحْسَنُ:

وَمَجْدَيْنَ لِلشَّرَى قَدْ تَعَاطَوْا غَفَوَاتِ الْكَرَى بَنِيرِ كَنْوَسِ
جَنَحُوا وَانْحَنَوْا عَلَى الْعَيْسِ حَقًى خَلَّتْهُمْ يَلْتَمُونَ أَيْدِي الْعَيْسِ
نَبَذُوا النَّمْضَ وَهُوَ حُلُوٌّ إِلَى أَنْ وَجَدُوهُ سُلَاقَةً فِي الرُّءُوسِ

(١) ديوانه ١٣٠.

(٢) الهيوم: «سقاء الكرّى كئس النعاس وما درى».

(٣) ديوانه ٥٧٩. وزع بالزمام، أى اعطف الناقة بالزمام.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي، وأبيات في ديوانه ١٠٢.

قوله : « نبأه » ، أى صوت . مستنبح : يحكى نباح الكلاب ، وكان الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجه ، حاكى بصوته نباح الكلب ، إن كان قريباً من العمران نبحاً أنبأه كلاب الحى ، فسمع أصواتها ، قصد الحى .
تسمى العرب من يفعل هذا المستنبح . وأنشد أبو علي في نواته :

ومستنبح بات الصدى يستنبحه فناء وجوز الليل مضطرب الكسبر^(١)
رفعت له ناراً تقوياً زنادها تليح إلى السارى : هلم إلى قدرى
وقال حسان بن مائل :

ومستنبح في جُح ليلٍ دعوته بمشوبة في رأس صميدٍ مقابل
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ وإن على النار الندى وابن مائل
وقد أنشد أبو تمام في حماسه في باب الأضياف في المستنبح ما فيه كفاية ؛
فليُنظر هنالك .

قوله : « تلبها » ، أى تيمتها . صكة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .
التم : الزائر : المدغم : الشديد السواد ، من الدمة ، ولامه زائدة .



يا أهلَ ذا المنى وقينم شراً ولا لقيتم ما يبتيم ضراً
قد دفع الليل الذى اكفها إلى ذراكم شميماً مُعترّاً
أخا سيفار طال واسبطراً حتى انتنى محقوقاً مُصفرّاً
مثل هلال الأفق حين افتراً وقد عرا فناءكم مُعترّاً
وأمكم دون الأنام طراً يينى قرى منكم ومُسْتَقراً

(١) أمال الغالى ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد الكرى في اللآل هذا الشعر إلى رجل من بني الحارث بن كعب . وجوز الجليل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

قَدُونَكُمْ صَيِّفًا نُنَوِّعًا حُرًّا يَرْضَى بِنَا اِخْلَوْنِي وَمَا أَمَرَا
وَيَنْتَنِي عَنْكُمْ يَنْتِ الْبِرَا

المعنى : النزل . وقِيم : كفيتم ، وإنما دعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك قلوب
الناس أن تملأ شراً حتى يجرى الشرّ فضلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .
الكفر : تراكم ظلامه وكثر . ذَرَاكُم : منزلكم وكنكم ، وكلُّ ما استترت
به من ربح أو مزار أو شمس فهو ذَرَا . شَهَتَا : متغير الشعر ، والشمت : ترك غسل
الرأس حتى يتغير . مغبراً : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخت ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا
ما ينقي به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يكتن به
شعره ! » . أَخَا سِفَار : صاحب أسفار ، أي ملازم لها . اسبطر : امتدّ وطال سطره .
اشنى : رجوع عاد . محقوقاً : منحنياً . الأنقى : ناحية السماء . افتر : انفتحت أطرافه
ولم يتقارب ، كأنه فرّ هذا من هذا ، ومنه فررت الدابة ، وافتتر : ضحك ، وشبه
انحناؤه من السفر بدائرة التمر الناقص ، وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه على
الانحناء من الكبر ، قال الشاعر :

تقوس بعد مَرَّ العمر ظهري وداستني الآبال أي دَونِي
فأمشي والمصا تهوي أمامي كُنْ قوامها وترّ لقسومي
وقال ابن الجال :

قوس ظهري للشيب والكبر والدمر ياعمرؤ كله عير
كانت والمصا تدبّ معي قوسها وهي في يدي وترّ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم : منزلكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض لحتمه . معتراً : قاصداً الطلب معروفكم ، أمكم : قصدكم . طُراً : أجمع . بينى قِرَى : يطلب طعاماً . احولى : اشتدت حلاوته . بُثْث : بفسى وينشر . البر : الإحسان .

* * *

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا خَلَبْنَا بِمُدُوبَةٍ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَاوَرَاءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ الْبَابِ ، وَلَمَقْنَاهُ بِالْتَرَحَابِ ، وَقَلْنَا لِلْمَلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمُّ مَا هَيَّا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحْتَنَى ذَارَكُم ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُمْ ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي أَلَّا تَخْذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجْشُمُوا لِأَجْلِي أَوْ كَلًّا : فَرُبَّ أَكَلَةٍ هَاصَتْ لِأَكْلِ ، وَحَرَمَتْهُ مَا كَلَّ ، وَشَرُّ الْأَعْيَانِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفِ ، وَأَذَى الْمُضِيفِ ، خُصُوصًا أَذَى يَتَعَلَّقُ بِالْأَجْسَامِ ، وَيُفِضِي إِلَى الْأَسْقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَسَا فِرُّهُ : « خَيْرُ الْمَشَاءِ سَوَافِرُهُ » ، إِلَّا لِيُعْجَلَ الْعَمَى ، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ الْأَلِيلِ الَّذِي يُغْشَى ، أَلَّا أَنْ تَقْدَ نَارُ الْجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ الْهُجُوعِ .

* * *

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراء برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام النصيح دلهم على ما عندهم من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولم علم ما وراءه من المطر . ابتدنا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحباً . هَيَّا هَيَّا : أى سق . هلُم ما هَيَّا ، أى أحضِر ما تيسر . لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُمْ : لَا تَذَوِّقْ بَطْنَكُمْ ،

وأصل التلظّز تتبع اللسان ما بقى من الطعام في القم بعد الأكل . كَلا : قَبِيلاً .
وفلان كَلٌّ على أهله ، إذا لم يكن لهم مؤنة نفسه ، والكل : الإعياء ، وجمعه كلول .
وعلى فلان كَلٌّ كثير ، قال النابغة الجعدي :

رَأَيْتُمْ بَنِي سَعْدٍ كُلُّوْلاً كَثِيْرَةً شَهِدْتُ بِذَلِكَ ابْنَ أَحْمَدٍ بِنِ أَحْمَرَ (١)

تَجَشَّمُوا : تَكَفَّنُوا . أَكَلَا : طَعَمَا ، وَالْأَكْلَةُ : الْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ ، وَالْأَصْلُ
فِي هَذَا أَنَّ الْأَكْلَ بِالْفَتْحِ ، مَصْدَرُ أَكَلَ ، وَبِالضَّمِّ مَا أَكَلَ ، وَالْأَكْلَةُ بِالْفَتْحِ :
الْزُّرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، وَبِالضَّمِّ اللَّقْمَةُ ، وَبِالْكَسْرِ هَيْئَةُ الْأَكْلِ . هَاضَتْ : أَضْعَفَتْ ،
وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ هَيْضَةً ، وَهِيَ الْقِيءُ وَالْإِسْهَالُ ، وَأَصْلُ اللَّثْلِ : رَبُّ أَكْلَةٍ تَنْعِمُ
أَكْلَاتُ ؛ وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

وَرُبَّتْ أَكْلَةٌ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةِ سَاعَةٍ أَكْلَاتٍ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يُشْفَى بِشَيْءٍ وَفِيهِمَا كَهْ لَوْ كَانَ يَدْرِي

وَالْأَكْلُ : جَمْعُ مَا أَكَلَ أَوْ مَا كَلَّ ، وَهِيَ الْأَكْلُ ، وَهِيَ أَيْضاً مَا يُؤْكَلُ .
سَامَ التَّكْلِيفِ ، أَيْ عَرَضَ مُضِيفُهُ إِلَى تَكْلِيفِ مَا يُشَقُّ عَلَيْهِ . وَالْأَذَى : الضَّرَرُ ،
وَالْمُضِيفُ : صَاحِبُ اللَّزْلِ . يَفِيقُ : يُثَوِّلُ . سَارَ سَائِرُهُ : انْقَشَرَ التَّحَدُّثُ بِهِ
وَمَشَى فِي النَّاسِ . خَيْرَ الْعِشَاءِ سَوَافِرُهُ ؛ بَوَاكِرُهُ ، أَيْ مَا أَكَلَ مِنْهُ بِضُوءِ النَّهَارِ ،
وَاحِدُهَا سَافِرَةٌ ، وَالسَّافِرَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي سَفَرَتْ قَابِهَا عَنْ وَجْهِهَا ، أَيْ كَشَفَتْهُ ؛
فَكَانَ اللَّقْمَةُ إِذَا أَبْصَرَتْهَا عِنْدَ أَكْلِهَا قَدْ سَفَرَتْ الظَّلَامُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُجْمَعُ عَلَى
سَوَافِرٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، حَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ شُعْبَانَ النَّحْوِيُّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى
مُحَمَّدِ الْيَزِيدِيِّ وَهُوَ يَتَفَدَّى ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، خَيْرُ الْغَدَاءِ بَوَاكِرُهُ ، خَيْرُ الْعِشَاءِ
مَاذَا ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي ، فَقَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حُسَيْنِ بْنِ الْغَلَامِ ، وَهُوَ يَتَفَدَّى فَقَالَ ::

يا أبا سليمان ، خير النداء بواكره ، تغير العشاء ماذا ؟ قلت : لا أدري ، فقال : كنت بحضرة الرشيد وهو يتفدى ، فدخل الأصمعي ، فقال : يا أصمعي ، خير النداء بواكره ، تغير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل الظلام . وحكى أبو يعقوب في النداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه - من سرّه البقاء ولا بقاء . فليكر العشاء ، وليياكر العشاء ، وليخفف الرّداء - يريد قلّ الذين .

التعشى : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشي . يعشى : يورث العشاء ، وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دُرَيْد :

وأرى العشاء في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)

أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره ، وقال كشاجم :

وَنَدِيمٌ مَخَالِفٌ لَا يَشَاءُ الَّذِي أَشَاءُ^(٢)
هُوَ فِي الصَّخْرِ لِي أَخٌ وَعَدُوٌّ إِذَا انْتَشَى
اقْتَرَحْتَ الْعَشَاءَ يَوْمًا عَلَيْهِ فَأَذْهَبَا
سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِي : الْعَشَاءُ يورث العشاء

كأن هذا التطبّب أحذه كشاجم من قول [ضيف] صاحب بن عباد ، قال صاحب : ما أفحنى أحد كأبى الحسن البديهي ، فإنه كان عندي ، قدّمت إليه فأكهة ، فأمن في الشمس ، قلت : الشمس يطلع المدة ، فقال : لا يعجبني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والمنا المقصور داء في العين ، والممدود الأكل عشا .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إذا تطَّيَّب ، فوددت أني لم ألقها .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا العشاء ، ولو بكف من حَشَفٍ ^(١) ، وإن تركه مَهْرَمَةٌ » .

وقوله : « تحول دين المجوع » ، أي تمتع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صَعْتَر ! فبعث سلمان مطهرته ^(٢) ، فأرهنها ^(٣) ، فجاء بصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي أفتعنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قمت لم تكن مطهرتي مرهونة ! وجاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخل » ، وكفى بالمرء إثماً أن يسخط ما قُرب إليه . المجوع ، أي النوم .

* * *

قال : فَكَأَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى إِزَادَتِنَا ، فَرَمَى عَنْ قَوْسٍ عَقِيدَتَنَا ، لَا جَرَمَ أَنَا أَنَسْنَاهُ بِالْإِزَامِ الشَّرِطِ ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى خَلْقِهِ السَّجِطِ . وَلَمَّا أَحْضَرَ الثَّلَامُ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى يَتْنِنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِكُمُ الصَّنِيفُ الْوَارِدُ ، بَلِ الْمُنْعَمُ الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَسْكُنُ أَفْلَ قَمَرُ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرَ ، أَوْ اسْتَسَرَّ بِذُرِّ النَّتْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بِذُرِّ النَّثْرِ . فَسَرَتْ سُمِّيَا السَّرَةِ فِيهِمْ ، وَطَارَتِ السَّنَةُ عَنْ مَا قِيمِهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَاةَ الَّتِي كَانُوا نَوَوهَا ،

(١) الحشف : ردىء الثمر . (٢) المطهرة : إناء يطهر به .

(٣) أرهنها : جطها رهنًا .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفِكَاهَةِ بَدَ مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ عَلَى
إِعْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطَرَفْنَا بِفَرِيَّةٍ مِنْ
غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ ، أَوْ عَجِيَّةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ ..

° ° °

قوله : « عقيدتنا » ؛ أى ما انقعدت عليه ثيابتنا ، ويقال : رميت عن القوس ،
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بد
ولا محالة . الشبط : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السراج : المصباح .
تأملته : نظرت . ليهنئكم ، أى ليسرّكم . الوارد : القاصد . المغم البارد : الهنى الذى
يُغْنِمُ دون قتال ولا تعب . أفل : غاب . الشعرى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : العبور والمقيصاء ، سمّوها عبورا لأنهم يزعمون أنها عبرت المجرة ،
وسموا الأخرى المقيصاء لأنها بكت على أختها حتى غمست عينها . أى خفيت .
استسرت : غاب وخفى . الثرة : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبلج : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طاع ، فجددوا حديثكم ودعوا النوء .

سرت : مشى . حميا السرّة : شدة السرور ، والحما : حدة الخمر وتسعى الخمر
الحما . السنّة : أخف من النوم . ما قيهم : عيونهم ، ولما ق : طرف العين من جهة
الأنف . رفضوا : تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لا تمازحن صبيا ولا تناكهن أمة ، قال ابن الأنبارى : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأق بلفظ فى مثل معناه ، مخالف للفظه . وتناكهن ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّفة :

وإن امرأ لم ينف يوما فكاهة لمن لم يرد سوءا بها لجول^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، قال : له هزل يؤتم به ، وجدَّ بتقدم الجدة .
وبين ذلك فكاهة تستمتع ، ودعابه تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
ومزاح وممازحة . اليزيدي : المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو : ما ذكره اليزيدي
مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله : « مكب » ، أي مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
أمر برفعه ، ويروي « استفرغ » ، أي أتم . أطرفنا أي حدثنا بطرفة ، وهي الحديث
الاستماع ، والطرفة عند العرب : الشيء المحدث الذي لم يكن عرف ، وجاء فلان
بطرفة وشيء طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث
الذي جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالي من طريفٍ وتالدٍ لغيري وكان المال بالأمس ماليا
أسماك : جمع سم ، وهو الحديث يستمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّامُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
الرَّاهُونَ ؛ وَإِنْ مِنْ أَعْجَبَهَا مَا عَلَيْنَا مِنَ الْآيَةِ قُبِيلَ انْتِيَابِكُمْ ، وَمَصِيرِي
إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبِرْنَا عَنْ طُرْفَةِ مَزَاهِ ، فِي مَسْرَحِ مَسْرَاهِ ، فَقَالَ :
إِنَّ مَزَامِيرَ التُّرْبَةِ ، لَفَطَنِي إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ وَبُؤْسَى ،
وَجَرَابِ كَفُودِ أُمِّ مُوسَى . فَتَهَضَّتْ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ
الْوَجَى ، لَأَرْتَادَ مُضِيْفًا ، أَوْ أَقْتَادَ رَغِيْفًا ، فَسَاقَنِي حَادِي السَّغَبِ ،
وَالْقَضَاءِ الْمَسْكُونِ أَبَا الْعَجَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارٍ ، فَقُلْتُ
عَلَى بَدَارٍ :

قوله: «ما لم يره ابرامون»، أي الناظرين إليه، وقوله: «ولا يرواه الرايون» - أي حفظه الجافلون - عابته: شاهدته ورأته بمعنى: انتباهكم: قصدكم. مصري: رجوعي - مرآه: رؤيته - مسبح: حيث يسبح وشمسي: مسراه: سيره بالليل - مراحي: قوافد القرية: البلدة - مجاعة: جوع - يؤسى: ضرر - جواب: وعاء الزاد - كنؤاد أم موسى، أي فارغاً لقوله تعالى: (وَأَصْبَحَ نُؤَادٌ أُمُّ مُوسَىٰ فَرَاغًا) (١).

[قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه]

وَمَثَىٰ مُوسَىٰ لَأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ بَيْنَ مِلَّةٍ وَشَجَرٍ، وَهُوَ بِالْقِبْطِيَّةِ هُوَ الْمَاءُ بِوَسْطِ الشَّجَرِ، فَعَرَبَتْ فَجَعَلَتْ الشَّيْنَ سَيْنًا. وَهُوَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ قَاهْثَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ تَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَهْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ أَيْدِي الْفَرَاغَةِ، وَهَجَّ عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْشُرُوعَ لَهُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَيُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَةُ وَالسَّلَامُ. حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ الَّذِي بَعَثَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِرْعَوْنُ أَعْتَبَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ وَلَا أَطُولُ عَمْرًا. وَكَانَ شَدِيدَ الْفَاطَةِ سَيِّئُ الْمُسَكَّةِ. وَاجْهَلُ الْيَسْبَنِ بِمَضْعَبٍ، وَكَانَ اتَّخَذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَوْلًا، فَصَنَّفَ مِنْهُمْ يَبْنُونَ، وَصَنَّفَ يَمْجَرُثُونَ، وَمَنْ لَا عَمَلَ لَهُ وَظَفَ عَلَيْهِ الْحَزْبِيَّةُ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ نَارًا أَقْبَلَتْ مِنَ الْقُدْسِ، فَاتَّحَرَقَتْ الْقِطْطُ وَتَرَكْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَأَلَ عَنْ رُؤْيَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي جَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهُ رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكُ مِصْرَ ٤ فَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَجَمَعَ الْقَوَائِلَ وَعَهْدَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَذَبَحَ الْوَلَدَانِ وَعَذَّبَ الْحَبَالِي، حَتَّى يَطْرَحَنَّ مَا فِي بَطُونِهِنَّ، حَتَّى كَادَ يَفْتِكُهُنَّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا هُنَّ حَوْلُكَ، وَإِنَّكَ إِن تَقْتُلَهُنَّ يَنْقُطَ النَّسْلُ. فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْعُلَمَاءِ عَامًا وَيُسْتَحْوَنَ عَامًا، وَقَوْلُهُ هَارُونَ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَسْتَحْيُونَ فِيهَا. وَوَلَدَ مُوسَىٰ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَحْتَلُونَ فِيهَا:

فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ حَزَنَتْ لَشَأْنِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: أَنْ أَرْضِعِيهِ ٥ فَلَمَّا اخْتَلَتْ

عليه فألقيه في اليم - وهو النيل - ولا تخافى ولا تحزنى. فعمت تابوتا وجعلته فيه ، وألقته في اليم ، وقالت لأخته: قصيه ، أى اقنئ أتره ، فعمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جوارى فرعون يفتسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون للولود الذى حُدِّرَ منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، فاللام من ﴿ ليكون ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فأتمخذه له ولدا ، فارتادوا لمرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته سأتها تلتصم رضاعه ، فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْفَرَاصِيعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فجمعت بأمه .

فلما رأتها كادت لشدة حبها فيه ، ورحها به أن تقول: هو ابنى ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربته فى قصر فرعون ، فلما تحرّك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مدموسى يده إلى لحيته فنتفها ، فقال فرعون: على بالذباحين ، فإنما هو هنا ! فقالت آسية : قرّة عين لى ولك ، لا تلتوله فإنه صبي لا يعقل ، ودعت له بغيره ويافوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار وأخذ قطعة منها ، فوضمها موسى عليه السلام فى فيه ، فأحرقتة . فتركه فرعون ، فكبر فى حجره . فلما ترعرع تنبأه ، فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) سورة القصص ١٢ .

(١) سورة القصص ٨ .

(٣) سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب، فركب أثره، فأدركه ببلد منف، فدخلها وقد أحليت لفرعون وليس في طرقها أحد، فرأى إسرائيليا مع قبطي يقتتلان، واستفاته الإسرائيلي، فوكلز القبطي قفقى عليه، فكان من قصته معها ما قص الله تعالى في كتابه، حتى خرج خائفا يترقب إلى مدين.

وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده، فقد كور في الثامنة عشرة.

قوله: « نهضت »، أى مشيت. سجا الدجى: سكن بالظلام وغطى كل شىء. الوحى: الحفا. أرتاد: أطلب. مضيقاً: منزلاً، وأضافه: أنزله. وضافه: نزل به فهو ضيقه، أى النازل به. أقتاد: أقود. حادى السبب: سائق الجوع.

حَيْتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا التَّنَزِيلِ	وَعِشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشِ خَضِيلِ
مَا عِنْدَكُمْ لَابْنِ مَبِيلِ مَرْمِلِ	نِصْوِ مَرْمِي خَابِطِ آيِلِ
جَوَى الْحَذَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَبِلِ	مَا ذَاقَ مُذْيُومَانِ طَعْمَ الْمَاكِيلِ
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْنِلِ	وَقَدْ ذَبَا جُنْعُ الظَّلَامِ الْمَسْبِلِ
وَهُوَ مِنْ الْخَيْرَةِ فِي تَمَلُّلِ	قَهْلِ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ التَّمَلُّلِ
يَقُولُ لِي: أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ	وَابْشِرْ بِبَشِيرِ وَفَرَى مَعْجَلِ!

حَيْتُمْ: طابت حياتكم، والتحية البقاء. خفض: لين وخفض عيشه خضاً، إذا أخصب. خضيل: ناعم، وخضيل: الشىء مخضل خضلاً: بابل. ابن سبيل: خاطر طريق، وهو الغريب، ومسمى التريب ابن السبيل، لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذى جاء منه. ومرميل: لا زاده، وأرمل القوم: نفى زادهم

وَمَنْ أَرَادَ اللّٰهَ فِي ابْنِ السَّبِيلِ :

مَنْ مِنْ ابْنِ مَنْ لَا يَتَكْرَهُ النَّاسُ فَضْلَهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ طَالِبٍ وَتَرَا
نَنْ مَحْظُوتًا فِينَا أَنَا فَحَقْنَا رَعِيْمًا
وَالْأَوْفَدَتْ نَارَكُمْ شَرًّا

أَهْوَسِيْمًا فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

وَأَنْتَ الَّذِي شَيْئَتَنِي قَبْلَ شَيْئِي وَأَوْفَدْتَ لِي نَارًا بِكُلِّ مَكَانٍ

وَمَنْهَا أَيُّهَا :

وَأَحْيَانًا يَكُونُ كَبِيرَ سِنٍ وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ
وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ كَذَلِكَ اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ

قوله : «نَصُو عُرَى» ، أي : هزِل من مشي اللئيل في الأسفار . و : ابط ليل :
الذي يمشي فيه على غير هداية . أَلِيل : شديد السواد . جوى : الجشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو العاوي . مشتمل : منضم ، أي : قد انضم خوفه على
الجوع ، فَدَرَّتْ أَحْشَاؤُهُ . مَوَالٍ : ما جاء . مَنْ وَأَلَتْ إِلَى كَذَا : أي : جَاءَتْ . دَجَا :
اليس . جَنَحَ : سَوَادَ السَّبِيلِ . الْيَقِيقُ : تَلَلٌ : تَقَلَّبَ وَتَوَجَّعَ . وَالرَّيْعُ : الْمُنْزَلُ ،
وَالْمَنْجَلُ : مَوْضِعُ الْمَاءِ .

وَيَقَالُ : أَلْقَى عَصَاهُ ، إِذَا تَرَكَ السَّيْرَ وَأَقَامَ ، وَرَوَى الْأَصْحَمِيُّ عَنْ بَعْضِ الْبَصَرِيِّينَ
أَنَّهُ قَالَ : سُمِّيَتْ الْمِعْصَا لَأَنَّ الْيَدَ وَالْأَصَابِعَ تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ :
عَصَوْتُ الْقَوْمَ إِذَا جَعَلْتَهُمْ عَلَى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَيَقَالُ : عَصَى بِالسَّيْفِ يَعْنِي إِذَا
خَرَّبَ بِهِ كَمَا يَضْرِبُ بِالْمِصْبَا . بَشَرٌ : طَلَاقَةٌ وَجْهٌ .

قَالَ: فَبَرَزَ إِلَى جَوْذَرٍ، عَلَيْهِ شَوْذَرٌ، وَقَالَ:
 جَوْذَرَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَمَّيَ الْقِرَى وَأَسَّسَ الْحُجُوجَ فِي أُمِّ الْقِرَى
 مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سِوَى الْحَدِيثِ وَالْمَنَاخِ فِي الذَّرَا
 * فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مِمَّا تَرَى *

برز : خرج . جؤذر : ظبي ، وأصله ولد الغزالة . الشؤذر : ثوب قصير .

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَمَّيَ الْقِرَى ، هو إبراهيم عليه السلام ، واختصه بلقب الشيخ
 لأنه أول من شاب ، ولما رأى الشيب ، قال : يَا رَبِّ ، مَا هَذَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ،
 يَا إِبْرَاهِيمُ ، هَذَا وَفَارٌ ، قَالَ : يَا رَبِّ زِدْنِي وَفَارًا . وشاب وهو ابن مائة وخمسين
 سنة ، وذلك أنه كُتِبَ وَلَدَتْ سَارَةُ إِسْحَاقَ ، قَلِيلَ الْكِتَابِ نِيَوْتُهُ : أَلَا تَعْجَبُونَ لِهَذَا
 الشَّيْخِ وَالْمَجُوزِ وَجَدًا غَلَامًا ، فَتَبَيَّنَاهُ أَصُورَ اللَّهِ إِسْحَاقَ عَلَى صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا
 السَّلَامَ ، فَلَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ، فَوُثِّمَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِالشَّيْبِ .

قوله : «سَنَ» : ابتداء ، وجعله سنة ، وهو أول من صَيَّفَ الصَّيْفَ ، وأطعم
 المساكين ، وقصَّ شاربه ، وقلم أظافره واستحذ واستاك ، وفرد شعره ، ومضمض
 واستنثر ، واستنجد بالماء . وَأَسَّسَ الْحُجُوجَ ، أي : بنى أسس البيت الحرام .
 وَأُمُّ الْقِرَى : مكة . والطارق : للمأوى للليل . والمناخ : موضع البروك . يقرى :
 يضيئ . الكرى : النوم . يرى أعظمه ، أي : إلى اللحم عنها . ينهى : اعترض .

[عما قيل في القِرَى والأضياف]

وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف إبراهيم عليه السلام :
 للعود سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالْتَقَى لَا رَبَّ الْمَكْدِيِّ وَلَا السُّهُومِ

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليلُ الله إبراهيمُ
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتي اسمه إبراهيم ، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَتَمِّمِي مِنْ سَنِّ الْقِرَى رَقْعًا بَعِنَ يَبْنِي عَلَيْكَ صِبَابَةً وَغَرَامَا
أَنَا ضَيْفُ حَسَنِكَ فَاصْطِنِعِي إِيَّاهُ ضَيْفُ الْهَوَى يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامَا
لَنَا نَظَرْتَ نَجْمَ خِيَالٍ بَدَتْ فِي سَحْنٍ وَجَنَّتِكَ اسْتَفْدَتْ مُقَامَا
أَفْنَيْتَ جِسْمَ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَهَا أَفَنِي سَمِيكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
يَا زَهْرَةً سَكَنْتَ فَوَادِي غَضَّةً إِنِّي تَبَسُّوْأْتُ اللَّهِيْبَ كَمَا
حَقِي كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلَمِي : يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامَا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَى جَنَّةً وَإِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَقِ
تَقَحَّطُ جَاوِحَ نَارِ الْخَشْيِ وَخَضْتُ بِحَارِ سَوَادِ الْخَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ أَمِنْتُ الْجَوَى وَأَمِنْتُ الدَّرَقِ!

انظر إلى الأضياف الرابعة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفَرٍ ، وَمَنْزِلِ حِلْفِ قَفَرٍ ! وَلَكِنْ
يَافِي ، مَا أَمْلِكُ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَهْمُكَ فَقَالَ : إِنَّمَا زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدُ ،
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةُ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبَسٍ .

قوله : « بمنزل قمر » ؛ كأن هذا المنزل هو الذي وصفه الآخر حيث يقول :

نيس إغلاق لبابي أن لي فيه ما أخشى عليه السرّقا
إنما أغلقته كي لا يرى سوء حالي من يمرّ الطرّقا
منزل أوطئه القصرُ فلو يدخل المارق فيه سرّقا

[نبذ وحكايات في البؤس والحرمان]

إنما أخذ الحريري هذا المعنى من قصة يزيد المدني ، وكان من أهل النّج ، فاستضافه أعرابي ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابي : خير كثير ، فقال : لعلك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرّة ، فلم يكن ليزيد دارٌ إلا الحرّة - وهي أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهي مقبرة المدينة - والقبور المخصّصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود في أرض سوداء في ظلمة الليل ! كيف حال من يكون هذا قراء ! فهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابي .

ونحو هذا من أقوال الملاحين قول أبي الشّتمق - وروى عن وهب عابد قرطبة :

برزتُ من المنازل والقباب فلم يسرْ على أحدٍ حجابي
فنزّل النّضاء وسقفُ بيتي سماء الله أو قطعُ السحابِ
وإنّي لم أجِد مصراع بيتٍ يكون من السّحاب إلى الترابِ
ولا انشقّ الثرى عن عود نحتٍ أو مل أن أشدّ به ثيابي
ولا خفتُ الإبقاء على عيدي ولا خفتُ الهلاك على دوابي
وفي ذا راحةٍ وفراغٍ بال فدأب الدهرُ ذا أبدأ ودأبي

(١٤ - شرح مقامات الحريري ١)

وقال آخر :

ولما التمت الرزق فابخذ حبله
خطبت إلى الإعدام إحدى بناته^(١)
فأولدها الحرف الشقي فإله
فلو تهت في البداء والليل مسيل^(٢)
ولو خفت شراً فاستترت بظله^(٣)
ولو جاد إنسان على بدرم
ولو يطر الناس الدنانير لم يكن
وإن يقترب ذنباً بيرة مذنب^(٤)
وإن أُر خيراً في الأنام فتأخ
أمامي من الحزمتان جيش عومرم^(٥)

وقال آخر :

لوركت البحار صارت أجاجا
ولو أتى وضعت ياقوتة حمراء
ولو أتى وردت عذبا فرائنا

وقال آخر :

لو وردت البحار أطلب ماء
أو مسست المود النصير يكتفى
أو رمى باسمي النجوم الدواير
ولو أني صنعت التناديل يومئذ

(١) - بلا من الإعدام + وطأه من أ. ب. د.

(٢) - ط. ب. د. بطلية.

وقال شواش :

كسدت شواشيننا وقلّ معاشنا فسمودنا مقرونة بنحوس
فكأننا قطعنا رؤوس الناس أو خلقوا لشقوتنا بنير رؤوس
قيل لأبي الشعمق : أبشّر فإننا روينا في الحديث : « العارون في الدنيا
الكاسون يوم القيامة » ، فأنشأ يقول :

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا ؟ قلت ذاك لي
فأراضى الله فرشي والسموات خلالي
ولقد أفلست حتى حلّ أكلّي لعيالي
من رأى شيئاً محالاً فأنّا عين المحال
لو بقي في الناس حورٌ لم أكن في مثل حال

قوله : « منزل » ، أي مضيف . خلف : صاحب . منشئ : موضعى الذى
نشأت فيه .

[ذكر مدينة قيد]

وقيد بلد مشهور ، في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
ويقال لها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سفح جبلهم المعروف بطنى ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرّوا وقالوا إن مشربكم ماء بشرق سلى قيد أو ركك
قال الزجاجي : سميت بنيد بن حام ، وهو أول من تركها ، قال : ويقول
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيد قيداً إذا مات ، أو من قولهم : استناد
فائدة ، وقلنا يقولون : أفاد فائدة ، والقيد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير (١)

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ماء بينه ، وفي ط : « ركك » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من الحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصحبوا فيداً يوم الأحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم . ثم وصفها فقال : هي مضر كبير ، منفرج في بسط من الأرض ، يمتد حوله ركب ، يطيف به سور عتيق . وهو معمور بسكان من الأعراب يتهيشون ^(١) من الحجاج في التجارات والبايعات وغير ذلك من المرافق ، وفيها يترك الحجاج بعض أزوادهم إعداداً للإرمال ^(٢) من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها ، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ، وهبوا لمن أودعها عندهم شيئاً من ذلك .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقل سيراً ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوماً في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبئة وأهبة إرهاباً للمجتمعين بها من الأعراب لئلا يداخلكم الطمع في الحاج ، لكنهم لا يجدون إليهم سبيلاً والمحدث . والياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدى الحجاج القادمين من أغنام العرب بالبايعة ، فلم يبق خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جمع الحلة الغنم واللبن والسمن والعسل ، فأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة العراقية ، وما انضاف إليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق ينزل من محبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، ينصّر بهم البسيط الأفيج ، ويضيق بهم اللهم الضحضح ، فتري الأرض تميد بهم متيداً ، وتموج بحممهم موجاً ، فتصير بهم بحر طامي الثباب ، ماؤه السراب ، وسفينه الركاب ، وشراعه الظلال المرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلا بعضها على بعض ، فتعان تزاخما في البراح المنفسح بهول وروع ، واصطكاكا

(١) رمة ابن جبير : « يتعشون » .

(٢) أرمال القوم : قد زادهم .

لمبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض متروك ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر المراق لم يشاهد عجائب تحدث به ، ويتخف السامع بقرائنه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن التازل في منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتاف ، وعاد منشوداً بحملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحد المتشدين بما أعدت لذلك ، فبردفه خلفه على جل ، ويطوف به المحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤدبه إلى رفقته .

وعجائب هذه المحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يفنهم على ما هم بسبيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه المحلة إلا لئلا يستدل على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أمدها الجمع الكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيية متوفرة بحيث تطلع إلى الغارة على مثل هذه المحلة . والملك لله وحده منى الجميع بعد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أى أتيت . المدرة : البلد . عبس : قبيلة .

فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي إِيْضَاً، عَشَتْ وَنُعِشَتْ، فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بَرَّةً، وَهِيَ كَانَتْ بَرَّةً؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ النَّارَةِ بَاوَانَ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةِ سُرُوحِ الْوَعْسَانِ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِثْقَالَ - وَكَانَ بَاقِعَةً فِيهَا يُقَالُ - ظَلَنَ عَنْهَا سِرًّا، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَا يُعْرِفُ: أَحَىُّ هُوَ فَيَتَوَقَّعُ، أَمْ أَوْدَعَ الْأَعْدَى الْبَلَقَعَ .

قال أبو زيد: قَمَلِمْتُ بِصِحَّةِ التَّلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي، وَصَدَقَنِي

عَنِ التَّعْرِفِ إِلَيْهِ صَفَرِيذِي، فَقَضَيْتُ عَنْهُ بِكَيْدِ مَرْضُوضَةٍ، وَدَمُوعِ
مُغْضُوضَةٍ. قَهْلَ سَمْعِي بِأُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبٍ مِنْ هَذَا الْمُجْلِبِ!
فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَتَيْتُوهَا فِي عَجَائِبِ
الْإِتْفَاقِ، وَخَلَدُوهَا بِطُلُونِ الْأَوْرَاقِ، فَمَا سَيَّرَ مِثْلَهَا فِي الْأَفَاقِ.
فَأَحْضَرْنَا لِدَوَّةٍ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِكَايَةَ عَلَى مَاسَرَدَهَا.

إيضاحاً: ياناً. نُشِيتُ: جُيِرْتُ. وَبَرَّةُ الْأَوَّلِ اسْمُهَا وَالثَّانِي صِفَتُهَا، يَرِيدُ
أَنَّهُا مَكْرَمَةٌ كَثِيرَةُ الْبَرِّ. نَكَحْتُ: تَزَوَّجْتُ. عَامُ الْغَارَةِ، أَيْ عَامُ أَغَارِ عَلَيْهِمُ
عَدُوِّهِمْ. مَاوَانُ: بَلَدٌ. سَرَاةٌ: سَادَةٌ. آنَسَ: أَبْصَرَ. وَالْإِتْقَالُ: الْإِمْتِلَاءُ
بِالْوَلَدِ. بَاقِعَةٌ: دَاهِيَةٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي جَالِ بَقَاعِ الْأَرْضِ وَعَرَفَ خَيْرَهَا
وَشَرَّهَا.

قال ابن الأنباري رحمه الله: فلان باقية، أي داهية حذرت محتال حاذق، هو الباقية
عند العرب: الطائر الحذير المحتال الذي يشرب الماء من الباقع^(١)، ولا يردُّ
المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحتال عليه فيصطاد، ثم شبه به كل حذير
يحتال: هلم جراً، معناه إلى الآن. وقال ابن الأنباري: هلم جراً، سيمونا على
هينيتكم، أي تثبتوا على سيركم، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها، أخذ
من الجري في السوق، وهو أن تترك الغنم والبقر ترعى في السير، وينتصب «جرأ»
في قول الكوفيين على المصدر، لأن في «هلم» معنى «جر»، وفي قول البصريين:
هو مضطرب في موضع الحال تقديره «هلم جارين» أي مستبشرين، فيسألي: جاء عبداً لله
مشياً، وأقبل ركضاً، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وتركض:
وقال بعضهم: ينصب على التمييز. يتوقعه ينتظر. أو يدخل: اللحن التلحق:

(١) الباقع: الأسكة يستق منها الماء.

الحد الخالي . صدقي : ألعالي . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي :
فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة :
مفترقة . أولى الألباب : أهل القول . العُجاب : مبالغة في العجب .
خلدوها ، أى أنهتوها . الآفاق : البلدان . وجهات الأرض جميعها .
أسودها : أقلامها . رقتنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كل حكاها .
وتكلم بها .



ثم استبطناه عن مُزناة ، في استنظام فتاه ، فقال : إذا ثقل
رُذني ، خف على أن أكفل ابنى ؛ قلنا : إن كان يكفك نصاب
من المال ، ألقناه لك في الحال ؛ فقال : وكيف لا يقيني نصاب ،
وهل يحقر قدره إلا مُصاب ؟

قال الراوى : فالنرم منه كل مناسطاً ، وكتب له به قطاً ،
فشكر عند ذلك الصنيع ، واستنفذ في الشئ الوُسع ، حتى إننا استطلنا
القول ، واستقلنا الطول . ثم إنه نشر من وُشي السمر ، ما أزرى
بالحبر ، إلى أن أطل التنوير ، وجش الصنيع المثير ، فقضيناها
ليلة غابت شوائبها ، إلى أن شابت ذوائبها ، وكمل سعادتها ،
إلى أن انقطعت عودها .

استبطناه : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاه : رأيه وغرضه . رُدْنِي : كَتَى . أ كفل : أضْمَ . نصاب : عشرون ديناراً . أَلْفَاه : جَمَعَهُ . يَقْنَعِي : يَكْفِيَنِي . مصاب : مجنون . قوله : « قسماً » ، أى نصيباً . قِطَا : كتاباً . الصنع : الفعل الجليل . استنفد : استنَمَ . الوسع : الطاقة ، ووُسْع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطَوَّل : الإِنعام والفضل ، أى رأينا ما أُنعمنا به عليه قليلاً . والوُثَى : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والحِبر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والحِبر تصنع بالين ، فشبهه حسن حديثه بالوُثَى ، وخص الحِبر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والمجانب الذى سامرهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِلَّهِ لَيْلَتُنَا أَتَى اسْتَجْدَى بِهَا فَلَقَ الصَّبَاحَ لِدَفْعِ الْإِظْلَامِ (١)
طَرَأَتْ عَلَى مَعَ النُّجُومِ بِأَنْجَمٍ مِنْ فَتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
إِنْ حُورِبُوا فَرِغُوا إِلَى بِيضِ الظُّلُمَا أَوْ خُوطِبُوا فَرِغُوا إِلَى الْأَقْلَامِ
فَتَرَى الْبَلَاغَةَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وَالْبَاسَ بَيْنَ رِاعَةِ وَحُكْمِ

جتر : طلع . قضيناها : أتممناها . شوائبها : ما ينكدها ويكدرها .
النوائب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِي لَوْنِهِ طَرَّةَ صَبَحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى (٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من القصيدة ص ١١٧

انفطر : انشق وطلع . عودها : بياض صبحها ، وقال : انفطر القضيب ،
إذا بدأ نبات ورقة ، وقال امرؤ القيس :
* كخُرعوبة البانة المنفطر^(١) *

* * *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْفَزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الْفَزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بَنَّا
لِنَقْبِضَ الصَّلَاتِ ، وَلِنَسْتَنْبِضَ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدْ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبْدِي ، مِنْ الْحَيْنِ إِلَى وَلَدِي . فَوَصَلَتْ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَنَيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أَسَارِيرُ مَسَرَّتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيقَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أَرِيدُ أَنْ أَتَبِمَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النُّعَيْبَ ،
وَأَنَا فِتْنَةُ لِسْكَ يَجِيبُ .

* * *

قرن الفزالة : شعاعها وحاجبها ، والفزالة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة ؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالهاء ، وهي : الفزالة ،
والجارية ، والجلونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخمسة بغير الهاء وهي : الشمس ،
والسراج ، والصَّحَّح ، وذُكَاة ، وبُوح^(٢) .

طمر : وثب . الفزالة : الغلبة . انهض أي قم . الصَّلَات : العطايا . نستنبض :
نستحضر . والنَّاضُ : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .
استطارت : توسعت وانتشرت . صُدُوع : شقوق . والحين : الشوق والراحة .
وصلت جناحه ، أي مشيت معه ويدي في يده ، وجناح الرجل : يده . سنيت :

(١) ديوانه ٥٧٠ ، وصدره :

* بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخَصَةٌ *

(٢) مبادئ اللغة العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والفرق .

بَسْرَتْ . نَجَاحَهُ : قَضَاءُ حَاجَتِهِ . أَحْرَزَ الْعَيْنَ : حَصَلَ الْمَالُ . وَصُرَّتْهُ : خَرَقَتْهُ دِرَاحِمُهُ . بَرَقَتْ : لَمَعَتْ . أَسَارِيرُ : طَرِيقُ الزَّوْجَةِ ، وَهِيَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَخْرُجُ تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ » ، وَيُقَالُ لَهَا الْأُسْرَةُ ؛ وَيُقَالُ لِحُلُوطِ الْكَفِّ : الْأُسْرَةُ ، وَقَدْ جُمِعَ الْتَهَامِي فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ :

يُبْدِي أُسْرَةَ وَجْهِهِ وَيَمْنِيهِ فِي سَاعَةِ الْإِعْسَارِ وَالْإِيمَارِ .

مُتَرَتِّبَةً بِمُرُورِهِ وَأَوَّلُهُ نَاطِقٌ وَجْهَهُ مُرُورٌ بِالْمَالِ . خَطَا : مَشَى . وَالتَّعْبِيبُ : الْجَبْدُ الْعَقْلَ السَّكْرَمَ الْأَصْلَ . قَوْلُهُ : « أَثَانَهُ » ، أَيْ أَكَلَهُ .

فَنَظَرَ إِلَى نَظَرَةِ الْخَادِعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ وَصَحِبَتْ حَتَّى تَتَغَرَّبَتْ
مُقْلَتَاهُ بِالذَّمُوعِ ، وَأَنشَدَ :

يَا مَنْ تَطَنَّى السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَرَّ مَكْرِي وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِرُؤْسِي وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنِيتُ
وَلَأَنَا لِي فَنُونٌ سَحِيرٌ أَبْدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يُعْكِبْهَا الْأَصْمَى فِيمَا حَكَمِي ، وَلَا حَاكِمُ الْكَمِينِ
تَخَذْتُهَا وَصْلَةً إِلَى مَا تَجَنَّبْتُهُ كَتَى مَنَى اسْتَنْبَيْتُ
وَلَوْ تَمَلَّيْتُهَا لَمَلَّتْ حَالِي ، وَلَمْ أَخْوِ مَا حَوَيْتُ

فَمَهْدُ الْمَذَرِ أَوْ فَسَامِخٍ إِنْ كُنْتَ أَجْرَنْتَ أَوْ جَنْتَ
تَمْ إِنَّهُ وَدَعْنِي وَمَعْنِي ، وَأَوْدَعْ قَلْبِي جَمْرَ النَّفْسِ .

...

تَرَعَرْتُ : اَمْتَلَأْتُ . نَفْطَى : حَسَبَ . حَلَّتْ : حَبَّتْ . يَنْسَرُ : يَنْقُصُ .
مَكْرَى : خَدَاعَى . يُخِيلُ : يَأْسُ وَيَشْبَهُ . عُرْسَى : زَوْجَتِي . قُتُونُ : أَنْوَاعُ .
أَبْدَعْتُ فِيهَا : أَحَدَّثْتُهَا وَلَمْ أَقْدِرْ بِقِرَى فِيهَا . يَحْكُمُهَا : يَحْدُثُ بِهَا . جَاكُهَا :
سَجَّهَا وَقَالَ مَثَلُهَا . الْأَصْمَى : مَذْكُورٌ فِي الْقَامَةِ الْأَرْبَعِينَ .

[ذَكَرَ الْكَيْتَ وَبَعْضَ أَخْبَارِهِ وَشِعْرَهُ]

وَأَمَّا الْكَيْتُ الشَّاعِرُ ، فَهُوَ ابْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَجِيدٌ مَكْثَرٌ
جَدًّا ، وَدِيْوَانُ شِعْرِهِ مَسْتَعْمَلٌ مَشْهُورٌ ، وَلَوْ قَالَ قَصَائِدُهُ الْهَاشِمِيَّاتُ قَصْدُ الْبَصْرِ فَتَه
فَأَنَّى التَّرْدُفُ قَالَ : يَا أَبَا فِرَاسٍ يَا نَا بْنَ أَخِيكَ ، قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَأَنْقَسَبَ لَهُ .
قَالَ : صِدَقْتَ ، وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ شَيْخٌ مُضَرٌّ وَشَاعِرٌ هَاشِمِيٌّ ، وَأُحِبِّبْتَ أَنْ
أَعْرِضَ عَلَيْكَ مَا قُلْتَ ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا أَمَرْتَنِي بِإِذَاعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ
أَمَرْتَنِي بِسِرِّهِ ، قَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، أَحَسْبُ شَعْرَكَ عَلَى قَلْبِ عَقْلِكَ ، قَلْبِ رَاحِدَاءُ ،
فَأَنْشِدْ :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لِمَاءٍ مَنَى وَذُو الشَّيْبِ يَلْبَسُ !

قَالَ : بَلَى ، غَالِبٌ ، فَانْشُدْ :

وَلَمْ يُلْهِئْنِي دَارًا وَلَا رَسْمَ مَنَزَلٍ وَلَمْ يَطْرُقْنِي بَنَانُ مُحَضَّبٍ

قَالَ : مَا يَطْرُقُكَ إِذَا ؟ قَالَ :

لَا أَنَا مَنَى ، يَزْجُرُ الطَّيْرُ هَمَّهُ أَصْلَحَ غَرَابُ لَمَى تَعْرِضُ نَعْلِي

قال : أنتَ تَمَنِّ ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ قال :

ولا الساعاتُ البارحاتُ عشيَّةُ أمرَ صحيحِ القرنِ أمَ مَرَّ أُغْضِبُ

قال : أما هذا فقد أحسنتَ فيه ، قال :

ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنُّهى وخيرِ بنى حواءَ والخيرِ يُطلبُ

قال : فمنَ هم ويحك ! فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الذينَ يحِبُّهمُ إلى الله فيما نابى أتقربُ

قال : أرخنى ويحك ! من هؤلاء ؟ فقال :

بنى هاشمٍ رهطِ النَّبِيِّ نائِيهمُ ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

قال : لله درك يا بنى ! لقد أصبتَ وأحسنتَ ، إذ عدلتَ عن الزَّعَافِ والأوباشِ ، إذْ لا بُصْرِدُ^(١) سَهْمُكَ ، ولا يثلبُ قولك . ثم مَرَّ فيها ، فقال : أظْهر وأشهر ، فأنْتَ أشعر من ماضى ، وأشعر من بَقَى^(٢) .

فحينئذ قدم للمدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا السَّهْلِ ، إن لى ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابُها ، وقد أشهدت لك بها شهوداً ، قال : يا بنى أنت وأُمى ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ، ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ فى شيء جعلته الله ثمناً . فلما أبى عليه أخذ مئزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بنى هاشم ، ويقول : هذا الكيت ، قال فيكم الشعر حين صحت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أُمّية ، فأثيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حَلَى النساء ومن الدنانير والدرهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكيت ، وقال : يا أبا السَّهْلِ

(١) أصرد السهم : أخطأ . (٢) انظر الأغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أتيناك بجهد القلّ ، ونحن في دولة عدونا ، فاستعن بهذا على دهرك ، قال :
 بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأطببتم ، وما أردت بدجى إياكم إلا الله ،
 فاردده إلى أهله . فجهد به بكل حيلة ، فأبى ، قال : أما إذا أبيت أن تقبل ، فإن
 رأيت أن تقول شعراً تنضب به بين النزاريّة واليمينية لعل فتنة تحدث ، فنخرج
 بين أضعافها ، قال قصيدته التي أولها :

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَتَا وهل بأسٌ بقولِ مسلّينا^(١)

فعرض فيها ، وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم؛ مثل قوله :

لنا قر السماء وكلّ نجم تُشير إليه أيدي المهتدين^(٢)

وماضرت هجان بنى نزار هواجج من فحول الأجمينا

وماحلوا الحمر على عتاق مضرة فليفوا مُنلفينا

ومشت في العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار ، واثارت
 المصيبة في البادية والحاضرة ، وتحرّّب الناس ، فتعصّب مروان بن محمد لقومه من
 نزار على اليمن ، فانحرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان السكيت سبب ذلك .

وكان لامتداحه بنى هاشم وتعرضه ببني أمية ، يطالبه خلفاء بنى أمية ،
 فهرب منهم عشرين سنة ، فجده هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ، ولم يستقرّ
 للسكيت قرار من خوفه . وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها
 له ، لا يردّه فيها ، فخرج مسلمة لبعض صيوذه ، فأناه الناس يسمّون عليه ، وأناه
 السكيت ومسلمة لا يعرفه . فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بِالذِّبَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وتأيّ إنك غير صاغر^(٣)

(١) ورد النظم الثاني محرّماً في الأصول والصواب ما أنبئه مر الفاخر ٣

(٢) والمزاة ١ : ٨٦ .

(٣) ط : « وتأن » ، وصوابه من اللسان - أي

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد — عدلت إذ شئت تاشتر
علقت جبال من حيا — لك ذمة الجار الجاور
فلا تفرجرت إلى أمة — في الأمور لها مصاير
والآن كنت به للصيد — كما كنت بالأمس جائر

قال مسلمة بن عمار: الله إيمان هذا للذي أقبل من أخريات الناس^(١) ثم بدأنا بالسلام ، ثم قال : أما بعد ثم الشعر ؟ قيل : الكميت ، فأعجب بنصاحته ، فسأله عما كان فيه من طول غيبته ، فذكر له سخط هشام عليه ، فصرخ له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام ، وهشام لا يعرفه ، فقال الكميت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال هشام : نعم الحمد لله ، من هذا ؟ قال الكميت : مبندي ، الحمد ومبتدعه ، الذي خصص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكتك ، وجعله فاعة كتابه ، ومنهى شكره ، وكلام أهل جنته . أحده حمد من علم يقينا ، وأبصر مستيقنا ، وأشهد بما شهد به لنفسه ، قائما بالقسط وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمي ، الذي أرسله والناس في هبوات^(٢) حيرة ومؤذلقات ظلمة ، عند استمرار آفة الضلالة . فبلغ عن الله ما أمر به ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم . ثم إنني يا أمير المؤمنين تهت في خيرة ، وخيرت في سكرة ، أهلب في داعيتها ، فأجابه غايتها ، فأخطو طيبت^(٣) في الضلالة غائداً عن الحق ، فأثابا بغير الصديق ، فهذا مقام المائذ بك ، ومنطق النائب ، ومبصر الهدى بعد طول العمى . يا أمير المؤمنين ، كم من عار أقلمت غثرته ، ومجترم عقوبته عن جرمه ! فقال هشام : وقد علم أنه الكميت ممن سن^(٤) لك هذه القواية ، وأهلب بك

(١) في المتن : « من هذا الزعم الملعاب ، الذي أجعل به هو والمعتك : الرجل من الهند والملعاب : الشيخ الكبير .

(٢) الهبوات : الضربات .

(٣) الخطوط : قارب في مضي إسماعيل .

(٤) ب : ه من ابن .

في العتاية؟ قال: الذي أخرج آدم من الجنة فنتى ولم يجد له عزماً، وأنت يا أمير المؤمنين، أضاع الله لك الظلمة الدامجة، هذا الصور فيها قصورنا، وحقق بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم؛ فهم يكونون لما يملون من حزمك وعزمك وبصيرتك، وعزمك بأسك. وثبات جأشك. وأنت مستغن برأيك عن رأي ذوي الألباب؛ برأي أرب، وحلم مصيب. فأطال الله لأمر المؤمنين البقاء، وأتم عليه التمام، ودفع به الأعداء.

فرضي عنه وأمر له بقال كثير^(١).

فهذه منزلة السكينة من الشعر والخطابة خلافاً لمن يهمل الظافية جليتها في المقامات؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه.

• • •

قوله: «حاكها»، أي نجهها يريد أن السكينة من يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه، فلذلك قال: «حاكها». وسأل بعض الخلفاء جريراً عن الثابتة وزهير، فقال: ينيران الشعر ويسديانه، والعلماء بالشعر يسمن صنائع الشعر عبيد الشعر، مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والسكينة.

قوله: «تخذتها»، أي اتخذتها، قال: اتخذ يتخذ منزلة اتخذ يتخذ، وخُففت عنه، حذفوا ألف الوصل من اتخذ، والتاء الأولى الباء كنة، التي هي فاء الفعل، فبقى اتخذ، ومثله تقي يتقي واتقي يتقي، حذف ألفه وتاؤه الأولى، وليس يطرد هنا التخفيف، وإنما جاء في اتخذ واتقي واتجه واتسع، قالوا: تقي وتخذو تجم وتسع وصلة أي موصلة. تعافيتها: تكرارها، وهي تفاعلت من عفت الشيء أعافعيها، أي كرهته. حالت: تغيرت. أحر: أجمع. مهد: أقبل وسهل. أجمرت: أذنت لنفسه، حيث: أذنت لغيره، أراد: إن كان عذري يثماً فأقبله، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح. أودع: ضمن وجعل فيه. النضى: شجر جره يثبت في النار.

(١) النقد: ٢٨٤ - ٢٨٥، مع تصرف وحذف.

المفاهيم السادسة وهى المراجعة

وتعرف بالخلفاء

روى الحارث بن همام قال : حَضَرْتُ دِيْوَانَ النَّظَرِ بِالْمِرَاغَةِ ،
وَقَدْ جَرَسَ بِهِ ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ؛ فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرْسَانَ الْيَرَاعَةِ ،
وَأَرْبَابِ الْبِرَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يُنْقَحُ الْإِنْشَاءُ ، وَتَصَرَّفَ
فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَلَا خَلْفَ ، بَعْدَ السَّلَفِ ، مَنْ يَتَدَعُ طَرِيقَةَ غُرَاءَ ،
أَوْ يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ ،
الْمَتَمَكِّنُ مِنْ أَرْزِمَةِ الْبَيَانِ ، كَالْمِيَالِ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَلَوْ مَلَكَ فَصَاحَةً
سَحْبَانَ وَائِلَ .

• • •

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . المراجعة : بـلـدـة من
كُور أذربيجان . اليراعة : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا بُرِيَ وَسُوِيَ قِيلَ
له قلم ، وبقي عليه الاسم الأول وهو اليراعة ، واليراع : القصب . أرباب البراعة :
أصحاب أصالة الرأى . والبارع : الأصيل الجيد الرأى ، ويقال : بَرَعَ يَرعُ بروعاً
وبراعة ، إذا فاقى السُودد . وينقح : يحسن ويخلص . الإنشاء . الكتابة . خلف :
بقي . السلف : للتقدمون ، وسلفوا : ذهبوا وتقدموا . يتدع : يتحدث . طريقة : حالة
موصوفة ، وطريقة فلان كذا ، أى حالته التى هو عليها . غراء : واضحة مشهورة .
لم يقل أحد مثلها . وغرة الشيء : أوله . يفترع : يفتض . عذراء : بكر ، سميت .
عذراء لصعوبة جماعها ، وتمذر الشيء : تصبب ، وافتراع البكر : إدامؤها وإزالة
ما تصبب منها ، وكل ما أدميته قد فرغته وافترعته ، فمضى يفترع رسالة عذراء

أى يأتى برسالة قد تصبّ طريقها على غيره ، فاقترع هو على سلوك طريقها والإتيان بها . انفق : انصيح العرب الذى يأتى بالخلق ؛ وهو الشيء العجيب . الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يتكل فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال الرجل عيلةً إذا افتقر ، وعُلتُه عولاً : قُت بمؤنته ، فيريد أن يكتب هذا الزمان عيال على من تقدّمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم .

وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكان بالمجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ، فكان كلما شطّ القوم فى شوطهم ، وتثروا النجوة والنجوة من نوطهم ، ينبيّ نحازر طرفه ، وتسامخُ أنفه ، أنه مخربقٌ لِنَباع ، ومُجَرَّمٌ سَيْمَدِ الباع ، ونايضٌ يبرى النبال ، ورابضٌ يينى النضال . فلما نُثِلتِ الكنائنُ ، وفاءت السكائنُ ، ورَكَدتِ الزّعازعُ ، وكَفَّتِ المنازعُ ، وسَكَنَتِ الزّماجرُ ، وسَكَّتِ المزجورُ والزاجرُ ، أَقْبَلَ عَلَى الجماعة ، وقال :

° ° °

الكهل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس . والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذال اللال وصناره ، قال يعقوب : الحاشية والحواشى والحوشى : صغار الإبل ، وأتشد :

* جلّتها والأخر الحواشيا *

ل : جرى . شوطهم : طَلَقهم . نثروا : ألقوا عليها . المعجوة : التمرة

(١٥ - شرح مقامات الحريرى ١)

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان يسترها شيخنا أبو بكر بن أزهري عن ابن جنوده ، وما وجدت في كتاب لفة أن النجوة اسم للثمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أحمينا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر . فأخبرني أنه موجود لها ذكر ، وأظنها لفة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء . لا أنها لفة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لفة بلده ، لأن البصرة أكثر بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً من التمر زعوا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما جاله أن ينكش على نواه ، فلا تجد إلا جلدًا يابساً على النواة ، فيعتمونه للعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل البصرة يسمى نجوة ، وقابل بالنجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه ، وأما من فسر النجوة هنا بالرفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل : إنما لفاظة التمر إذا سقطت لا يبالى بها ، فإن صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الحلة الصغيرة من جلال التمر ، والحلة : الوعاء الذي يكثر فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناطه بنوطة ، إذا علته ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم . بني : بخير . تخارر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتخارر : نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامت : ارتفاع ، وهو فعل المستحق للشيء . مخربق : متبني . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال . حال : الخربق : الم طرق الساكت ، لينباع . ثيب : إذا أصاب فرصة ، قال : ومعناه أنه سكت لنهاية يريدتها ، وقيل : الخربق : الساكت على السوء . لينباع : ليظهر الذي في ظنه من الشر . مخربق : متقبض ، وهو كقول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث متقبضٌ على برائته للونه الضاري^(١)

(١) ديوانه ٤٧ والضاري من وصف الليث ، وروى : له لونية الضاري .

فأجده ابن الرومي فقال :

سكن سكوتا كان رهنا بوضعه . غماس كذلك اللحن الموشح بلدا^(١)

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليضرب شدتها . ونبض العرق : تحرك ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . النجديته : أورد أبو الحسين بن فارس النوى في كتابه المجمل أن نبض لغة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

نابت أباهما مقسم بينهما . لئن نبضت كفى فإني لنابض

فصح بهذا قوله . زابض : لأطى . بالأرض ، وربضت الشاة : اضطجعت . يننى التفضال ، أى يطلب الرأفة ، وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليحاذبوه . قوله : « نثلت » ، أى تفضت وصب ما فيها . الكنائن : الجباب ، وهى أوعية السهام . فأت : رجعت . السكاكن : جمع سكينه ، وهى الوقار ، يريد : أتم . أهل المجلس كلامهم فسكتوا . ركدت : سكنت . الزعزع : الرياح الشديدة للزلة ، واحدا زعزع . كف النازع : أمك المحالف ، يريد انقطع كلامه .

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُمْ عَنْ الْقَصْدِ جَدًّا ، وَعَظَّمْتُمْ
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَشْتُمْ فِي الْمِيزِلِ إِلَى مَنْ فَاتَ ، وَغَمَضْتُمْ
جِلْسَكُمْ لِلَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمُ انْقِدَاتِ الْمَوَدَاتِ .
أَصْبَحْتُمْ بِاجْتِهَادِ النِّقَدِ ، وَمَوَابِدَةِ الْحُلِّ وَالْمَقْدِ ، مَا أَبْرَزْتُمْ

هذه الأبيات على ما هي عليه فى نسخة ابن الرومي .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنْ الْعِبَارَاتِ
الْمُهَذَّبَةِ ، وَالِاسْتِخَارَاتِ الْمُسْتَعْدَةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمُوشَّحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
الْمُسْتَمْلَحَةِ ! وَهَلْ لِلْقُدَّمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَصَرَ ، غَيْرُ الْمَنَافِي
الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْتُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
الْمَوَالِدِ ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ ! وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
أَنْشَأَ ، وَمَتَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَصْهَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،
أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَأَ ، شَدَأَ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

* * *

إِذَا : أَمْرًا ظَاهِيًا مَتَكْرَرًا . جُرِّمَ عَنِ الْقَصْدِ : خَرَجْتَ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
كَثِيرًا . الرِّفَاتِ : الْبَالِيَةِ . افْتَمَّ : فَعَلِمَ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزْتُمْ فِيهِ ، وَيُقَالُ : انْتَهَتْ
الرَّجُلُ « افْعَلْ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتَ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَضِصَ : حَقَرْتُمْ وَغَطِيطُمْ .
جِيلَكُمْ : أَهْلَ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتِ : جَمْعُ لَدَةٍ ، وَهِيَ الذِّى وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابَذَةُ :
حَذَاقُ الْوَاحِدِ جِهِيْذُ . النَّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، قَدَهُ : مَيَّزَهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَيَّزَ الدَّرَاهِمَ
الْجَلِيْدَةَ مِنَ الرَّدِيْثَةِ . مَوَابِذَةُ : حِكَاْمُ ، وَالْمَوْبِذُ : السَّكْبَرُ الْجَاهُ مِنَ الْقُرْسِ ، مِثْلُ
الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزَتْهُ : أَظْهَرَتْهُ . طَوَارِفُ ، جَدِيدَاتُ وَغَرِيبَاتُ . الْقَرَائِحُ :
الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنْ الْخَلِيلِ ابْنِ سَنْتِينَ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
أَيُّ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتُ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
وَعَبِّرَتْ عَنْ فُلَانٍ : تَكَلَّمَتْ عَنْهُ وَكَانَتْ لِسَانَهُ . لِلْمُهَذَّبَةِ : الْمُخْلِصَةِ مِنَ الْعَيْبِ .
الِاسْتِمَارَةِ : أَنْ تَعْبِيرَ اللَّفْظَ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . لِلْمُوشَّحَةِ : لِلزِّيْنَةِ .
الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أَسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ لِلرِّبْوَاطِ بِقَافِيَةٍ . بِالْبَلْغِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعقولة . المربوطة . الشوارد : الفائرة ، يقول : ليس للقدماء . إلا المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشت في الأقطار ففرت وحفظت . الماثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في القامة . قال الحريري في حرة النواص : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من الوَرْد والصدر ، ولما كان الوَرْد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد» على الصادر ، وهذا كما ترى ، الوَرْد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : وَرَدَ الماء ثم صدر عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه القامة ، فالصادر يتقدم الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يطفئ على نفسه ، ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى رتبة ، يقول : لا تتحدث بكلامهم ونظامهم وثبرم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا . أنشأ : كتب . وشئ : زيتن ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن . أوجز : اختصر . أعجز ، أي عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب : جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بنا بميدة القمر ، وأذهب : صادف معدن الذهب في حفير . بدّه : أربح ولم يتفكر . شدّه : حبر من يتعاطى منزلته . اخترع : قال ما لم يسبق إليه . خرج : شق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ ، وَعَبْنُ أُولَيْكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ
خَارِجُ هَذِي الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصَّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

بِحَالِكَ بِرُؤُوسِ جَدِّكَ : وَإِذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَحِيًّا ، وَادْعُ
 نَحِيًّا ، لَرَى عَجِيًّا . قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْيَمَانَ بِأَرْضِنَا
 لَا يَمْتَسِرُ ، وَالْتِمِيزُ بَيْنَ الْفِضَةِ وَالْقِصَّةِ مُتَمَسِّرٌ ، وَقُلْ مَنْ
 اسْتَهْدَفَ لِلنُّصَالِ ، فَخَلَصَ مِنَ الدَّاءِ النُّصَالِ ، أَوْ اسْتَفَارَ نَقَمَ
 الْاِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْدُ بِالْاِمْتِحَانِ ، فَلَا تُعْرَضْ عَرْضَكَ لِلْمَقَاصِعِ ،
 وَلَا تُعْرَضْ بَيْنَ فَصَاحَةِ النَّاصِحِ . فَقَالَ : كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ
 بَوْمِهِ قَدْحِهِ ، وَسَيَتَقَرَّى الْاَبْلُ عَنْ حُبِّهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ
 قِيَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبِي ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ قَلْبِي : فَقَالَ أَحَدُكُمْ :
 ذَرُوهُ فِي حِصِّي : لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصِّي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْمُقَدِّ ،
 وَحَكُّ الْمُنْتَقِدِ . فَقَالُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ الزُّعَامَةُ ، تَقْلِيدُ الْخَوَارِجِ
 أَبَا نَعَامَةَ .

° ° °

قوله : « نَاطُورَةٌ » ، أي كبير القوم ومقدمهم الذي يظفرون إليه . الديوان :
 دار القلب وموضع اجتماعهم . والديوان ، الزمام يكون فيه أسماء الجند
 وأرزاقهم ، وأصله « دِوَان » ، قلبت واو الأولى ياء لانكسار ما قبلها ، وطل عليه
 دواوين في جمعه ، وهو اسم أعجمي عرب ، والأصل في تسميته أن كسرى أمر
 الكتاب أن يكتبوا له في دار ، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام ، وأعلمهم
 فيه ، فآخذوا في ذلك ، وأطلع عليهم لينظر ما يصنعون ، فظفر إليهم بحسبوت بأسرع
 ما يمكن ، وينسحبون كذلك ، فحب من كثرة حركتهم ، قال : أَرَى « دِوَانَ »
 ومعناه شياطين ، ثم سمي موضعهم ديوانًا ، ثم استعملته العرب ، وجعل كل محصل

من كلام أبو شعير ذي راء^(١) فارح ضلوب وكاسر الصفة: الصغيرة للماء،
استعارها للصعب من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه
يعرف بفعلها. وقرن بكالك: صاحب كلامك الذي تحول فيه — يعني نفسه.
قرين بكالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو
خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك
كأنه قرن منك. والحال: الموضع الذي تراض فيه الخيل. رخص: سبى ولين.
التجيب: الفعل الكريم من الإبل، وغنى نفسه: ادع نجيباً، يقول: سبى ثم
ادعني أشعب لك: ترى مجيباً، في تحسن جوابي. البغاث: همار الطير.
يستنشر: يصير نضراً، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا يجوز علينا المخاوف،
والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنشر»، أي يرجع الضيف
قرباً من تأويحمايته له متى يريد، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرثم، وقيل: البغاث
كل ما يصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والزمام: ما لا يصيد ولا يجاد،
كخطاف وغيره. النضة: الحصى البيض الضار. ويقال: جاء بالعص والقصيص
بأقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. والقصيص: صغار الحصى وما
تكثر منه. وقالوا: جاءوا بقتضهم بقتضهم: أي كلهم. استهدف: صار هدفاً،
وهو العرض للسهم. الفضال: المراماة. العضال: الذي لا يبرأ منه. اجترار:
حرك تقع غبار. الامتحان: الاختبار. يقد: يقع في عينه القدي، وهو ما يسقط
في العين، ويقول: من صار غرضاً للآلسة قل أن يسلم، ومن صار طالباً لمناظرة
أهل المعارف أمين وأخيم. المفاضح: الخزفيات واشتهار العيوب. ونسم: علامة.
قدحه: سهمه، يريد قداح اللبس، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف
بها، قال حريذ بن الصمة:

وأصغر من قداح النسم قريع به غلمان من عقب وضرس^(٢)

(١) المرب الجواليقي ١٥٤، وفي شفاء الليل ٩٤ عن الرزوقي في شرح الفصح،

قال: هو مريضة من ذوات الكلمة إذا خطتها

(٢) اللسان - ضرس

الْفَرَسُ : العضءُ بالفَرَسِ ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قِداحَ العرب :
 سيتفَرِّقُ : سيتكشَّفُ . قوله : « تناجت » ، أى تحدثت سرّاً . يُسَبِّرُ : يقاس .
 قَلِيْبِهِ : بثره . يَمْعَدُ : يَقْصِدُ . تَقْلِيْبِهِ : تجريبه . ذُرُوهُ : أتركوه . حِصْتِي : نصبي .
 قَصْتِي : خبري ، وجعل لمأثته حجراً يرميه به مجازاً . عُضْلَةٌ : صعبة . العقد :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحلّ . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيّد
 الفضة والذهب من الردى ؛ أراد أن مسأله نهاية في الصعوبة ، والعُضْلَةُ : كل
 مسألة شديدة لا يُهْتَدَى لثلها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داه عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهْتَدَى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعَضَاتُ
 المرأة تعضيلاً ، نشب ولدها في بطنها ، وعَضَاتُ الدجاجة يبيضنها كذلك ، وفلان
 عُضْلَةٌ من العضل ، أى داهية لا يُهْتَدَى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى
 الرياسة .

[ذكر قَطَرِيّ بن الفجاءة]

وأبو نعامه هو قَطَرِيّ بن الفجاءة النعميّ الخارجي . وكان له فرس يكنى
 بها في الحرب ، ويسكنى في السلم أبو محمد . وقَطَرِيّ : منسوب إلى قطر ، موضع
 قريب من عُقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيسَ الخوارج ، وسلّوا عليه
 بأمبر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذمّ الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقتُ
 بالقليل ، وتحميت بالعاجل ، وتحلّت بالأمانى ، وتزبّنت بالنزور ،
 لاتندوم زهرتها ، ولا تؤمن نجعتها ، غرارة ضلالة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدوا إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال تعالى : ﴿ كَاءُ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

ومنها :

كم واثق بها قد فجّته ، وذى طمانينة إليها قد صرّعته ، وذى احتيالٍ فيها قد خدّعته . وكم من ذى أهبة فيها قد صيّرتَه حقيراً ، وذى نخوة قد ردّته ذليلاً ، وذى تاج قد كَبّته للبدن والتم ؛ سلطانها دُول ، وعيشها رُتق ، وعذبتها أجاج ، وحلوها صير ، مليكها مسلوب ، وعزيرها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المظلم ، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن ﴾ .

ومن جيّد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألقِ أمّ حكيم ^(١)
من الخيرات البيض لم ير مثلاً	شفاء لدى بثٍ ولا لقيم ^(٢)
لعمرك إني يوم أطم وجهها	على نائبات الدهر جدّ لثيم ^(٣)
ولوشهدتني يوم دُولاب أبصرت	طعان دثني في الحرب غير ذميم ^(٤)
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعجنا صدور الخليل نحو نعيم ^(٥)

(١) الأغاني : ٦ ، ٩٤٨ ، الكامل للبهرد : ٣ ، ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أرسلها » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عيسى بن كرز ، خليفة عبادة ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على اللاه ، ويعمد في رواية للبرد :

وكان لبعد القبس أول جدّها وأحلافها من يَحْصِبِ وسليم .

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوعى تمسوم وظلّنا في الجلاء نعوم

ولي البس الثاني إنيواء .

فلم أتر يوماً كان أكثر مفعلاً^(١) . يُصنَّجُ دَعَامٍ فَأَنْظِرُوكِلِيمَ^(٢) .
 وَجَارِبَةُ خَدًّا كَرِيمًا عَلَى قَتَى . أَغْرَتْ نَجِيبَ الْأُمَهَاتِ حَكِيمَ^(٣) .
 أَصِيبَ بِدُولَابٍ وَلَمْ تَكْ مَوْظَنًا . لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرٌ حَكِيمَ^(٤) .
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَلِكَ وَخَيْلُنَا . تَبِيحَ مِنَ الْكُفَارِ كُلِّ حَكِيمَ .
 رَأَتْ قَتِيَّةٌ بَاعُوا إِلَاهَهُ نَفْسَهُمْ . نَجْنَاتِ عَدْنُ عِنْدَهُ وَتَعَمَّيْمَ .

وَأَمَّ حَكِيمَ لِلَّتِي شَبَّ بِهَا ، كَانَتْ مَعَهُ فِي عَسْكَرِ الْإِبَاضِيَّةِ ، وَكَانَتْ مِنْ
 أَشْجَعِ النَّاسِ ، وَأَجْلَاهُمْ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَهُمْ يَدَيْنَهُ مَتَمَّكَ . وَكَانَ قَطْرِي يَحِبُّهَا
 وَيَحِلُّهَا ، وَأَخْبَرَ مِنْ شَاهِدِهَا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَجِزُ فَنَقُولُ :
 أَجَلُ رَأْسَا قَدْ سَمَتْ حَمَلَةً . وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنُهُ وَغَسَلَتْ .

* أَلَا قَتَى يَحْمِلُ عَنِّي قَتَلَهُ *

وَالْخَوَارِجُ يَفْتَدُونَهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ ، وَخَدَّيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْخَوَارِجِ
 فَرَدَّتْهُمْ ، وَقَالَتْ :

أَلَا إِنْ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَعُهُ . لِأَجْدَرِ أَنْ يُبَلِّغَنِي بِهِ الْحَسَنَ جَامِعًا .
 وَأَكْرَمَ هَذَا الْجِرْمَ عَنْ أَنْ يُنَالَهُ . تَوَرَّكْ فَخَلَّ هَمُّهُ أَنْ يَجَامِعَا .
 أَيْنَ هَذِهِ مِنْ أُمِّ خَارِجَةٍ ، وَاسْمُهَا عَمْرَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، كَانَ يَقَالُ : لَهَا خُطْبٌ ،
 فَنَقُولُ : نَكْجٌ ، وَضَرْبُهُ بِهَا الْمَثَلُ قَعِيلٌ : أَسْرَعُ مِنْ نَيْكَاحِ أُمِّ خَارِجَةٍ^(٥) .

(١) الْأَغَانِي وَالْكَامِلُ : « نَقَصَا » ، وَغَوَّ الطُّغْمَانُ بِالزَّمْلِحِ .

(٢) طَبَنٌ : قَاتِلٌ ، مَجْرِبٌ : سَوَابُهُ مِنْ لَدُنِّهِ ، وَالْقَاتِلُ : مَنْ قَتَلَهُ . « قَاتِلٌ
 الرَّجُلُ ، كَقَاتَمَاتِ » .

(٣) دِيرٌ : مَوْجِعٌ بِالْأَهْوَاؤِ .

(٤) الْيَمَانِي ١ : ٣٤٨

وأين هي من حفيدة قطري مع صاحبها ، حكى الإصبهاني عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميري سكارى ، فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو ابن قطري بن الفجاءة ، وكانت امرأة برزة حسناء ، فواقفها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، قالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أم خارجة ، قيل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فن أنت ؟ قال :

إن تسأليني بقومي تسألني رجلاً في ذروة المجد من أجواد ذي يمن^(١)
ثم الولاء الذي أنجوا النجاة به من كعبة النار للهادي أبي حسن
قالت : لا شيء أعجب من هذا ! ثانی وتمة ، ورائغي وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سناً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشفت معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المنة^(٤) التي لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) يمد في رواية الأغاني :

حوّل بها ذو كلاء في منازلها وذو رعين وممدان وذو يزن
والأزد أزد عثمان الأكرمون إذا عدت ماثرهم في سائف الزمن
بانت كبريتهم عني فدارهم داري في الرحب من أوطانهم ووطني
لى منزلان : باحج منزل وسط منها ، ولى منزل للعز في عدن

(٢) ط : « تحدد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشفت معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) النصة : أن تزوج امرأة تتبع بها أيما ، ثم تغل سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يطارط المرأة شرطاً على شيء بأجل . ولوم ، ويطلبها شيئاً ، فيطلبها بنفسه ، ثم تغل سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حرمت ؛ والجلودي ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء : « المنة وما جاء في تحليلها » .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تسكفري بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿ فَاَسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قالت : أستخير الله وأقلدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها تَوَعَّدوها بالقتل ، فوجدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تخلف إليه مدةً وتواصله ^(١) .

وقوله : «تقليد الخوارج بأبائهم» ، لما قُتل الزبير بن عوف السلمي أمير الخوارج ، أداروا أمره ، فأرادوا تولية عبدة بن هلال اليشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لكم ؟ مَنْ يَطَاعَنَ فِي قُبُلٍ ، يَحْيَى عَنْ دُبُرٍ ؛ عليكم بقطري ابن النجاة المازني ، فبأيعوه .

* * *

فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَهْلِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي أُولِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْفَعُ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكَذْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بِلَدِي ، بِسَمَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةِ عَدَدِي . فَمَا ثَقُلَ حَازِي ، وَنَفَدَ رِزَاذِي ، أُمَمْتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعَوْتُهُ لِإِعَادَةِ رِوَائِي ، وَلِرِوَائِي ؛ فَهَشَّ لِلرِّوَادَةِ وَارْتَحَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأَذَنَهُ فِي الْمَرَاكِحِ ، إِلَى الْمَرَاكِحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَاكِحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَمَمْتُ أَلَا أُرَوِّدُكَ بَتَانَا ؛ وَلَا أَتَجَمُّ لَكَ شَتَانَا ، أَوْ تُنْشِي لِي أُمَامَ أَرْتَحَالِكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرَحَ حَالِكَ ، حُرُوفُ لِحْدِي كَلِمَتِهَا يُمْمُهَا النَّقْطُ . وَحُرُوفُ الْآخَرَى لَمْ يُجَمِّنْ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَبْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بَيَانِي حَوْلَا ، فَمَا أَحَارَ قَوْلَا ، وَنَبَّهْتُ فِكْرِي سَنَةً ، فَمَا اَزْدَادَ
إِلَّا سِنَةً . وَاسْتَمَنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ ، فَكُلُّ مِنْهُمْ قَطَبٌ
وَتَابَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَن وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ ، فَأَتِ بَآيَةَ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ اسْتَسْمَعْتَ يَعْثُوبًا ، وَاسْتَسْقَيْتَ أَسْكُوبًا ،
وَأَعْطَيْتَ الْقَنُوسَ بَارِيهَا ، وَأَسْكَنْتَ الدَّارَ بَانِيهَا . ثُمَّ فَكَّرَ رَبَّنَا
اسْتَجِمْ قَرِيبَتَهُ ، وَاسْتَدِرْ لِقَعَتَهُ ، وَقَالَ : أَلَتِي دَوَانِكَ وَاقْرُبُ^(١) ،
وَحُذْ أَدَانِكَ وَاكْتُبْ :

o o o

قوله : « أوالى » ، أى أُلَازِمُ وَأَتَّخِذُهُ وَلِيًّا . أَرْقَحَ : أَصْلَحَ ، بِقَالَ رَقَّحَ مِنْ
عَيْشِهِ ، إِذَا أَصْلَحَ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

بَتَرَكْ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ بِمَبْتُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ^(٢)

الْهَمَجُ : الْبَعُوضُ ، ثُمَّ قِيلَ لِأَرْذَالِ النَّاسِ : هَمَجٌ . الْحَالِي : الْزَيْنُ بِالْحُلِيِّ .
أَوْدَى : عَوَّجَى . سَعَةً : كَثْرَةً . ذَاتُ يَدَى ، أَيْ مَالَى . عَدْدَى عِيَالَى . حَاذَى :
ظَهْرَى ، وَفُلَانٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ، أَيْ قَلِيلُ الْعِيَالِ ، وَأَصْلُ الْحَاذِ مُؤَخَّرُ الْفَخْذَيْنِ .
نَقْدَ رِذَاذَى : فَرِغَ قَلِيلُ مَالَى ، وَالرِّذَاذُ : الْمَطْرَاضُ الضَّعِيفُ . أَمَّتَهُ : قَصَدَتْهُ . أَرْجَانَى :
جَهَاتَى وَبِلَادَى . رَجَانَى : أَمَلَى . رُوَانَى : حَسَنُ هَيْئَتَى وَحَالَى : إِبْرَؤَانَى : إِزَالَةُ
عَطَشَى . هَشَّ : خَفَّ ، وَرَجُلٌ هَشَّ بَسَامَ : طَلِقَ الْوَجْهَ . لِلْوَفَادَةِ : لِلْقُدُومِ عَلَيْهِ . وَارْتَاخَ :
طَرَبَ وَاهْتَزَّ . الْإِفَادَةُ : تَكْسِيبُ الْفَوَائِدِ . الْمَرَّاحُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : الْمَشَى وَالْإِنْصِرَافُ .

(١) سَاطِعَةٌ مِنْ مَخْطُوطَةِ الْمَقَامَاتِ .

(٢) الْهَمَجُ - رَقَّحَ ، وَاسْبَغَ إِلَى الْخَارِثِ بِنِ حَزْرَةٍ .

والمراح، بالضم: الموضع الذي تروح إليه الإبل وتروح منه ، أو تراح إليه ، أى تساق بالمشى . والمراح ، بالكسر : النشاط والخفة ، وقدم مرح مرحاً ، لعب ، من الفرح . كاهل : ما بين فروج الكتفين ، استعاره للنشاط . أزمعت : عزمت . بتاناً : زاداً . شتاناً : مالاً متفرقاً . نشيء : تصنع وتكتب . أمام ارتحالك : قبل سفرك : تودّعها : تضمّنها وتجعل فيها يمجّتن : ينتظن ، وأعجمت الكتاب : أزلت عنه عجمته .

قطّ : لفظة موضوعة لما مضى من الدهر . وجعل الحريرى قول الخواص : « لا أكله قطّ » من أغش الخفاء لتناقض الكلام ، قال : وذلك أن العرب تستعمل لفظة « قطّ » فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة « أبداً » فيما يستقبل ، فيقولون ما كلمته أبداً ، والمعنى : ما كلمته فيما انقطع من عمرى ، لأنه من قطّط الشيء ، إذا قطعته ، ومنه قطّ القلم ، إذا قطع طرفه . وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قدّ ، وإذا استدبر قطّ ، فالقدّ قطع الشيء طويلاً ، والقطّ قطعه عرضاً^(١) . يقول . تصنع رسالة تضمّنها حالك ، يكون تركيبها من كلمة يعتم حروفها النقط ، وكلمة لا ينقط منها حرف ، وبهذا المعنى سُمّيت لقامة الخيفاء ، لأنّ الأخيف من الخيل : الذى إحدى عينيه زرقاء . والأخرى كحلاء . استأنيت : أمهات وأخرت . أحر : ردّ وراجع . نهت : أيقظت . سنّة : حولا . سنّة : نوماً . قاطبة : جماعة . قطّب وجهه ، إذا عبّسه . صدّعت : أوضحت وأظهرت ، وأصل الصدع الشقّ . بالحقّ الواضح . آية : علامة ، قال ابن الأنبارى رحمه الله : فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه : قيل إنها علامة لاقطاع الكلام قبلها وبعدها ، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر :

• بآيةٍ ما تحبون الطمّاماً •

وبقول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لِسْتَةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْقَامِ سَابِغٌ^(١)
 الثانى: سُمِّيت الآيَة لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بأيتهم،
 أى بجماعتهم .

الثالث : سُمِّيت آيَة لأنها عجب من المعجائب ، فالآيَة المعجب .

قوله : « استمتعيت » : طلبت سميّه أى جربه . واليَعْبُوبُ: الفرس السريع .
 استسقيت : استمطرت وطلبت سقياءه . والأَسْكُوبُ : المطر الكثير . باربها :
 صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال: أعط القوس باربها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد
 ابن العاص وهو يقرى الناس ، فأكل أكلًا جافيًا ، وخرج الناس ، فأقام ، وأتاه
 الحاجب ليخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إني بنفسى عنهم
 لأرغب ! فقال له سعيد : دعه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة:
 والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيت القوس باربها ، وقعتم
 على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ قَدْ مَنَ قَدْ رُزِئْتُهُ الْإِعْدَامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دواد الإيادى ، قال : ثم
 من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رصت إحدى رجلتى على
 الأخرى ، وعويت فى إثر القوافى كما يعوى النصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) المبدانى ٢ : ١٩ ، وجهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت؟ قال:] ^(١) الحطينة، قال: حيّاك الله يا أبا مليكة، ألا أعلمنا بمكانك، ولم نعلمنا على الجهل بك، فنضيق حَقَّك ونبخسك قسْطَكَ! وأدناه ووصله ^(٢). وقال الشاعر:

يا باري القوس برّيا ليس يُحْسِنُهُ لا تنالِ القوس واعطِ القوسَ باريها
ريث: مقدار وبطاء. استجَمَّ: استكثر. قريحته: طبيعته، والقريحة في الأصل أول ماء البئر النابع، واستجَمَّها: تركها حتى تكثر. استندَر: استنزل دَرَّها وهو لبِنها. والأَمَقَّة: النافقة ذات اللين؛ يريد: أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول: ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لسلثوم العنابي أتاه يوما، فقال له: اصنع لي رسالة، فاستبدت مُدَّة، ثم علق القلم، فقال له صاحبه: ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك، فقال له العنابي: إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ المعاني من كلِّ جهة، فأحببت أن أترك كلَّ معنى حتى يرجع إلى موضعه، وهذا مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين:

أزودُ القوافي عني زيادا زياد غلام غوى جوادا ^(٣)
فلما كثُرَتْ وعَيْنُهُ تخير منها جوادا جوادا
فأعزلَ مَرَجانها جانبها وآخذ من دُرِّها المستجادا

وقال عريف القوافي ^(٤):

أيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعاً
عوامى إلا ما جعلت وراءها عصا مِرْبَدٍ تنشى وجوهاً وأذرعاً
إذا خفت أن تُروى على رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني ٢ : ١٦٧، مع تصرف واختصار.

(٢) من الأغاني

(٣) ديوانه : ٢٤٨.

(٤) كذا ذكر المؤلف، والأيان في القمر والشراء ٦١٦، ٦٢٣، واليان واليبين ١٢: ١٢٣ والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع.

أَصَادِي : أَدَارِي ، وجعل القوافي تقتحم عليه كالإبل ، وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها .

[فصل في الدواة والمداد والقلم]

قوله « أَلِقْ » ، أى اجعل فيها ليقة ، تقول : لَقْتُ الدواة فهي مَلِيقَةٌ ، وأَلَقْتُهَا فهي مَلَاقَةٌ ، وجمع اللَّيْقَةِ لَيْقٌ . ويقال للصُّوفَةُ قبل أن تُبَلَّ بالمداد : البُوهة والموارة ، فإذا بَلَّتْ بالمداد سُمِّيتْ لَيْقَةً ، وقد يقال لها : لَيْقَةٌ قبل أن تُبَلَّ ، سميت بما تنول إليه ، كما قيل للكَبَشِ : ذَبِيحٌ ، وللصَّيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فإن كانت قِطْنَةً فهي الْعُطْبَةُ والكَرْسَفَةُ ، وكُرسِفَتِ الدواة كُرسَفَةً ، والقِطْنُ كُلُّهُ يُقال له : الْعُطْبُ والكَرْسَفُ .

ويقال للمداد : نَقَسَ ونَقَسَ ، والكسر أفصح ، وقيل : الفتح مصدر نَفَسَتْهَا ، جعلت فيها نَفَسًا ، والخبر من المداد بالكسر لا غير ، والخبر بالفتح والكسر : العالم . وقال بعضهم : سَمِيَ للمداد حَبْرًا باسم العالم ، كأنهم أرادوا مداد حَبْرٍ ، فخذفوا ، ولو كان ماقالوه صحيحًا لقالوا للمداد : حَبْرٌ بالفتح ، والأشبه أن يسمَّى حَبْرًا لأنه يحسن الكتابة ، من قولهم : حَبِرت الشيء إذا حَسَنَتْه . ويقال للجَمَال : حَبْرٌ وسَبْرٌ ، فداد حَبْرٌ ، كقولك مداد زينة وجمال ، أو يكون من الخبر والخُبَار ، وهو الأثر ، فيسمى بذلك لتأثيره في الكتاب . ويقال : مددت الدواة أمدتها مدًا ، إذا جعلت فيها مدًا ، فإن كان فيها مداد فزدت عليه قلت : أمددتها ، فإذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت : استمدد ، فإن سألتَهُ أن يعطيك على القلم مدادًا ، قلت : أمددني من دواتك ، واستمددته أنا ؛ سألتُهُ أن يمدني . وقال الخليل : مُدَنِي وأمدني : أعطني من مداد دواتك ، وكل شيء زاد في شيء فهو مداده له ، وأمهت الدواة وموتها ؛ إذا جعلت فيها ماء ، والأمر من ذلك كله أمة وموتة دواتك .

واشتقاق الدواة من الدَّوَاء ، لأن بها إصلاح أمر الكتاب ، وبعض الشعراء اشتقها من دَوَى الرجل يدَوِي دَوِيًا ، إذا صار في جوفه آلام ، قل :

(١٦ - شرح طائفة المريعي)

أما الدواء فأدوى حملها جدى وحرف الخط تحريف من القلم^(١)
ووزنها «قَمَلَة» تحركت الياء وقبها فتحة، قلبت ألنأ، وتجمع دَوَايَات ؛
كقناة وقنوات ، ودَوَى كقناة وقنأ . ويقال : أدويت فأنا مدوي : اتخذت
حواة ، ويقال للذي يبيعها : دوساء كخياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدور
دواة ، ويقال لمن يحملها ويمسكها : دوساء ، ويقال لها : الدواء والرقيم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمزبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومنع
فرتي بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسمى
قلماً لأنه قلم ، أى قطع وسوسى ، كما يقلم الظفر ، وكلّ عود قطع وحُز رأسه وأعلم
بعلامة فهو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُبَلِّغُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْتُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهاماً فيها أسماءهم مكتوبة . ويقال للذي يقلم به : مِقْلَم ، وللذى يُبْرِى
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابي :
ما القلم ؟ فذكر ساعة ، وجعل يقلم أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقبل له :
توهّمه في نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار . ويقال
لعمّده : الكموب ، واحدها كعُب ، ولما بينها الأنايب ، واحدها أنبوب ،
ويستعملان في الرمح ، وفي كلّ عود فيه عمّده ، والعدة التى تشينه تسمى
الأبنة وجمعها أبَن ، فإن كان في العود أو القصبة تأكل ، قيل فيه : قادح
ونقد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره اللبّط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
لبّطت من القلم ليطّة ، فإن أخذت شحمته بالسكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت في أخذها ، قلت : بطلّته تبطيناً فهو مبطلن ، وحفرته فهو محنور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لغشائه الذى عليه : الغلاف
واللحاء والقشر ، فإذا نزعتهما عنه قيل : قشرته ولحوته وقشوته وسحوته ،

(١) الاقصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

ويقال في ثلاثتها بالياء ، ووسقته ونقخته ، مشدّان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السّنان والشّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهبّي . للكتابة قيل : فطّطه أقطه قطاً ، وصمته أفضمه قصماً ، والمقط بالكسر : ما يقطّ عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جمعت إحدى سنّيه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرفته تحرفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك العريف والصرير والرشيّق . ويقال للقصّب : البراع والأباه ، الواحد يرّاعة وأبابة ، وقيل : الأباه أطراف القلم ، أى القصّب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البَيْلَمُ والقَيْصِف والقَيْسَع ، واحدته بَيْلَمَةٌ وقَيْصِفَةٌ وقَيْسَعَةٌ ، فإن كان في القصّب تأكل قيل فيه : قاذح ونقد ، وكذلك العود والسنّ والقرن ، فإن كان فيها عِوَجٌ فذلك الدّرة^(١) .

قوله : «خذأداتك» ، أى قلمك . وقال ابن طاهر لكتاب له : ألقِ دواتك ، وأطلِ سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف .
وقال ابن عبد ربه : ينبغى للكتاب أن يصلح آتته التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلّا بها ، وهى دواته ، فلينعم ربّها إصلاحها ، ثم ليختار من أنابيب القصّب أفضلها عُقْدًا ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعدّها استواءً ، ويجعل قعر طاسه سيكينا حاداً ليسكون عوناً له على برّى ألامه ، ويربها من ناحية نبات القصّب .

واعلم أنّ محلّ القلم من الكتاب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمَيِّكُ الفارسُ رُحْمًا بيدِ وأنا أُمسِكُ فيها قَصَبَةً
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إنّما الأَقلامُ رُمُحُ الكُتَبَةِ

(١) نظر المؤلف في هذا الفصل لما أورده ابن السيد البلطوسي في كتاب الاقتضاب على شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البستي :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيَعْمَلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَيْمِيَّ هَزَّ عَامِلُهُ^(١)
وَبِإِنْ أَقْرَ عَلَى رَقٍّ أَنْامَلَهُ أَقْرَ بِالرَّقِّ كَتَابُ الْأَنَامِ لَهُ

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخط خط الحكة ، يُنظم فيه
مثنورها ، وتُفصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قَدْكَ
مَحْرَقًا ، لَامِتِينَآ وَلَا رَقِيقًا ، ضَيْقُ الْقَلْبِ . فَأَبْرَهُ بَرِيًّا مُسْتَوِيًّا كَنْتَارِ الْحَمَامَةِ ،
أَعْطِفْ بَطْنَهُ ، وَرَقِّ شَفْرَتَيْهِ ، وَلِيَكُنْ قِرْطَاسُكَ رَقِيقًا مُسْتَوِيَّ النَّسْجِ ،
مُخْرَجَ السَّحَاةِ^(٢) ، مُسْتَوِيًّا مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ إِلَى آخِرِهِ ، فَلَيْسَتْ تَسْتَقِيمُ السَّطُورُ
إِلَّا فِيمَا كَانَ كَذَلِكَ ، وَلِيَكُنْ أَكْثَرُ مَطَّكَ فِي أَطْرَافِ الْقِرْطَاسِ الَّذِي فِيهِ
يَسَارُكَ ، وَأَقْلَهُ فِي الْوَسْطِ ، وَلَا تَمُطْ فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ ، وَالْمَطَّ نِصْفُ الْخَطِّ ،
وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الْعَاقِلُ .

قال العتابي : سَأَلَنِي الْأَصْمَعِيُّ فِي دَارِ الرَّشِيدِ : أَيُّ الْأَنَائِبِ لِلْكِتَابَةِ
أَصْلَحُ ، وَعَلَيْهَا أَصْبِرُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَا نَشِفَ بِالْمَجِيرِ مَاؤُهُ ، وَسَرَّهُ مِنْ تَلْوِيحِهِ
غِشَاؤُهُ ، مِنَ الدَّرِيَةِ الظُّهُورِ ، النَّبْرَةِ الْقَشُورِ ، الْفَضِيَّةِ الْكُشُورِ ؛ قَالَ : فَأَيُّ
نَوْعٍ مِنَ الْبَرِيِّ أَصُوبُ وَأُكْتَبُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : الْبَرِيَّةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْقَطْعَةُ ، الَّتِي عَنْ
يَمِينِ سَنَاهَا قُرْنَةٌ^(٣) ، تَأْمَنُ مَعَهَا الْمَجَّةُ عِنْدَ الْمُدَّةِ وَالْمُطَّةُ ، لِلْهَوَاءِ فِي شِقِّهَا صَفِيقٌ^(٤) ،
وَالرَّيْحُ فِي جَوْفِهَا خَرِيقٌ ، وَلِلدَّادِ فِي خَرْطُومِهَا رَقِيقٌ . قَالَ الْعَتَابِيُّ : فَبَقِيَ الْأَصْمَعِيُّ
شَاخِصًا إِلَى لَا يَحْبِرُ جَوَابًا^(٥) .

(٢) السَّحَاةُ : الْقَشْرَةُ .

(١) بَيْتُهُ الْمَرْحُومُ : ٤ : ٢٩١

(٤) الْمَطَّ : هَذَا فَيْقٌ «

(٣) الْقُرْنَةُ : الطَّرْفُ الْمَائِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(٥) الْمَطَّ : ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة بَرَى القلم ، وإطالة جَلَفَتِه ، وتحريف قَطَنَتِه ، وحسن التأتى لامتناء الأنامل ، وإرسال اللدة بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
وقال بعض الكتاب : عَطَرُوا دِفْطَرَكُمْ بِحَيْدِ الْخَبَرِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ غَوَانٍ وَالْخَبَرَ غَوَالٍ .

وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهِاهُ نَدَى الْأَشْجَارِ بِأَرَجٍ بِأَمْدَادِ
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمِ تَوْدِيهِ الْأَقَاوِرُ مِنْ دَوَا
كَأَنَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دَعَى فِي الْكِتَابَةِ لَيْسَ مِنْهَا لَهُ فِكْرٌ يُعَدُّ وَلَا بَدِيهِ^(١)
كَأَنَّ دَوَانَهُ مِنْ رِيْقٍ فِيهِ تُلَاقٌ ، فَرِيْحُهُ أَبْدَأُ كَرِيهِ
وَنَظَرَ جَمْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى فَتَى عَلَى ثِيَابِهِ أَثَرُ مَدَادٍ ، وَهُوَ يَسْتَرُهُ ، قَالَ لَهُ :
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عَطَّرَ الرِّجَالَ وَحَلِيَةَ الْكِتَابِ
وَلِبَعْضِهِمْ يَهْجُو كَاتِبًا :

حَمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهِمَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
فَدَعُغَ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَخْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ
وَقَالَ كُشَاجِمُ لُورَاقٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرُكٌ شَاوِيٌّ ، قَلْتَ : رَمَحْنَا أَقْلَامُ^(٢)
هِيَئَاتَ تِلْكَ صِنَاعَةَ مَمْزُوجَةٍ فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظُلَامٌ

(١) أدب الكتاب لمصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يربق دماءنا »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يَنْسَجُ دماءنا الحجام
 وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
 فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فسحها بكفه ؛ فتعجبت ، فقال : لا تعجب ،
 للمال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
 جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما الفِكرُ وَلَدَ حسن لفظٍ وأسلَّمهُ الوجودُ إلى الديانِ
 ووشَّاهُ فنمنه جِوَادُ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
 ترى حُلَّ التَّيَّانِ منشَراتٍ تجلَّى بينها صُور الماني
 وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ
 القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا واتضينا صوارماً يكادُ يُصمُّ السامعين صريرُها
 تساقط في القِرطاس منها بدائعٌ كمثل اللآلئ نظمها وتيرُها
 تقودُ آيات البيان بفطنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
 تظلُّ للنابا والمطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضي أمورُها
 إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلَّت بنا عما يسر ستورها
 وأتى رجل وكيعاً ، قال : رجل يمت إليك بحزمة ! فقال له : وما حزمك ؟
 قال له : كنت تكتب بمحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
 أخرج منه دنانير لفتته ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبَّال في محبرة آبنوس :

وخديمة للعلم في أحشائها كَلَفٌ يجمع حلاله وحرامه
 ليست رداء الليل ثم توشَّحت بنجومه وتتوجَّت بهلاله

وحدثني عن شيخني النقيع أبي عبدالله بن زرقون ابنه النقيع أبو الحسين ،
قال : حدثني أبي أنه كان بسبته أيام الشبية والطلب ، في مجلس جمع من طلبة
الأدب ، فعرض لم رجل بحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الولي على حسنها ،
وكانت بحبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب
ابن أبي ركب قال :

جاءتك من غُررِ العلا زنجيةٌ في حُلَّةٍ من حِلْيَةٍ تنبخرُ
سوداء صفراء الحلي كأنها ليل تطرزه نجوم ترهقُ

ناستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر ،
فكتبنا للرجل في رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صُفْرٍ مذهبا ،
ورغب أن يضمّن ذكره في منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون ذلك ،
فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كلت بأصفر من نجار حليها تحقيه أحيانا ، وحينما يظهر
خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكرُ
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قدّ بعتنا إليك أمّ الطايا والنايا زجّية الأخساب
في حشاها من غير حربٍ حرابٌ وهي أمّقى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل في القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ القلمُ الأعلى الذي بستانه نصاب من المرء الكلي وللناصيل^(١)
له الجلوات اللاء لولا نجيها كما احتفلت لملك تلك المحافل
لُباب الأفاعي القاتلات لمابه وأرى الجلي اشتارته أيدٍ عواسل^(٢)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده .

(٢) الأري : الصل .

لعمدة طلّ ، ولكنّ وقمها بآثاره في الشرق والغرب وإبل^(١)
فصيح إن استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الحرس الأذاف وأفرغت

عليه شباب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ضئى ، وسميناً خطبه وهو ناحل

وقال أبو الفتح البسي :

إذا أقسم الأبطال يوماً بينهم وعدّوه عما يكسب المجد والكرم^(٢)
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالعلم

وقال البحري :

تمنّوه وزراء الملك خاضعةً وعادة السيف أن يستخديم القلم^(٣)

وقال أبو المباس التتوخي :

إن يخنم القلم السيف الذي خضع

له الرقاب ودانت خسوفه الامم

ظالموت وللموت لا شيء يقابله ما زال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام مذبريت أن السيوف لها مذارهفت خدم

(١) الطل : الطل الغليل ، والوايل : الطل الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الطرائف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي قال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُ لي : المجد لل سيف إيس المجد لل قلم^(١)
اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالتخدم
وقال الصولي : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، قال صاحب القلم : أنا أكتب
إلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، قال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم
مداؤه ، وإلا ذل إلى السيف معاده .

قال الصولي : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميري :

أتحمزني ولست لذك أهلاً وتُدني الأصفرين من الخوان
جهازة وكتاب ويسوا بفرسان الكتبة والطعان
ستذكرني وتعرفني إذا ما تلاقى الحفطان من البطان
وقال كساجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تفنى بها أيامهم في التئيم
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرغ بحرب ولم ينهد لقرن مصمم
وكل ذوي الأقلام في كل ساعة سيوفهم ليست تحف من الدم
وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء الميتات
نالوا بها من أعاديهم وإن بدلوا

مألاً ينال بحمة الشرقيات

وقال البحري يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

وإذا تألق في العيون كلامه أو
وإذا دجت أعلامه ثم انتجت
فاللفظ يقرب فهمه في بُعدِه
حكيمٌ ، فسامحها خلال بنائه
فكأنها والاعم معقود لها
محمودٌ خلت لسانه من عضيه^(١)
برقت مصابيح الدجى في كُتبه
منا ، ويبعد نيله من قُرْبِه
متدفقٌ ، وقلبيها في قلبه
شخص الحبيب بدا لعين محبيه
وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنيةً كأنها خدٌّ على خدٍّ^(٢)
نَبْدُ سوادٍ في بياضٍ كال^(٣)
ساهمة الأسفار مصروفة
يا كاتِباً أَسْمَى عَنِّيهِ
وقال البحترى في 'بن الزيات :

قد تَصَرَّفَتْ في الكتابة حَتَّى
عَطَّلَ النَّاسُ ذَكَرَ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٤)
في نظامٍ من البلاغة ما شكَّ أمرؤ أَنَّهُ نظامٌ فَرِيدِ
وبدع كأنه الزَّهر الضَّاحِكُ في رَوْنَقِ الرَّبيعِ الْجَدِيدِ
ما أعبرت منه بطونُ التَّراوِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِياراً
وَجَنِّينَ ظُلْمَةِ التَّفَقِيدِ
كالْمَذَارِي غَدَوْنَ في الْحَلَالِ الْعَصَةِ
رِ إِذَا رُحْنٌ في الْخُطوبِ الشُّودِ
قال المأمون لمحمد بن داود : إن شاركناك في اللفظ قد تاركناك في الخط ، .
قال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ أَدَّى .
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أُمِّي لا يعرف من فنون الخط فَنَّا ، .

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، نهم يشرفون بالشرف الكريم في قصص الخطأ ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والتقليد لتهيئه ولأمره ، فتملكت به المشابهة الجائلة ، وتناهت إليه الفضيلة . فقال الثامون : يا محمد ، لقد تركتني لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة ثراً ونظماً ما فيه كناية وفي السادسة والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا . وإنما أخرج الحريري رسالته الخيانية من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي قدمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من لزوم تقط لفظاً وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راقية المعاني ، أنيقة المباني ، ولو غيره تعادها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو ! لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مزام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرُحُ نَفْقَةٍ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ عقدة العنق في لسان الخطيب^(١)
ومصيب شواكل الأمر فيه مشكلات مُمكن أب اللبيب
لامعنى بكل شيء ولا كلُّ عَجِيب في عينه بعجيب

الكرمُ - ثَبَّتْ أَمَّةُ جَبَشَ سَعْدِك - زَيْنُ ، وَالْأَوْثُمُ - غَضُّ الدَّهْمُ
جَفَنَ حَسُودِكُ يَشِينُ ، وَالْأَرْوَعُ يَثِيبُ ، وَالْمُورُ يَخِيبُ ، وَالْحَلَّاحِلُ
يُضِيفُ ، وَالْحَالِلُ يُخِيفُ ، وَالسَّمْعُ يُنْذِي ، وَالْمَحْكُ يُقْذِي ، وَالنَّمَطُ
يُنْجِي ، وَالْمَطَالُ يُشْجِي ، وَالِدُعَاءُ يَقِي ، وَالْمَذْحُ يُنْقِي ، وَالْحَرْثُ يَجْزِي

والإلطاط يُخزى، وإطراحُ ذي الحُرمة غي، وتحرمة بني الآمالِ بُنى،
وما صنَّ إلا غبنٌ، ولا غبنَ إلا صنينٌ، ولا خزنَ إلا شقيٌّ، ولا
قبضَ راحةً تُقي. وما قتي، وعدكُ نبي، وآراؤكُ تشني، وهلاكُ
يُضي، وحلمكُ يُغضي، والآؤكُ تُنني، وأعداؤكُ تُنني، وحسامكُ
يُفني، وسوددكُ ييني، ومواصلكُ يجتني، ومادحكُ يقتني، وسماحكُ
يُنيت، وسماؤكُ تنيت، ودركُ يغض، وردكُ ينيض، ومؤمكُ
شيخُ حكاة في، ولم يبقَ له شيء. أمكُ بطنُ حِرصه يُنب، وعدحكُ
يُنخبِ مهوزها تجب، ومرامه يُخف، وأواصره أشف، وإطراؤه
يُجذب، وملامه يُجتنب، ووراءه صنف، مسهمُ شطف، وحصمهم
جنف، وعمهم قشف، وهو في دمعٍ يجيب، ووله يُذيب؛ وهم
تضيف، وكدرُ نيف، للممولِ خيب، وإهمالُ شيب، وعدوُّ نيب،
وهُدوُّ تنيب، ولم يزعِده فيمضب، ولا خبثُ عوده فيمضب،
ولا نقت صدره، فينفض، ولا نشروصله فينفض، وما يقتضي
كرمكُ تبدُّ حرمه؛ فييضُ أمله، بتخفيف أمله، ينتُ حمدكُ بينَ
قاليه. بقيت لإمالة شجب، وإعطاء نشب، ومداواة شجن، ومراعاة
يقن، موصولا بخفض، وسرور غض، ما غشي ممد غي، أو غشي
وهم غي، والسلام.

قوله: «غَضَّ الدهر جفنَ حسودك»، يقال: غَضَّ جَفْنَهُ، أى سَدَّ عَيْنِهِ، دَعَا عليه بالعَمَى، يقول: الكرم يَزِنُ صاحبه. واللُّؤْم — وهو البخل — يَشِينُهُ وَيَعِيبُهُ، ثم دَعَا له بدوام السَّعَد وثبوته، وبعضُ عَيْنِ الحسود حتى لا يبصر مَا أُعْطِيَ المدح من النِّعم، فَيَأْخُذْهَا بِالْعَيْنِ. الأَرُوع: السيد الكريم، وهو الذى قَصِدَ، وقيل: الأَرُوع الحديد النفس، وقيل: الذى يروْعُك بِجَمَالِهِ. يُشَيِّبُ: يُجَاوِزُ قاصده. والمُتَوَرِّ: البادى القَوْرَة، وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة، ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده، لأنَّه قَابِلٌ به الأَرُوع، وهو التَّامُّ الجسيم، الجهير الصوت، قال الشاعر:

بواخي لئيمُ النَّاسِ كُلِّ مَلَأَمٍ وينطق بالموراءِ مَنْ كَانَ مُعَوَّرَا

الحلال: السيد الذى يُحْمَلُ به الناس كثيراً. يُضَيِّفُ: يُنْزِلُ الأضياف ويكرمهم. والمآحل: البخیل، شَبَّهَ بالبلد لئال، وهو الجَدْبُ، فكانَ المآحل الذى لا يوجد عنده خير، يقال: أمحل البلد، وبلد مآحل وذو نَحْلٍ، مثل لابن وتامر، والمآحل التَّمَام، يقال: نَحَلَ به إلى السلطان إذا وَثَّى به، وهو الذى يُخَيِّفُ على الحقيقة، والمآحل أيضاً: الخاصم، وقد مآحلته ومآحلنى. يُقْدِى: يظلم. والحِكُّ: اللجوج، وهو مقابل السَّمَح الخلق. يُقْدِى: يحمل فى العين قَدَى، أى يضرُّ قاصده ويؤلمه. يُنَجِّى: يخلص صاحبه من الذم، وتقدّم المطال. يُنْقِى: يفسل العيب. والإطاط: الامتناع من فعل الخير، ويقال: لَطَّ وأَطَّ، إذا ذهب، وأَطَّ الشئ وأَطَّه، إذا ستره. يُخْزِى: يهين. أطراح: ترك. ذى الحرمة، أى صاحبها، والحرمة ما لا يحل تركه لـ من قصدك قد دخل فى حرملك، فتركه ليس من الروءة. غَيَّ: فساد وضلال. تحرمة: منع. بنى الآمال: أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه. بَنَى: ظَلَمَ. ضَنَّ: بخل. غَيَّبَ: مخدوع فى رأيه. ضنين: بخيل، يقول: ما يَضَنُّ بِمَالِهِ من هو سديد.

النظر ولا الصيب الرأى إما يبخل به مَنْ هـ فاسد النظر مغبون فى رأيه .
 خزن حبس ماله : قبض راحه : ضمّ كفه على مافيه ، وهذه كناية عن المنع والبخل .
 والتقى : الذى بقى نفسه من العذاب بعامله الصالح ، من وقيتْ نفسى أقيها ،
 واختلف فى وزنه قليل « فصول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء .
 فخرجها ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء ، وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فصيلاً » وأصله « تقى » ، فأدغموا الياء فى الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فصول » قال : لما أشبه « فصيلاً » جميع جمعه .

قوله : « ما فنى » ، أى مازال . بنى : يصدق ويكون وثياً . آراؤك : جمع رأى .
 تشي : تزيل الهم عن قلب وليك ، وتبرى مرض قاصدك من قهره ، يصفه بخودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلاكك بضى :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تَراه إذا ما جثته مَهْلًا كَأَنَّكَ تعطيه الذى أنت سائله^(١)
 وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض التهلل

خلافًا لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، واللثم الذى إذا سئل
 أنزوى وتقبض .

ينفى : يسمح . آلاؤك : نعمك . أعداؤك ثنى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 إياهم ، فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حاتماً ،

فلم يُنزله، فبات جائعاً مقروراً، فلما كان في السَّحر ركب راحلته، وانصرف، فتقدمه حاتم، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً، فقال له: من كان أبا مثواك البارحة؟ قال: حاتم، قال: فكيف كان مبيتك عنده؟ قال: خير مبيت، نحر لي ناقةً فأطعمني لها عبيطاً، وأسقاني الخمر، وعلف راحلتي، وسرتُ من عنده بخير حال. فقال له: أنا حاتم، والله لا تبرحُ حتى ترى ما وصفت، فردّه وقال له: ما حالك على الكذب؟ قال له الأعرابي: إنَّ الناس كلَّهم يثنون عليك بالوجود، ولو ذكرتُ شراً كنتُ أكذب، فرجعت مضطراً إلى قوْلهم، إبقاء على نفسي لا عليك. وقد تقدّم قول البحترى في هذا المعنى:

أأشكو نداء بعد ما وسع الوَرَى وَمَنْ ذَا يَنْمُ النِّيتَ إِلَّا مُدَمَّمٌ^(١)!

وقال حبيب:

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامدٍ^(٢)
بسبابة تنساق من غير سائقٍ وتنقاد في الأناق من غير قائدٍ
أفادت صديقاً من عدوٍّ وصيرت^(٣) أقاربَ دنيا من رجالٍ أباعدٍ
ومخلقة لما ترذ أذن سامع فتصدر إلا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم، يقول: يسمع عدوك إطنابي في مدحك فيمدحك صاغراً، فكيف وليك! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض، ليست بإبل ناسق، ولا بجنيل تقاد، فتردّ العدو صديقاً، والبعيد قريباً، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩، ١٢٠

(٣) ط: «وفاوت»

يسمعا أحد إلا ويحلف أنه لم يسمع مثلها ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسوددك يَبْنِي » ، أى يرفع لك مجداً وشرناً . حاسمك يَفْنِي ، أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك . مواصلك يَحْتَنِي ، أى مَنْ زارك وواصلك اجتنبى نعمتك ومواهبك . يَفْتَنِي ، أى يكتسب . سَمَاؤُكَ تَفْنِيثٌ ، أى تأتى بالفيث وهو اللطيفستفيث الناس به من الجذب . سَمَاحُكَ يُفْنِيثُ ، أى جودك وحسن خلقك يفرّج كُرْبَ اللّهُموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغثته أغثته ، إذا فرّجت عنه ما يشتكى منه . درّك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبُنُكَ يملأ الإِنَاءَ و يفيض عليه ، يريد أن عطائه يكثر لسانه . وردّك يَفِيضُ ، أى يمنعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار فى الأرض ، مؤمّلك : راجيك . والفاء : الظلّ بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبه نفسه بالفاء الذاهب . أَمّك بظنّ ، أى قصّداك برجاء . وحرصه يُثْبِ ، أى طمعه يتزايد فيجعله فى غاية من القلق . تُحَبِّبُ : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب فى ملته ، فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها . ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدي بمجودك ، ذا بهذا كلانا اليوم أريجٌ صيرفٌ
لأصبح من نوالك فى رياشٍ وتصبح من مقالى فى حُلّى
وقال آخر :

وحلّة كساها كالحلّى فى الثّابة
فاستبطنت مديحاً كالأرئى فى نصايه
فراح فى ثيابي ورُختُ فى ثيابه

وقال ابن شهيد في ضيف له :
وما أَفْكَ معشوق الثَّوَاءِ نَمْدُهُ
يُشِرُّ وَتَرْحِيبٌ وَبَسْطُ لِسَانٍ ^(١)
إِلَى أَنْ تَشْهَى الْبَيْنَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ
وَحَنٌّ إِلَى الْأَهْلِينَ حَنَّةً حَانَ
فَاتَّبَعْتُهُ مَا سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ
وَأَتْبَعْنِي ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ

قوله : « مرامه يخف » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أوأصره : جمع أصره وهى صلة الرحم ، والأصر : الموضع الخابس ، من قولهم :
أصرت فلاناً على الشيء أصره أصرأ ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرنى
على فلان أصره ، أى مات محبسى عليه حاسبة ، ولا تعطفنى عليه عاطفة . ذكره ابن الأنبارى .
وذكر الحريرى فى الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،
بمعنى انصد ، ومعناه الوضع الخابس للآثر عليه ، فسميت أواصر ، لأنها
تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى سيّد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابى فتحدثا ^(٢) ،
فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب رثة ،
فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كساك ولم تستكهِ فحسدتَه ففى ماجد يعطى الجزيل ويأصرُ
وإنَّ أحقَّ الناسِ إن كنتَ مادحاً بمدحك من أعطاك والعرض وافرُ

قال ابن الأعرابى : « وناصر » بالنون ، قال له أبو نصر : دعنى يهفأ
ويأصرى عليك بناصر كـ ؛ يريد : « ياصر » يعطف ^(٣) .

(١) الأخيرة لابن بام : ١ : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتجادبا الحديث » .

(٣) درة الثوراس ٧١

قوله : «تشف» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح ، والعمود السابقة التى يبنى وينتك . إطراؤه يُجتنب ، أى مدحه يتجاوز به الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح فى الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجتنب : ذمه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجالك شيخ مسنٌ قَبِرَ قصْدك بيقين لأنك من أهل الكرم ، فطامه لئلا يزيد لما أرتجى من معروفك ، وأهدى إليك من مدائح عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك عُلُق تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح رَغِبُ فيه وذم يرهِّب منه .

ووراءه ضَف ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضَف الطعام ضَفًا إذا كثرت القوم عليه ، وضَف العيش اشتد . والشَّلَف : سوء الحال . حصَّهم : عرَّاهم وتفرَّسهم . جَنَف : ميل الدهر عليهم . قَشَف : بؤس عيش . يحيب : يساعد . وَلَه : هم وحيرة . يذِيب : يذهب اللحم . تَضَيَّف : نزل به ومال إليه . كَد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المهود . لَأْمُول ، أى لقصود مرجو . إِهَال : تضییع وتسييب . نَيْب : عَصَ بَأْسَنَانِه . وهَدَوْتَيْب ، أى سكون وأمن زال عنه . يَزَغ : يُل . نفث صدره ، أى تكلم بشر ، ونفث : بَرَق من داء فى صدره . ومنه اللث : لا بد للسدور أن ينفث . يَنْفُض ، أى يضرب ويبيد . نَشَز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمَّن ويلزم . نبذ : طرح . حُرْمَه : جمع حُرْمَة . يَبِضُّ أمله ، أى أسد رجاءه ، ورُدّه أبيض ببطائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجهه . يَنْث : ينشر . عالِه : ناسه وأهل زمانه . بَقِيَتْ : عشت وطال بقاؤك . إِمَاطَة شجب : إزالة هلاك وتنجيته . نَسَب : مال . شجن : حزن ، والشَّجْن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يَفَن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرَّك ، مصدر هَاخ يشيخ ، مثل الشيخوخة .

حتصلاً . بختض : عيش هنيء . شعى : ناعم جديد . عُثِي : قُصِد ودخل .
معهد : موضع يمهّد به جلوسه . وهم عُثِي : غلط جاهل .

• • •

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِمْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاهِ الْبَلَاغَةِ عَنْ
بَسَائِلِهِ ، أَرْضَتْهُ الْجَمَاعَةُ قِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حِفَاوَةٌ وَطَوْلًا . ثُمَّ
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نِجَارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشُّعَابِ وَجَارُهُ ،
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصَّيِّمَةِ	وَسَرُوجُ تَرْبَتِي الْقَدِيرَةِ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدُ	رَاقًا وَمَنْزِلَةَ جَسِيمَةِ
وَالرَّبْعُ كَالْفَرْدُوسِ مَهْدُ	يَّةٍ وَمَنْزِلَةَ وَقِيمَةِ
وَاهَا لَيْتَشُ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَدَاتِ عَيْمَةِ
أَيَّامَ أَسْعَبُ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْقَرِيمَةِ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النِّعَمَ الْوَسِيمَةِ
لَا أَتَّقِي نُوبَ الزَّمَانِ	فَ لَا حَوَادِثَهُ الْمَلِيمَةِ
فَلَوْ أَنَّ كَرْبًا مُثَافُ	لَتَلَفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمَقِيمَةِ
أَوْ يُفْتَدَى عَيْشُ مَضَى	لَفَدَّتُهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةِ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبَهِيمَةِ
تَقَادُّهُ رُءُ الصَّنَا	رَ إِلَى الْمَطِيئَةِ وَالْمُهْزِيمَةِ

وَيَرَى السَّبَّاحَ تَنَوَّشَهَا أَيْدَى الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيَّةِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَيْئَةً
وَلَوْ اسْتَفْأَمْتَ كَانَتْ أَلْ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةٌ

• • •

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إقامتها عليه ليكتبها جلي : كشف . الهيجاء :
الحرب ، وهى من المنيج وهو الحركة والاضطراب . رسالته : شجاعته . أو سمعته :
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطلؤل : الإنعام . الشعوب : القبائل ، واحدها
شعب ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى يتهون
إليه والقبيلة دونه . نجاره : أصله . الشَّاب : الطرق فى الجبال . وجَّاره : جُعره ،
أراد بَيْتَهُ ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .

قوله : «غسان أسرقى» : أى هذه القبيلة أصل قرابتى . الصميعة : العريضة
الخالصة . تربى . بلدنى . إشرافاً : ضياء وقاه من السيب . جسيمة : عظيمة .
الفردوس : الجنة ، مُنِمَتْ بذلك لمرائشها ، والفردوس : للعرش من الكرم .
عطية ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى زهتها وحسنها ، وفى قدرها ،
وأراد بالبيت غسان ، وبالربع سروج ، أو يريد بيته فى غلن فى الشرف
كالشمس ، ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها وزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَّتْ جَنَّةُ الدُّنْيَا سَرُوجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمَحَانِ التَّمِيّ :

وَأَمَّا مِنَ الْقُصُومِ الَّذِينَ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدُ قَوْمِ صَاحِبُهُ^(١)

نجوم سماء كلّا غار كوكبٌ بدّا كوكب تأوى إليه كواكبة
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُحى الليل حتى نظّم الجزع ناقبه^(١)
وقال حسان بن ثابت :

بيض الوحوه مضية أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأول^(٢)
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجة بن المضرّب قال :
أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس للنيرة والبدر
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتبعد منازلها من منازل
الكواكب ، حيث يقول :

وعزّة بشئها همّة زُحَل من تحتها يمكن التّرب من زُحَل^(٣)
وزُحَل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلةً ، وهذا من غلو
المتنبّي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زُحَل في منزلة
واحدة ، كما جعل الحررى منزلة مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على
غيره ، فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زُحَل ، كما يعلو زُحَل على الأرض .
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيبون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته
في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها .
وأما : تعجّباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عيمة : كثيرة .
أسحب مطرقي : أجزّ ثوبي الملم في طرفه إعجاباً بنفسى . أخنل : أمشى الخلاء
حتكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .
والتوب والحوادث : التوازل والمصائب ، كلّها بمعنى واحد ، وهى ما يتوب
بالإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . الليمة :

(١) الجزع ، بالفتح وبكسر : الحرز اليان .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره أبى طالب اللّبي الأسديّ فيا أورده ابن
بسام في القافية وعلى بن سعيد في التّرب .

التي تأتي بما يَلام عليه . كَرَبِي للقيمة : هموى الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسى ، وأصلها دم القلب . نتقاده : تسوقه . بُرَّة : حَلَقَة من صُفَر تجعل فى وترة أنف البعير ، يذلل بها . الصَّخَّار : الذَّلَّة . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والمهزيمة : المحقرة لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد ويذلل بالْبُرَّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالمهزيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود . تنوشها : تتناولها وتخدشها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبْع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهى مضادة فى الخِلقة لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفَل والقُفْذَيْن رقيقة الصدر ، وهذا السبع أزل^(١) عظيم الصدر ، والضع عظيم البطن ، ولذلك سُمى خُضَاجِر الجلع ، والحِضْجَر : عظيم البطن . والحِضْجَر : الوطْب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن ، وهى عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمقها المثل فيقال : أحق من ضَبْع ، وأحق من أم عامر وهى كنيته . ومن حمقها أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها : خامرى أم عامر ، ومعناه الجنى إلى أقصى مفارِك واستترى ، فتتقبص ، فيقول : أم عامر ليست فى جارها ، ثم يقول : أبشرى أم عامر بكمر الرجال ، أبشرى . أم عامر بشاة هزلى ، وجرادة عظمى ، فتمد يديها ورجليها ، فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ، ولو شامت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عرباناً ، وإن دخل ثوب قتله ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتولونها .

ومن حمقها أنها تترك جِراءها إذا خرجت تلتصقها تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمثال ١ : ٤١٦ ، الميداني ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُضْعَةٍ أَوْ لَدٍ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ
 بَنَى بَطْنَهَا، هَذَا الضَّالُّ عَنْ الْقَصْدِ
 قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَالضَّبَاعُ لَا تَفْتَرِسُ شَيْئًا إِلَّا مَا تَأْكُلُ الْخَيْفَ ، وَتَنْبِشُ الْقُبُورَ
 عَنْ اللَّوْقِ ، وَرَبَّمَا اجْتَمَعَتِ الْجَلَاعَةُ مِنْهَا عَلَى حِمَارٍ فَأَكَلَتْهُ ، وَلَيْسَ لَهَا بِالنَّهَارِ
 كَبِيرٌ عَمَلٌ ، قَالَ الْمَذَلِيُّ :

تَبَيْتَ اللَّيْلَ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا حِمَارٌ حَيْثُ جُرَّ وَلَا قَتِيلٌ^(١)

قَوْلُهُ : « الْمُسْتَضِيْعَةُ » أَيْ الْمَذَلَّةُ . وَالضَّيْمُ : الذَّلُّ ؛ يَضْرِبُ الْمَثَلُ لَتَلَاعَمِ الزَّمَانِ
 بِالنَّاسِ بِالْأَسْوَدِ وَالضَّبَاعِ ، فَقَالَ : إِنَّ الضَّبَاعَ الْمُحْتَقِرَةَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ تَتَنَاوَلُ
 الْأَسْوَدَ بِالضَّرَرِ ، وَكَذَلِكَ الزَّمَانُ يَرْفَعُ الْحَقِيرَ وَالْمُهْجِنَ وَيَكْثُرُ رِزْقُهُ ، وَيَضَعُ
 الرَّفِيعَ وَيَقْتَرِ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ الْمُحْنَاءَ وَالْأَرَاذِلَ الْخَطَطَ الْجَسَامَ ، وَيَجْرَعُ النَّبْلَاءَ
 وَالْأَعْيَانُ غُصَصَ الْحَازِي وَكُنُوسَ الْحِمَامِ .

* * *

[نَبَذَ فِي أَحْوَالِ الدَّهْرِ]

وَهَذِهِ أَحْوَالُ مَشَاهِدَةٍ تَنْسَبُ إِلَى الدَّهْرِ لَوْ قَوَّعَهَا فِيهِ ، وَقَدَّرَهَا الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ
 اخْتِبَارًا لِعِبَادِهِ ، وَلِيَبْصُرَ الْعَقْلَاءُ جَرِيَانَ أَحْكَامِهِ فِي خَلْقِهِ ، وَأَنَّ الْكُلَّ تَحْتَ قَهْرِهِ ،
 وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ عَاجِزٌ عَنْ إِدْرَاكِ مَا لَمْ يَقْدِرْ لَهُ ؛ وَقَالَ مُحَمَّدُ
 ابْنُ الْقُضَلِّ :

هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَعْطَاهَا الثَّلَاثَا

فَهُمْ فِيهَا يَمِيشُونَ نَوَيلَحُونَ الْكِزَامَا

(١) لِسَاعِدَةِ بْنِ جَوْيَةِ الْهَنْدَلِ ، دِيَوَانُ الْهَيْدَلِيِّينَ ١ : ٢١٦ .

وقال المرى في معنى بيت الحريرى :

وَمَنْ صَحِبَ الثَّيَالِي عَمَّتُهُ خُدَاعِ الْإِنْفِ وَالْقِيلِ لِلْحَالَا^(١)
وغيّرت الخطوب عليه حتى تربه الذر يحملن الجبالا
وقال يزيد المهلبى يرثى للتوكل :

علتكَ أسياف من لادونه أحدٌ وليس فوقك إلا الواحدُ الصمدُ^(٢)
وأصبح الناسُ فوضى يحبون به ليثاً صريعاً تندى حوله النقدُ^(٣)

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَمِيزْ أَبَا نَصْرِ وَقَاتَلَهُ فَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سُبُعٌ^(٤)
فيم الثمالة إعلانا بأسدٍ وغى أفنهم الصبرُ إذ أجاكم الجزعُ !

هكذا ينظم حرّ الكلام ، ويبتذلون الكرام ، وتنفى عنهم شماتة اللثام .
وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبى نصر بأغرب من هذا ، وجعله قاتل نفسه ، إذ
لا نظير له في شجاعته فيقتله ، وإنما قتله أمر الله الذى لا ينال ، كما قال أبو الطيب :
ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب^(٥)

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ توفى به للذى تخافك حتى لم يجد فيك منزعا^(٦)
فاكنت إلا السيف لا في ضريبة قطعها حتى اشنى فقطعا

(٢) مروج الذهب للمسعودى ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) اللطيف : جنى من الثمن .

(٥) ديوانه ١٠٩ : ١

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي
ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونسُ تَما فِ المارِ حَتى كَأَنَّمَا هُوَ الكُفْرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَوْ دُونَهُ الكُفْرُ^(١)
فَأَتَيْتُ فِ مَسْتَنَقِّ اللُّوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا: مَنْ تَحْتَ إِخْصِيكَ الحَشْرُ

قوله : «الذنب للأيام» ، نسب الذنب إليها لوقوع الكروه فيها كما تقدم .
تنبُ : ترتفع ، شيمة : طبيعة ، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع ، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته .



[نِهْذُ وَأَقْوَالُ وَحِكَايَاتُ فِ ذَمِّ الزَّمانِ]

ومما قيل فِ ذَمِّ الزَّمانِ مِمَّا يوافقُ هَذا المَعْنى ، أَنَّ عبدَ المَلِكِ بنَ مروانَ سألَ
مسلمةَ بنَ يزيدَ — وكانَ مِنَ المَعَرِّينَ — قَوالَ : أَيْ المَلوكِ رَأَيْتَ أَكَلُ ؟ وَأَيْ
الزَّمانِ رَأَيْتَ أَفْضَلُ ؟ قَوالَ : أَمَّا المَلوكُ فَلَمْ أَرِ إِلَّا حامِداً أَوْ ذامِداً ، وَأَمَّا الزَّمانُ
فَيرُفَعُ أَقْواماً وَيَضَعُ أَقْواماً ، وَكُلُّهُم بِذَمِّ زَمانِهِ . لِأَنَّهُ يُبْلَى جَدِيدُهُمْ ، وَيُفَرِّقُ عَدِيدُهُمْ ،
وَيُهَرِّمُ صَغيرَهُمْ ، وَيُهَلِكُ كَبارَهُمْ .

أبو جعفر الشيباني قال : أنا أنا أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، قال :
ما أتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إنَّ الزمان وعاء ، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أَرى حُللاً تُصانُ على رِجالٍ وَأَخْلاقاً تُذالُ ولا تُعانُ
يُقولونَ الزَّمانُ به فادُّ وَهمُ فسدوا وما فسدَ الزَّمانُ

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا فما قد صنعت بنا ما كفنا
جعلت الشرار علينا خياراً وأوليتنا بد وجه قفاً
وقال أبو العتاهية :

كفناك عن الدنيا الذميمة مخبراً غنى باخليها وافتقار كرامتها
وأن رجال النفع تحت مداسيها وأن رجال الضر فوق سنابها
وقال ابن لئلك :

يا زمانا ألبس الأح شرار دلاً ومهانة
لت عندي بزمان إننا أنت زمانة^(١)

وقال ابن الرومي :

دهرٌ علا قلدرُ الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه^(٢)
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلًا ويلغو فوقه جيفه
وكرّره فقال :

قالت: علا الناس إلا أنت قلت لها: كذلك يسفل في الميزان مارجحاً
وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلاناً صرت في غيره بكيت عليه^(٣)

(١) الزمان : الساعة

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أبك من زمنٍ نكدٍ أساء به إلا بكيتُ عليه حين أقدّه
ولا جزعْتُ على ميتٍ فُجِعْتُ به إلا ظَلَّتْ بسكنى القبر أحصدّه
ولا ذمْتُ زمانًا في قلبه إلا وفي زمني قد صيرتُ أحصدّه

وقال ابن أبي عيزارة :

عتبتُ على سلمٍ فلما قدته وجربتُ أقوامًا بكيتُ على سلمٍ
رجعتُ إليه بعد تقويتِ غيره فكان كبره بعد طول من السقم

وأُنشد المبرد :

حياة أبي العباس زبدتُ بقرينه أخا قهقٍ قاس الأمور وجربًا
ونعتب أحيانًا عليه ولو قضى اكنتنا على الباقي من الناس أعتبًا
قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم . أخذه أبو الطيب .

قال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه وأشبهنا بديننا الطغام^(١)
ولو لم يعل إلا ذو محلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جُثٌّ عظامُ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ ولكن معدن الذهب الرغامُ
الطغام : السفلة .

* * *

ثم إن خبره نفاً إلى الوالى ، فملاً فاه باللالى ، وسامه أن
ينصوى إلى أخشائه ، ويلى ديوان إنشائه ، فأحسبه الجباء
وظلفه عن الولاية الإباء .

قال الراوى : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ لِمَنَاعِ
 ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَتْبَهُ عَلَى عُلوِّ قَدَرِهِ ، قَبْلَ اسْتِئْزَارِهِ بِذَرِهِ ،
 فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِعْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجَرِّدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَمَا
 خَرَجَ بَطِينُ الْمَرْجِ ، وَفَعَلَ فَايِزًا بِالْفُلْجِ ، شَيْعَتُهُ قَاضِيًا حَقَّ
 الرَّعَايَةِ ، وَلَا حَيًّا لَهُ عَلَى رَفْضِ الْوَلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ،
 وَأَنْشَدَ مَتَرْنَمَا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمَتَرَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ
 لِأَنَّ الْوَلَاةَ لَهُمْ نَبَوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !
 وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشِيدُ مَارْتَبَةَ
 فَلَا يَخْذَعُكَ لُئُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أُمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
 فَكُنْ حَالِمَ سَرٍّ حِلْمُهُ وَأَذْرِكُهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَهَ

قوله : « نَمَا » ، أى ارتفع ووصل . اللآلى : الدرر . سامه : كلفه .
 ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . على ديوان إنشائه : بتولى دار كتابته ،
 أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
 أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أيت
 من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
 أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إدراكها
 ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . أُنْزَج : وعاء مملوء ، وهذا كقول الشاعر :

يبيتون باللهنا خَمَافاً عِيَابُهُمْ ويخرجن من دَارِينِ بُحْرٍ الخَقَائِبِ^(١)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى قال : حتى آل ذا عيبة خضراء وحفيبة بجراء ، أي مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقولُ لركبٍ قافلينِ رأيتُهُم قَنَازَاتٍ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبِ^(٢)
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمروفه من أهلِ وَدَّانَ طَالِبِ^(٣)
فدأبوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولوسكُتُوا أنثتِ عَيْدِكَ اخْتَابِ

تناوؤا عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفه ، فأتى أبو العتاهية فزاد المعنى بياناً بقوله :

إن المطايا تشكيك لأنهما قطعت إليك سباسباً ورمالاً^(٤)
فإذا أتين بنا أتين مخففة وإذا رجمن بنا رجمن ثقلاً

قوله : « فصل » ، أي زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية : حفظ الصلبة . لاحقاً : لاحقاً . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أي للـ خرج ممتلئ الوعاء ، ظافراً بما أراد ، نُثِّتْهُ على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد

(١) لأعشى همدان ، يهجو لوصماً ، وهو من شواهد ابن عقيل ١/٢٩٨ :

(٢) البيان والبيان ١ : ٨٣ . والغارب : طالب الماء . وذات أو شال : موضع يمين

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكثر نصب من ذكرهما في حمراء » وأنشد الأبيات .

(٤) ديوانه ٣١٧ .

معتذراً . المترية ، أى القفر . المرتبة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأصمعيّ وقد رُئيَ راكباً حماراً قتيلاً له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ .
قال متملاً .

ولما أُبْتُ إِلَّا طِرافاً بوجهها وتكديرها الشرّيب الذى كان صافيا
شربنا برنتي من هواها مكدرٍ وليس يعاف الرنتي مَنْ كان صاديا
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحبّ إليّ من ذلك مع ذهابهما ^(١) .
أطرف الشيء وتطرفه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
باعتجبا لها ، ما أشدها . يربّ : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجميل . يشيد :
يرفع ويتم . رتبه : بناء وهتاء . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الخالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطبة السلطانية كعالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أيدى أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لغير
أسود ولصفير ثمايين ، وكذلك الأمراء إن رموا الخديم ببعض إنعامهم كدروه
بتمجيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كلَّ يومٍ وليّةٍ إذا نمت لم أعدم خواطر أو هامٍ
فإن كان شرّاً كان لاشكّ واقماً وإن كان خيراً كان أضناث أحلامٍ
أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع . قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أراى أحمل بدرة ، فمن قبلها كنت
أسلح فى ثيابي ، فاتتبت فإذا السلح ولا بدرة . قال التنجديسى : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة للمعانى ظريفة للبانى ، شرّفتى بإنشادها وإملأها
على السيد الأجلّ أبو المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بفاخرة مصر لبعضهم :

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ من الوشاءِ وداعى الصبح قد هتفا
فكذت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شفا
ثم انتبهت وآمالى تحيىنى نيل النى فاستحالت غبطينى أسفا

ومن ملحق هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، فقال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :

أغيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعة ما كنت قبل أناهما^(١)
فرايت أنك رعتني بوليدةٍ مغنوجة حسنٍ على قيامها
وببدره ملحت إلى وبغلة شهباء ناجية يصل لجامها^(٢)

فقال له بشر : كل شيء رأيتك فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهماء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهماء ولكنى غلطت .

قال البطين الشاعر : قدمت على علي بن يحيى الأرميني ، فكثبت إليه :
رأيت في النوم أنني راكب فرساً ولى غلام وفي كفي دنائير
فجئت مستبشراً مستبشراً فرحاً وعند مثلك لي بالنعل تبشير
فوقع في أسفل كتابي : ﴿ أَضْفَأْتُ أَحْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِمَالَيْنِ ﴾^(٣) ، ثم أمر لي بكل ما رأيت في منامي

(١) الخبر والشعر في ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بقية في زهر الآداب :

فدعوت ربّي أن يليك جنةً عَوْضاً نصيبك بردها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٢٤ .

المقالة السابعة وهي البرقعية

حكى الحارث بن همام ، قال : أزمعتُ الشخصُ من برقِعيدٍ ،
وقد شمتُ برقَ عيدٍ ، فكُريتُ الرحلةَ من تلك المدينة ، أو أشهدُ
بها يومَ الزينة . فلما أظَلَّ بقرضه ونفسه ، وأجلَبَ بخيله
ورجله ، انبعتُ السنةُ في لبسِ الجديد ، وبرزتُ معَ مَنْ برزَ
للتعبيد . وحينَ التأمَ جُعمُ المُصلَى وانتظمَ ، وأخذَ الزحامُ بالكُظُم ،
طلعَ شيخٌ في سَمَلَيْنِ ، مُجُوبُ المِثْلَيْنِ ، وَرَقٌ انتَضدَ شِبُهَ الخلاءِ ،
واستفادَ المعجوزَ كالسَّعلاةِ ، فوقَفَ وَفَقَةً مُهَافِتٍ ، وَجِئًا نَحِيَّةَ
خَافِتٍ . وَلَمَّا فرَغَ من دُعَائِهِ ، أَجَالَ خَمْسَةً في وِجَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ
منه رقاعاً قد كَبِنَ بألوانِ الأصباغِ ، فيأْوَانِ الفَراغِ ، فَنَاولَهُنَّ عَجُوزَهُ
الحِزْبُونَ ، وأمرَها بأن تَتَوَسَّمَ الزُّبُونُ ، فَمَن آنَسَتْ نَدَى
يَدَيْهِ ، أَلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَأَتَا حَ لَه القَدْرُ المَتَوَبُ ، رَقْمَةٌ
فيها مكتوب ...

...

أزمعت الشخص ، أى عزمت على الخروج . برقِعيد : بلد بينه وبين
للوصل عشرون فرسخاً . شمت : نظرت .

ويريد يرق عيد ، مقدمات العيد التي ينظر الناس بها في أسبابه ، سأل رجل

الجَنيد ، لماذا تُنمى يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدمَ لما خرج من الجنة ، وأُهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ قهيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسُرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يعود ، فلما سُكَّنت الواو وكُسر ما قبلها قُلِّبت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قلبت واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَكَانِ يَمْدُنُ ، إذا أقام فيه ، فهي « قَعِيلَة » والجمع مدائن بالهمز ، والنمى أصلية والياء زائدة ، ومن أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِين ، فاليم زائدة والياء أصلية ، وهي « مفعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَتْهُ ، ودنت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبِّتْ وَرَبَّابًا فِي حَجَرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَانِهِ يَتَرَكَلُ^(١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أظل » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظله . بفرضه : يعنى زكاة الفطر . ونفله : يعنى صلاة العيد . الفنجديهيّ : قرّض العيد : صدقة الفطر ، ونفل العيد مثل الصلاة والفصل وليس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضی الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرّ أو عبد ، ذكر أو أُنثى من المسلمين .

ابن عباس رضی الله عنهما : قرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاختلاف ، ديوانه . تركل العبيد : دفعه برجه .

الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة المساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات. أجلب بخيله ورجله، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى. ابس: لباس، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمته ولعيده».

جابر: كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة. برزت: خرجت. التأم: التحم والتصق. المصلى: موضع صلاة العيد. الزحام: الضيق لكثرة الناس. الكظم: تضيق النفس من شدة الزحام. شملتين: عباءتين، والشملة: نوع من الأكسية، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها، أى يديرها حوالیه. محجوب: مستور. المقلتين: العيينين، أراد أنه أعمى. اعتضد: علقها فى عضده. استقاد: جعلها تقوده. السملة: أثنى القول، جودكرها يسمي الكفتمك، وأنشدوا:

• غولا تراعى شرساً كفتمكماً •

والقول: جن مسكنها الصغارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك. قوله: «متهافت»، أى متساقط لضغفه، ومتهافت الشيء فى يدى: تكثر. خافت: خفى الصوت، وقد خفت الرجل، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك، وأصل خفت مات هزالاً. فرغ: أتم. أجال: مشى وصرف. خمه: أصابه. فى وعائه، يعنى المخلاة التى اعتضدها، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه، ويجعل فيها ما يُمطى من الصدقة. أبرز: أخرج. أوان: وقت. الفراغ: قلة الشغل. ناولهن: أعطاهن. الحيزبون: السنة القوية الخلق. تنوتم: تنظر. الزبون: النخدع عن حاله «قول» بمعنى «مفعول»، وهو من ألفاظ أهل المشرق، وأراد به الكثير

الصدقة ، آتت : أبصرت . ندّى : كرم . أتاح : ساق . القدر المعتوب : الموعوم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُوا بِمِخَالٍ وَمِخَالٍ وَمُفْتَالٍ
وَحَوَانٍ مِنَ الْإِخْوَا نِ قَالَ لِي لَا لَالِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْعَمَا لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فَكَمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ وَأَنْحَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطِرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطِرُ فِي بَالٍ
فَلَيْتَ الذُّهْرَ لَمَّا جَا رَ أَطْفَالِي إِلَى أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
أَمَّا جَهَزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وََالِي
وَلَا جَرَزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ لِذَلَالِي
فَمِخْرَابِي أُخْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْتَى بِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِيفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِئُ حَرًّا بِلْبَالِي بِسِرِّبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

• • •

قوله : « موقوداً » ، أى مشرقاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
والموقودة في القرآن ^(١) : المقتولة بالحطب ، والموقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممنوا : مبتلى . محتال : ما كر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مفتال :
مهلك . حوآن : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد في

(١) وهو قوله تعالى في سورة المائدة ٣ : « والنخعة والموقودة » .

آخر الزمان درهم من حلال، أو أخ يوثق به». قال: مبغض. إقلال: قرى. إعمال: جدّ وبحث، تقول: أعملت الشيء في الشيء، إذ جعلته يعمل فيه. والعمال: عاملو كل شيء. تضليع: إفساد. أعمال: جمع عمل، يريد أنه مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصبح له أضلاعاً بعد اجتماعها، وذلك فساد لها. ويحتمل أن يكون التضليع من «ضلّك مع فلان». أى ميلك معه، فأعماله تميل عن طرقها فتفسد. وقيل: تضليع الأعمال: تنقيها، قال الأزهري رحمه الله: ضلّع الدين: قلّه حتى يميل صاحبه عن الاستواء لنقله، وفي الحديث: «أعوذ بالله من ضلّع الدين». أصلى: أحترق. أذحال: أحتاد وعداوات. إعمال: قمر. ترّحال: سَفَر وثقله من بلد إلى بلد. أخطر: أمشى متبخراً، وقد خطر الرجل، إذا أقبل بيديه وأدبرهما، وهى مشية الشبان. بال: خلق. ولا أخطر في بال: لا أصرّ على بال أحد ولا خاطره. جار: مال عن الحق ولم يعدل. أطفأ: أمان. أطفألى: أولادى، ومثله: أشبالى.

الفتجديهي: يقول: ليت التهر لما ظلم أولادى، وجار عليهم أمانتى لا تخلف، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع في المصائد. قال ابن عينة: قلت لصياد: أى طائر أسرع إلى مصايدهم؟ قال: الذى يزق، يعنى الذى يطعم ولده. أغلالى: قيودى. والأغلال: جمع علّ، وهو القُرَاد الضخم، وهو الذى يلصق بأغخاذ الدواب، وهو كثير التشبّث والاتصاق، لا يُقَاع إلا بجهد، فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسببهم، وبالأغلال أنهم قد تملّقوا به يطلبون ما عنده، وقال الشاعر يصف ناقته:

* ولو ظلّ في أوصالها القلّ يرتقى *

ويقال للقراد: الطَّلح والفتيق والحجير والمَلّ والبرام والقرشوم واللبود في بعض اللغات. جهّزت: أرسلت. آل: قريب، وآل: أهل، أو يكون آل أميراً وسائساً؛ قال عمر رضى الله عنه: أَلْنَا وأَيْلَ علينا، أى سُنْنَا الناس

«وساسنا غيرنا» فيكون على هذا مقلوباً من «آيل» ، كما قيل : سار في سائر .
 مسح : طريق . يقول : لولا ذلّ الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جررت ذلي
 في طريق ذلّ ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرّه ، والمسحب : موضع جرّه
 ثوبه محرابي : مسجدى . أخرى : أحقّ بى . أسملى . أتوا بى الخلقمة . أسمى لى :
 أعزّ لى وأرفع لقدرى . أعالى : هموى أو ديونى ، أو كثرة عيالى واحدها قتل ،
 وثقل الشيء ثقلاً ضدّ خفّ ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالى : حزنى ،
 والبلبال : وسواس الموم . سربال : قيص . والسروال : معروف ، وفى الحديث
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،
 فقالوا : إنها متسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمتسرولات
 من أمتى - ثلاثاً - يأتها الناس اتخذوا السراويلات فلها من أستر ثيابكم ،
 وحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن ملّح صاحب بن سباد أن بعض الشعراء^(١) كتب له :
 أيا مَنْ عطاياه تُعطى الغنى إلى راحتي مَنْ نأى أو ذناً
 كسوت المقيمين والزائرين كساً لم يخل مثلها مُمكناً
 ونخشب الدار يمشون في ثياب من الخز إلا أنا
 فقال صاحب : قرأت فى أخبار مَعْن بن زائدة أن رجلاً قال له : احمنى
 أيها الأمير ، فأمر له بإقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت
 أن الله خلق مركوباً غير هذا لملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخز بحبة وقيص
 ودرّاعة وسراويل وسمامة ومنديل ومُطَرَف ورحاء وكساء وجُورُب وكيس ،
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخز لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة ؛
 وصبّ تلك الخلع عليه^(٢) .

وأخبار صاحب مستظرفة كثيرة الملح .

(١) هو أبو التّاسم الزعفراني .

(٢) الخبر والشعر فى بقيمة الشعر ٣ : ١٧١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَيَّاتِ ، تُقَّتْ
إِلَى مَعْرِفَةِ مُنَاجِيهَا ، وَرَاقَمَ عَمِّيَا . فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوُصْلَةَ إِلَيْهِ
الْعَجُوزُ ، وَأَقْتَانِي بِأَنَّ حُلُوتَ الْمَعْرِفِ بِحُجُوزٍ ؛ فَرَصَدْتُهَا وَحَيَّ
تَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ صَفًّا صَفًّا ؛ وَتَسْتَوَكُفُّ الْأَكْفُ كَفًّا كَفًّا ،
وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءُ ، وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدَيْهَا إِنَاءُ ، فَلَمَّا أَكْدَى
اسْتِنَاطُفُهَا ، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا ، عَادَتْ بِالْإِسْتَرْجَاعِ ، وَمَالَتْ إِلَى إِزْجَاعِ
الرَّقَاعِ ، وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي ، فَلَمْ تَمِجْ إِلَى بُقْعَتِي ، وَآبَتْ
إِلَى الشَّخْرِ بِأَكِيَّةٍ لِلْحِزْمَانِ ، شَاكِيَّةً تَحَاوِلُ الزَّمَانِ ؛
فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ ! ثُمَّ أَتَمَدَّ :

لَمْ يُنِيقْ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

قوله : « ملحمها » ، ناسجها ، ولما جمل الشعر حُلَّةً جمل له ناسجاً وراقماً .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الوصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على
نفسى . تُقَّتْ : اشتقت . أقتانى ، أعلمنى . الحلوون : أجرة النكحان ، وأراد
أجرة العراف ، وهو الذى يعرف بالتلايف للفتنة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عَرَفَ اللَّقْطَةَ ^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجمل على مثل
ذلك ، فله أجرة مثله ، والثانمى لا يوجب له حقاً سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهجرة : ما التقط .

باللَّقْطَة أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم تعب ، إلا أن يشترط قبل الطلب .
 رصدتها : ارتقيتها . تستقرى : تنفع ؛ واقرئت الأرض واستقرتها ،
 تدبّقها متأملاً . تستوكف : تستمطر . ينجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم ينجب ، وأنجح : أشهر ؛ يقول : إن مشيها
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :
 لم يرشح لها كفٌ بعطية . أكدي : خاب وصعب ، ويقال : أكدي الحافر ،
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على
 الحفر قيل له : أكدي فهو مكدر ، والكذبة هي الصلابة التي يتعذر حفرها .
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتمها . مطافها : مشيها وطوفها على الناس ،
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نُوَّاس :

إذا لم يُعِنك الله فيما تريدُه فليس لخلقٍ إليه سبيلُ
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ مسلكٍ ضللتَ ، ولو أنَّ السَّكَّ دليلُ
 غيره :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهدُه
 عاذت : تموّزت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ،
 وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : «ما قال أحدٌ عند
 المصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيراً
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تمج : تميل وترجع . بقى : ماضى . آت : رجعت .
 الحرمان : الخيبة والنم . محامل : مشقات ، وتحملت في الأمر : تكلفته على
 مشقة . أفوض : أردّ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حَوْل ، وما له احتيال ولا محتال ، ولا تحالة ولا تحيلة ؛ كَلَّه بمعنى . ويقال : ما له تحال بالفتح ، أى حَوْل ، ويحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : يحل به ؛ إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك . ويحل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفراء : التحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتي تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة تحال الظهر وهى قفاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وينصب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصب « قوة » بالتبرئة ، وإن شئت نصب « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالمطف على موضع « لا حول » ، وإن شئت نصب « قوة » بالتنوين عطفاً على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مصاف : صادق فى وده . معين : ماء كثير ، يريد صاحب كرم كثير . مُعِين : يمين بئاله . المساوى : ضد المحاسن ، واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحد لها . بدا : ظهر . الثمين : النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إن الناس قد استوا فى الأفعال السيئة ، وأراد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا استوا هلكوا » ، ومعناه أن الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدم كلمهم فضلاء لأن الخير قليل .

قال أبو العباس التطيلي فيما يتعلق بهذا المعنى :

وَالنَّاسُ كَالنَّاسِ إِلَّا أَنْ تَجْرِبَهُمْ
وَالْبَصِيرَةُ حَكَمٌ لَيْسَ لِلْبَصِيرِ
وَلَا مَا يَمُوتُ فِي مَنَابِتِهَا
وَقَالَ النَّهْأِيُّ :

وَمِنْ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِيٌّ^(١)
وَلَرُبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِمَجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنَى بَنِي إِسْرَ
وَالنَّاسِ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِسْدَارِ

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَتَى النَّفْسَ وَعِدِّيَهَا ، وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَعُدِّيَهَا ،
فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَمَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضَّيَاعِ ،
قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرِّقَاعِ ، فَقَالَ : تَسْأَلُكَ بِالْكَاعِ ، أَنْخَرُمُ
وَيَعْنُكَ الْقَنْصَ وَالْجِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَ ! إِنَّهَا لَضِنْتُ عَلَى
إِبْنَالَةٍ . فَاَنْصَاعَتْ تَقْنَعُ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
دَانَتْ قَرْنَتْ بِالرَّقِيعَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْمَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
فِي الشَّوْفِ الْمُخْلَمِ - وَأَشْرَتْ إِلَى الدَّرْهِمِ - فَيُوحِي بِالْمَرْءِ الْمُبْهِمِ -
وَإِنْ أَتَيْتِ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْمَةَ وَأَمْرَحِي . فَدَالَتْ إِلَى
اسْتِخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهَيْمِ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،
وَسَلْ عَمَّا بَدَاكَ ، فَاسْتَطْلَعُهَا طِلْعَ الشَّيْخِ وَبَلَدِيهِ ، وَالشَّعْرِ
وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ .

° ° °

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعديها : رددتها . غالت : أهلكت ،
واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تمساً : هلكاً ، والنفس : الدعاء ألا تقال عثرته .
بالكاع : يا لثيمة يا مُنْقِنَةَ ، والكاع : وسخ القروح . واللسم : ولد الحمار .
القنص : الصيد .

الحباله : الشبكة ، وصفه الحباله أن يُعصد لحبل من شعر مخلوط يسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حددوا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزلزل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فيثب فازعاً ويفرّ ، فتنبه تلك الخشبة ، فكلماً انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل . حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الصائد فيأخذه ، وأنواع الحباله كثيرة .

قوله : « القبس » ، يريد به نور الصباح . والذباله : القتيله . ضِفْتُ : حُرْمة من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كَنَفك من حشيش أو عيدان فانزعته من أصله ضِفْتُ . إِبَالَة : حُرْمة كبيرة ، والضِفْتُ على الإِبَالَة مثل حزمة الخطّاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُرْمة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إِبَالَة والصغيرة صِفْتُ ، فكانه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إِبَالَة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إِبَالَة ، مثل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يومٍ من ذُوَالهِ ضِفْتُ يزيد على إِبَالَةٍ^(١)

وقال آخر وذكر ناقته :

رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَا وَنَجَتْ بِمِثْلِ إِبَالَةٍ مِنْ خَالِصِ الشَّعْرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) البيهقي ١ : ٤١٥ من غير نسبة واللسان - أبيل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة -

فكَمْ جَزَعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةُ غَارِبٍ . وبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتَمَكْتُهُ جَوَانِبُهُ^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة واشتت مسرعة ، وكل ما تينت ولو تته بسرعة ؛ فقد صغته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفترته ، فذهب عنك بسرعة ، وصاع الشجاع القوم في الحرب ؛ إذا جمعهم بهيئته ثم صدمهم ، قروا سراعاً متفترقين ، وكل نافر مسرع منصاع ، وقال ذو الرمة في الخمر :

رَحَى فَأَخْطَأَ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ . فَاَنْصَمْنَ وَالْوَيْلُ هَجِيرَاهُ وَالْحَرْبُ^(٢)

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال : درج الشيخ والصبي درجاً ودراجاً ، إذا تقارب خطاهما ، والدراج : الموضع الذى درج فيه ، والمدرجة : قارعة الطريق . تشد : تطلب من شدت الضالة ، ومدرجها : رقعته ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طويتها . القطة : عند أهل المشرق : الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس ، يعمدون إلى دراهمه فيقطعونها قطعاً ، فهى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقة الشعر درهماً ، وقطعة من الخندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقائل الشعر ، فخذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت أن تمرقني به فخذى القطعة صدقة وانصرفي . المشوف : المصقول المجلوف ، والشوف : الجلاء ، والمعلم : النقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك . وأخذه من قول عنترة :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالشُّوفِ لِلْمَلِكِ^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانب . جب : قطع . الذروة : أعلى شىء . النارب : السكاهل . أتمكته : رفته . وفي الديوان : « أتمكته جوانبه »

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بصرح البريزي .

بُوحَى . تَكَلَّمَى . اللبهم : المغلق للملبس . أَيْتَتْ : امتنعت . اسرحى : اذهبي .
استخلاص : تخليص ، واستخلص الشيء ، جملة خالصاً . التَمَّ : الكامل . والأبلج :
النقي الأبيض ، وفعله ابلاج كاحمار . الهِمَّ : الكبير الذي يهيم به مَنْ رآه ،
وشيخ هَم : مسن ، والهَمَّ : الرقيق النحيف ، وهو من همته النار إذا أذاخته ،
وهممت الشحم : أذنته . استطلعتها طَلَعُهُ : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلعني
عليه ، وتقول : استطلعت طلع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
خبره الذي تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . بُرَدَتْ : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرْوَجَ ، وَهُوَ الَّذِي وَثَّى الشُّعْرَ
الْمُسْوَجَ ، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرَمَ خِطْفَةَ الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
السَّهْمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَتَأَجَّجَ كَرْنِي
لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأَنَاجِيهِ ، لِأَعْجُمَ عَوْدَ قِرَاسَتِي
فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بَتَخَطَى رِقَابَ الْجَمْعِ ، أَلْمَهْيُ
عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعَفْتُ أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
إِلَى لَوْمٍ ، فَسَكَدْتُ عَمَكَانِي ، وَجَعَلْتُ شَخْصَةً قَيْدَ عِيَانِي ،
إِلَى أَنْ انْقَضَتْ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الزُّنْبَةُ ، فَحَقَّقْتُ إِلَيْهِ ،
وَتَوَسَّعْتُ عَلَى اتِّحَامِ جَفْنَيْهِ ، فَإِذَا الْمَسِيَّتِي الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
وَقِرَاسَتِي قِرَاسَةُ إِيَّاسٍ .

وَثَّى : زَيَّنَ وَرَقَمَ . خَطَفَتْ : أَخَذَتْ بِسُرْعَةٍ . الْبَاشِقُ : مِنْ جَوَارِحِ
الطَّيْرِ . مَرَقَتْ : خَرَجَتْ بِسُرْعَةٍ . الرَّاشِقُ : الَّذِي يَرشُقُ الصَّيْدَ ، أَيْ يَنْشِبُهُ ،

ويكون الراقب بمعنى المراقب ، كقوله تعالى : ﴿مَنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾^(١) ، أى مدفوق .
قوله : «خالج» ، أى داخل وجاذب . تأتجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
«التفعل» من الأَجِج ، وهو تصويت النار ولهبا إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :
آتيه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحذّته . أعجمُ : أجرب . فراستى : نظرى ،
وجعل لما عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى التهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . يتأذى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . شكّدتُ : التصقت ولزمت . قيد
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقّت الوتية ،
أى وجبت الفزة إليه . خفت : أسرع . توسّمت : نظرت . التعم : التصاق
وانفلاق . الأملتى : ذكائى وصدق ظنى ، والألمى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،
ولا يخطئ ، وهو اليلمى من اللعان ، كأنه يعلم لكائه وجودة فطنته ،
وقال أوس :

الألمى الذى يظنّ بك الظنّ كان قد رأى وقد سمعاً^(٢)

ولا يبين أحد الألمى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمى ؟
فأنشدت بينه تأت بالجواب الشافى .

والفِراسة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألمية أن ترى الشيء على بُدّ فتعرفه وتحققه ، والفِراسة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمية فى البعد ،
والفِراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمية والفِراسة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

[ذكر ابن عباس وبعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف فى السنة التى مات فيها ، ما بين ثمان وستين فى الأقل ، وأربع وسبعين فى الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاط .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن » ، وفى حديث آخر : « اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين » . وفى حديث آخر : « اللهم زده علماً وفقهه » ؛ وفى حديث آخر : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويُدبته ويقربه ويشاوره ، مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فتي الكهول ، له لسان سنول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَلَدَ رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمعضلات ، مع اجتهد عمر ونظرة للسليدين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعريّة والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه العلم والفقه ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجل الناس ؛ فإذا تكلمت قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدثت قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذاذكروا ابن عباس خالفوه ، فلم يزل يقيدهم حتى ينتهوا إلى قوله .

ابن مسمود : ندمت ترجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناننا ما عاشره منّا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حائجا ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَدِيٌّ فَبِكُرٍّ غَدَاةٍ غَدِيٍّ أَمْ رَاغِيٍّ فَهَجَرٌ

خفظها من سمها ، وهي ثمانون بيتا^(١) .

(١) الكامل للبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد آياتا من القصيدة :
« فقال له ابن الأوزق — وقد كان حاضرا في المجلس : قد أنت يا ابن عباس انضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتَ ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرك ؛ فعِمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لسان رضى الله عنهما :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ^(١)

قَلْبٌ ذِكْرٌ وَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ

نظر إليه الخطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، قال : مَنْ هذا الذى برع الناس بعفه ، ونزل عنهم بسنه ؟ قيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلًا^(٢)

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا قَائِلٍ بَمَنْتَطَحَاتٍ لَا تَرَى يَنْهَا فَضْلًا^(٣)

كُنْتُ وَشَقَى مَا فِى النُّفُوسِ وَلَمْ يَدْعُ لَدَى إِبْرِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ حِدًّا وَلَا هَزْلًا

== كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتمرض ، وبأنيك غلام من عرش فيفشدك سفهافتنمه ؛ فقال : ناقة ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرق : أما أفشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى ، وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخْصِرُ

فقال : ما صكنا قال ؟ إنما قال : « فيضي وأما بالعشى فيخصر » فقال : أو تحفظ الذى قال ؟ قال . والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فارددها . فأنشدها كما سألها .

(١) ديوان حسان ١٦٤

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بمنطحات » .

سَمَوْتَ إِلَى الْعِلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَلَنْتَ ذَرَاهَا لَا ذَلِيلًا وَلَا وَغْلًا^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ مَصِيبٌ وَلَمْ يَنْ لِسَانَ عَلَى مُجْبِرٍ
يَصْرِفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا اتَّحَى وَيَنْظُرُ فِي أُعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، قُتِل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر أبيض فدخل في نحره حين نُحِل ، فما رُئِيَ خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنقف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب لُزْنِيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب إلى عدى بن أرمطة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية لُزْنِيّ والقاسم ابن ربيعة الحارثي ، فوَلِّ القضاة أُنْذَرَاها وَأَقْصِهما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد : إِنْ صَاحَبَهُ أَنْذَرْتُه ، قَالَ لَهُ إِيَّاس : سَلْ عَنِّي وَعَنْ الْقَاسِمِ قَتَيْبَةَ الْمَصْرِ : الْحَسَنَ وَابْنَ سِيرِينَ - وَكَانَ الْقَاسِمُ يَأْتِيهِمَا وَإِيَّاسُ لَا يَأْتِيهِمَا - فَعَلِمَ الْقَاسِمُ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَهَا أَشَارَا بِهِ . قَالَ الْقَاسِمُ : لَا تَسْأَلْ عَنِّي وَلَا عَنْهُ ؛ فَوَاللَّهِ الْبَنَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ إِنْ إِيَّاسًا لَأَقْعُ مَتًى ، فَلَنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَلَّا تَوَلِّيَنِي

(١) الوغل من الرجال : الضيف الساطع .

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. قال له إياس: إنك جئتَ برجل، فوقفته على شفيع جهنم، فنجى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، قال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لما؛ فاستقضاء. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أظلتُ قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أترض القرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: إني أريد أن أستمين بك على عملي، قلت: إن في خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كاتري، وأنا عبي، وأنا حديد، قال: أما دمامتك فإني لا أريد أن أحسن بك الناس، وأما العبي فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقوِّمك، قم. فولاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالٍ تموَّلتُهُ.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء. وعدى أمير البصرة، وكان أعرجاً طبعاً - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: وشرطتُ لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبِمَ تحكم؟ قال: بألا تخرجها، قال: بشهادة مَنْ؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم مع شيخ عند قاضيهما، فصال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فغضض كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي:

أسكت ، قال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحَجَّتِي ؟ قال له القاضي : ما أراك تقول حقاً ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : أخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده لئلا يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، قال عبد الملك : أفٍ لهذه الثمانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدث ! ثم التفت إليه ، وقال : كم سنُّك ؟ قال : سنِّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنُّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكأوه وفراسته ، فقد ألّف في ذلك المدائني كتاباً سمّاه كتاب « زكّن إياس » ، والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : الزكّن : الظنّ والتفرض . ومن زكّنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، قال : ألك بينة ؟ قال : لا ، قال : اثنوني بمشط ، فأثني به ، ففرّج رأس هذا ، ثم هذا ، ففرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، قضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فضلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، قال : أصاب الذين ذكروا أتى قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أما الذى من صفته كذا فهو كذا ، وأما الذى يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، قال الرجل : فى كلّهم والله أصبت إلّا فى الشيخ ،

فإنه من قريش ، فقال إياس : وإن كان من قريش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئتمكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحدٍ إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، قال : صدق والله : إني لأتجرُ عيذان جوارى - يعني عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، قال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فُسِّلْنَ فَوُجِدْنَ كذلك ، فسئل من أين لك علم ذلك ؟ قال : لما فَزَعْنَ وضعت كل واحدة منهن يدها على أمِّ الموضع لها ، فوضعت للرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فَرْجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، قال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، قال : سمعت عند نباحه دويًّا ، ثم سمعت بعده صَوًى ينجيه ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فِرَاسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، قال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، قال : لأني وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل ، كما يُضرب بجود حاتم وحلم الأنحف وشجاعة عمرو بن معديكرب ، نظمهم حبيب في بيت جمع فصلهم المتفرق للعباس ابن اللأمون ، قال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم في حلمٍ أحنفٍ في ذكاءِ إياس^(١)
ونُوِّقِي سنةَ نلتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فَمَرَقَتْهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي ؛ وَأَثَرَتْهُ بِأَحَدٍ قُمْصِي ، وَأَهْبَتْ بِهِ
إِلَى قُرْمِي ، فَهَشَّ لِتَارِفَتِي وَعِزْفَانِي ، وَلَبَّى دَعْوَةَ رُغْفَانِي ،

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : • يمدح أحمد بن المصم • .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ، وَعَلَى إِمَامُهُ ، وَالْحُجُوزُ ثَلَاثَةُ الْأَتَافِي ،
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي ،
وَأَحْضَرْتَهُ عُجَالَةَ مُسْكِنِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَتْنَا ثَلَاثُ ؟
فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْحُجُوزُ ، قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ تَحْجُوزُ . ثُمَّ فَتَحَ
إِحْدَى كَرِيْعَتَيْهِ ، وَرَأَى بَنُو مَتْنِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَفْقِدَانِ ،
كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَابْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بَصِيرِهِ ، وَصَجِبْتُ مِنْ
غَرَائِبِ سِيرِهِ ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ ، حَتَّى
سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى الثَّمَالِي ؛ مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوِّبْكَ الْمَوَاسِي ،
وَيَا ضَالِكَ فِي الْمَرَامِي !

• • •

قوله : « أَهْبَبْ » ، أى دعوته ، وأصل « أَهَابَ » دعا نفسه مَنْ يَبْدُو . وقيل :
الإِهَابَةُ دَعَاءُ الْإِبِلِ لِلشَّرْبِ . وَالْقُرْصُ : رَغِيفٌ صَغِيرٌ سُمِّيَ قُرْصًا ، كَأَنَّهُ قُرْصٌ مِنْ
الْمَعِينِ ، أَيْ قُطْعٌ ، وَالتَّقْرِيصُ : التَّقْطِيعُ . هَشَّ : خَفَّ فَرَحًا . وَالْعَارِفَةُ ، يَرِيدُ النِّعْمَةَ
وَهِيَ لِلرُّوْفِ . لَبَّى : أَجَابَ وَقَالَ : لَبَّيْكَ ، وَمَصْدَرُهُ تَلْبِيَةٌ وَهِيَ « تَعْلَةٌ » ، مِنْ
الْإِلْبَابِ وَهُوَ الْإِزْوَمُ ، وَلَبَّ بِالْمَكَانِ وَاللَّبَّ بِهِ : أَقَامَ ، وَأَصْلُهُ لَبَّ ثَلَاثَ بَاءَاتٍ ،
فَأَبْدَلُوا الْآخِرَةَ بِأَنَّ اسْتِفْثَالًا لِاجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ ، كَمَا قَالُوا : نَفْثَيْتُ وَتَمَطَّيْتُ ، قَالِيَاءُ
فِيهِمَا بَدَلٌ مِنْ مِثْلِ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهَا ، ثُمَّ أَتْبَعُوهُ الْإِبْدَالَ فِي الْمَصْدَرِ وَهُوَ تَلْبِيَةٌ ،
فِيَاؤُهُ بَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ : لَبَّيْكَ ، مَعْنَاهُ إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَلِزُومًا لَطَاعَتِكَ بَعْدَ لُزُومِ .
رُغْفَانٌ : جَمْعُ رَغِيفٍ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْخَيْرِ ، فَكَأَنَّ الْخَيْرَ دَعَاءُ فَأَجَابَهُ .
زَعَامُهُ : مَقْوَدُهُ . إِمْلَمُهُ : هَادِيهِ . الْأَتَافِي : حِجَارَةُ الْقَدَرِ ، وَهِيَ ثَلَاثُ ، وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْأَتَافِي - يَعْنُونَ بِهَا الْجِبِلَّ ، لِأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ حَجَرَيْنِ

ويلصقونها بالجليل ، فيقوم الجليل مقام الحجر الثالث ، واحداثها أَثْنِيَّةً بالتشديد - وقد تُخَفَّفُ ، وقد أَثْنَيْت القدر وأَثَقْتُها وَثَقَيْتُها ، وتسمى العرب أَثاقَ الحديد النَّصَب . الرقيب: الحافظ ، يريد الله تعالى . استجلس وَكُنَيْتِ ، أى دخل بيتي ، وجلس على حائسه ، وهو ما يُسَطُّ تحت بسطه ؛ فيها الأرض ، وفلان جلس بيته ، أى لازم التعمود فيه ، وفي الحديث : « كن في الفتنة جلس بيتك » ، أى لا تدخل فيها ، والجلس : كساء بلى ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فُسُبُهُ الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالجلس ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى من أصحابها المافرين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافي : المجيدون في نظم الشعر ، والوكنة: الثقبه في الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى للوضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه للبيت ، وهى الوَكْنُ ، ووَكْنُ الطائرُ وَكْنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه ، فازم وَكْنَتَهُ . عَجَّالَةٌ مُكْنَتِي : ما تعجَّل وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع ، وحجزت الشيء : حَزَرْتَه ومنعته ، وحجزت بين الشئين حجزاً ، فأنا حاجر ، إذا جعلت بينهما حائلاً ، وللفعول محجوز ، ومنه الحِجَاز ؛ لأنها أرض حجزت بين نجد والسرّة . كريمته : عينية ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد أذهب الله كريمته إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا : وما كريمته ؟ قال : عيناه . رَأَرَأُ : قلبهما وأدارهما إدارة كثيرة . وتوهمات : كريمته ، وقوله : « مسح كريمته » ، يريد أنه حكَّهما بكفِّه ، فانتفض عنهما ما كان ألصقهما به ، حتى التحا . وقيل : رَأَرَأُ : أدار العين وحدد نظرها . وتوهمات : عيناه ، وفي التريب للمصنّف : رَأَرَأَتِ المرأةُ بعينها ولأثأت ، إذا برقت عينها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكرم نجارها تُرَأِرِي بالعنين للرجل الحليل^(١)
الحليل : الداهية . الفرقدان : نجان مُتيران في بنات نعش . ابتهج : فرحت .

(١) السان - جبل ، وروايته : « فيا عجبا للعود تدى قناعها » .

سِيرَه : عاداته . يُدْفِنِي قرار : يجبني سكون وطمأنينة . التَّعَامَى : استعمال القمى .
العامى : الطريق المجهولة ، وقيل : القفار البعيدة التى تعمى فيها الآثار فلا يهتدى
فيها . المواى : القفار ، واحدها مَوَامَة . إِيثَالِك : إبعادك ومبالغة دخولك .
المرامى : المقاصد والبلاد التى ترميه إلى بلاد أُخْرَى ؛ يقول : سألت ما الذى
دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى الشقات وجُوب البلاد
البعيدة ، فلم تجدْ لنفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

* * *

فَتَظَاهَرَ بِاللَّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَا زَ
إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهَوَى بِوَالْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْعَائِهِ وَهَ قَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ لِي أَخُو عَمَى وَلَا غَرَّرَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُو وَالِدِهِ
ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْذَعِ فَانْتَنِي بِفَسُولِ يَرْوُقِ الطَّرْفِ ،
وَيُنْقَى الْكَفِّ ، وَيُنْعَمُ الْبَشَرَةِ ، وَيُصْطَرَّ النَّكْهَةِ ، وَيَشْدُ الْآثَةِ ،
وَيَقْوَى الْمَعْدَةِ ، وَيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ ، أَرِيحَ الْعَرَفِ ، نَقِ
الدَّقِّ ، نَاعِمِ السَّحْقِ ، بِحَسْبِهِ اللَّامِسُ ذُرُورًا ، وَيَحَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا ،
وَأَقْرُنْ بِمِخْلَافَةِ نَفْيَةِ الْأَصْلِ ، بِمَحَبَّةِ الْوَصْلِ ، أُنِيقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَحَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ الْعَضْبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
وَلَدُونَةُ الْمُضْنِ الرَّطْبِ .

° ° °

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد لنا امتلاؤه بالطعام .

لم يفسر ح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان الأكنة أعانته على ذلك . اللهنة : الطعام المعجل للصيف قبل الشتاء ، وكل ما تمجّله قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهنت الضيف : علته بذلك . قضى وطّره : أتم حاجته من الأكل ، والوطر : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدّده . الورى : الخلق . آحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتصديق . لا غرو : لا عجب . يحذو حذوه : أى يفعل مثله .

[ذكر المعنى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التماهى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . وما يعزى للحضرى^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عمت قتل كلاً
سواد العين زار سواد قلبى
فإني اليوم أبصر من بصير
ليجتمعا على فهم الأمور
أخذته من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته
عمت جنيناً والذكاء من العمى
وجدك أهدى من بصير وأحولاً^(٢)
ففت عجب الظنّ للعلم معيّلاً
وفاض ضياء العين للقلب فاعتدى
وشمر كنوز الرّوض لا تمت بينه
بقول إذا ما أحنن الشفر أسهلاً
وقال بشار :

قالوا العمى منظر قبيح
تأثقه ما فى البلاد شئ
فت بفقدى لكم يهون^(٣)
تأسى على فقد العمى

(١) الحضرى ، بضم الحاء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل الحضر أو يحميا : على ابن عبد الله القيروانى ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة إبراهيم بن عليّ الحضرى ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيان فى نكت المبيان ٧٦ .
(٢) الأبيات عمداً الأولى فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت المبيان ٧٥ .
(٣) نكت المبيان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل : ما أشد ما عليك في
ذهاب بصرك؟ قال : ما حرمتُه يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس
على جالك .

وعما يُستملح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ،
فخاضى عورٌ هذا عورَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروّسٍ بانصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصير^(١)
فإذا انضمّ ابن كروّسٍ إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
ويننّا أبدأ أعمى نؤلّفه قد يخلق الله عيانا من العور
وقال آخر :

ألم ترني وعمرأ حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يُمَيّ يديه وفيما يننّا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شئنا
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفّي
فأما قول جميل^(٢) اليشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من ينامه إنا شاء مرّة وإن شاء من يسراه ما كان راقدا
تقدفرت دون الثور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت نابا يفلق الصخر باردًا

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه : « يخاطب ابن كروّس الأعور وكان يناديه » .

(٢) كنز في الأصول ، ولله تصحيف من « النخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر العور على معنى الاستمارة كما قال حميد
ابن ثور :

بنامٌ بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى للنايا فهو يقطان نائم^(١)
وقال ابن المذلل :

أشهى في القلة القبلا لا كثيراً يشبه الحولاً
واحرار الخلد من خجلي إننى أستحسن الخجلاً
وقال آخر :

وأحول ذى حرَّكه يملأ بيتى برَّكه

يريد أنه يرى من الشئائين ، كما قال الآخر :

قد جعلت أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين تما بورك البصرُ
لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٢) عن الحول فأحسن ، حيث يقول
حميد إلهى إذ بُليت بحبها وبي حَوْلٌ يَفْنى عن النَّظَرِ الشَّرِّ
نظرتُ إليها والرقيبُ يظننى نظرتُ إليه ، فاسترحت من العُذْرِ
فجَولُهُ رفع عنه قُلْ مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال :

ولما التقينا والعيونُ نواظرةً وليس لنا رُسلٌ سوى الطَّرفِ للطَّرفِ

(١) البيت لحيد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقطان هاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره الباهي

تدريب السَّيِّد ٤٠ - ٤٢ .

تَهَزَّتْ فِي خَدَّيْكَ مِنْ نَظَرِ خَفِيٍّ وَمَا زِلْتَ أُخْفِي الْوَدَّ ضَمْعًا عَلَى ضَعْفِيٍّ
فَإِنْ غَفَلَ الْوَاشُونَ فَزَتْ بِنَظَرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى كَفِيٍّ
فَذَلِكَ حِدَّةُ اللَّهِ عَلَى الْحَوْلِ .

وَقَالَ النَّاشِي فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَحْسَنُ :

بِنَقْلَانِ اللَّفْظِ مِنْ جَنْبَيْهِمَا فَكَأَنَّمَا يَنْسَاسُ خَانَ كِتَابًا
وَإِذَا سَهَتْ عَيْنُ الرَّقِيبِ تَحَالَسَتْ كَقَامَا خَلَسَ السَّلَامُ سِلَابًا

وَلِلْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، أَنْشَدَنَا بَعْضُ أَشْيَاخِنَا الْبَيْتَ الثَّانِي
وَالْأَخِيرَ مِنَ الْقِطْعَةِ الثَّالِيَةِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَحْمِرُّنَا بِهَا عَلَى الطَّلَبِ ، وَيَسْلِينَا
عَنِ الْغَرَبَةِ :

وَمَحْجُوبِيَّةٌ فِي الْخِذْرِ عَنْ كُلِّ نَاطِلٍ وَلَوْ بَرَزَتْ بِاللَّيْلِ مَاضِلٌ مِنْ يَسْرِيٍّ
أَقُولُ لَهَا وَالِدَمْعُ يَنْلُبُ صَبْرَهَا أَعْدَى لِقَدَى مَا اسْتَطَعَتْ مِنَ الصَّبْرِ
سَأَفِيقُ رَيْعَانَ الشَّبِيبَةِ آتِفًا عَلَى طَلَبِ الْقَلِيلِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الْحَرَمَانِ أَنْ لِيَالِيًا تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتَحْسَبُ مِنْ عُمرِي !

وَلَمْ يَنْشِدْنَا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ وَلَا الْأَوْسَطَ ، وَهَذَا مِنَ الْقِطْعَةِ .

وَأَمَّا كَلَامُ الْحَرِيرِيِّ الَّذِي فَرَعْنَا مِنْ شَرْحِهِ ؛ فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ مَقَامَةِ الْبَدِيعِ ^(١) ،
يَقُولُ عَلَى لِسَانِ عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ : « ثُمَّ فَارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُتَعَامِلٌ لِسُرْعَةٍ
مَا عَرَفَ الدِّينَارَ . فَلَمَّا نَظَلْمُنَا حُلُوةً ، مَدَدَتْ يَمَنَّا إِلَى يَسْرِيٍّ عَضْدِيهِ ، قَالَتْ :
وَاللَّهِ لَتَرَبِّئِي سَرَكًا ، أَوْ لَأَهْتَكُنَّ ^(٢) سِرَّتَكَ ، فَفَتَحَ عَنْ تَوَعُّمَتِي ^(٣) ، وَحَدَرَ لثَامَهُ
عَنْ وَجْهِهِ ، فَلَمَّا وَالَّهُ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، قَالَتْ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ ؟ قَالَ :

(١) الْمَقَامَاتُ ٩٣ .

(٢) الْمَقَامَاتُ : « لَا كَفْنَ » .

(٣) الْمَقَامَاتُ : « تَوَعُّمَتِي لَوْزَةً » .

أنا أبو قلمون في كل لون أكون
 اختر من الكسب دوناً فلن دهرك دون
 زج الزمان بحسبي إن الزمان زبون
 لا تكذب بعقل ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريى على العى فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائق في
 النظم ، وهو على انطباعه في القصد إذا أتى بالبيتين أتى بالمعجب ، وهو في ذلك
 كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزجيه قتل .



قوله : « الخدع » ، هويت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخزانة في جانب
 البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعاً : أخفاه ، فمن ضم
 ميم « مخدع » فهو من « أخدع » ، ومن فتح فهو من « خدع » ، وخدع الصب
 في جحره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . الذئول : الأشنان ، وهو التناوة ،
 ويقال أيضاً : الناسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول .
 يرؤق : يعجب . والطرف : المين . ينقئ : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
 والنسكة : راحة القم ، ونكته الرجل أنيكه وأنكته . والفتح أقل -
 واستهكته ، كله شمته فاه ، قال الشاعر :

نكمتُ مجالداً فشمتُ منه كريح الكلب مائ حديثَ عهدٍ
 واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الطرف : هني الوعاء . أريج العرف :
 عطر الرأحة ، والأرج : فوح الطيب وأرج المسك : فاح . فتى الدق : طرى الكسر .
 ناعم : حسن ، قد بولغ في سحته ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
 الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو
 (١) البان — نكه ، وفيه : « فوجئت منه » .

المعروف بالذريعة ، والذرور أيضاً: غبار يُذَرّ في العين، وكلّه مأخوذ من الذرّ ، وهو التفرق ، لأن أجزاءه تفرقت عند سحّقه ، وفعله ذرّ ، وأصله ذرّز - والكافور مأخوذ من الكفر ، وهو التغطية ، فشدّة قوّته وحده يستر رائحة غيره من الطيب . واللّامس : الذي يمسّه بيده . الخلالة : عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان . أنيقة الشكل ، معجبة الهيئة ، وشكل الشيء : هيئته التي هو عليها . ومدعاة : داعية ، والماء للمبالغة . تحافة الصبّ : رقة العاشق . والمضب : السيف القاطع . آلة : عدّة وأداة ، يريد أنها عدّة مصقولة مثل آلة الحرب . ويروى : « آلة » بالتشديد ، وهي الحربة . لدونة : لين . تحافة الصبّ : ليس هو تشبيهاً حقيقياً ، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق تحافته ، ومن المضب صفاته ، ومن العصف لدونته ، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً ، وكان من التشبيه للقلوب ، وكلاهما بديع في بابه .

والخلالة التي ذكر ، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف ، وتطلع له رموس ، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رفاق ، فيمسك الرجل منها فيجبه رأساً ، فتى أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلّ به ، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج ، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق ، وإلا فصته التي وصفت موجودة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة .

وجاء في الحديث النّهى عن التخلّل بعود الآس والزمان والقصب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نقوا أفواهكم بالخللال فإنها مسكن للمكين للكاتبين الحافظين ، وإن قلّهما اللسان ، ومدادهما الرقيق ، وليس عليهما شيء أشدّ من فضول الطعام » .

أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم : « حبنا التخلّلون في الوضوء والطعام » . أبو هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من أكل فليتخلّل ، فمات تخلّل فليقتل ، ومالك بلسانه فليقتل » .

[استطرذ بذكر أثمار في التشبيه راحة]

والخِلَالَة إذا بلغت من رقبتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية التحول ، هو الذى يشبه بها ، كما قال فى التاسعة فى وصف الصبي المزبل من الجوع : «ولى منه سُلالة ، كأنها خِلَالَة » ، وأخذه من قول ديك الجن :

ارحِمَ اليوم ذلتى وخُضُوعِى فلقد صرت ناحلاً كالخِلَالِ

وقال أبو الطيّب :

رُوحٌ تَرَدَّدَ فى مثل الخِلَالِ إذا أطارت الريح عنه التوب لم يَبِين^(١)

فذكر أن ثوبه على بدنٍ لم يتبين للناظر . والتشبيه القلوب عندهم شئ . مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :

ورملي كأوراكِ العذارى قطعته وقد جَلَّتْهُ المظلماتُ الحَنَادِسُ^(٢)

فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبه الأعجاز بكثبان الرمل ، كما قال الآخر :

* مثل قضيبٍ تحته كُثيبٌ *

وكما قال الآخر :

ويبيضُ نصيراتِ الوجوه كأنسا تازَّرن دون الأزرِ رملاتِ عاجِ

وأخذه حبيب ، وجوّد الصنعة حيث قال :

كم أحرزت قُضْبَ المندى مصلنةً تهتز من قُضْبٍ تهتز من كُثْبٍ^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله : « من قُضِبَ تَهْتَزَّ » : « أحرزت » يلج^(١) لك بديع صنعتها بسرعة ، فإنه أراد : كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُصْلِتَتْ من أعمادها ، وهزّت . من قُضِبَ ، أى قدود نساء . تَهْتَزَّ من كُشِبَ ، أى أكفال شبه أكفاس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحتري :

أين النزال المستعير من النَّقَا كَفَلًا ومن نَوَّرِ الأَقاحي مِيسَا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة المُرْفُ والعادة ؛ فشبه كُشِبَانِ النَّقَا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره .

حدث جحظة قال : حدثني خالد الكاتب ، قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهدي ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجسني وقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رَأْتُ مِنْهُ عَيْنِي مَنْظَرَيْنِ كَمَا رَأْتُ مِنْ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ عَلَى الْأَرْضِ
عَشِيَّةً حَيَّانِي بَوْرِدٍ كَأَنَّهُ خَدُودُ أَضِيضٍ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
وَنَازَعْنِي كَأَسَا كَانَ حَبَابُهَا دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلَّتِي غَضِي
وَرَاحَ وَفَعَلَ الرِّيحُ فِي حَرَكَاتِهِ كَفِعَلِ نَسِيمِ الرِّيحِ فِي الْفُصْنِ الْفَضِّ

فزحف حتى صار فى ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ! فردنى ، فأنشدته :

عَاتِبْتُ نَفْسِي فِي هَوَا كَ فَلَمْ أَجِدْهَا تَقْبِلُ^(٣)
وَأَطَعْتُ دَاعِيَهَا إِلَيْهِ لَمْ يَلَمْ أَطِيعْ مَنْ يَعْدِلُ
لَا وَالَّذِي جَمَلَ الْوَجُو لِحَسَنِ وَجْهِكَ تَمْلُ
لَا قَلْتُ إِنْ الصَّبْرَ عَنَّا لِمَنْ التَّصَابِي أَجْمَلُ

(١) كُفَا في أ ، ب ، وى ط : « يلج » .

(٢) ديوانه ١٩٠٨

(٣) الأغاني ٢١ : ٢١

فرحف حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عش فعُتِيكَ سَرِيحاً قَاتِلِي وَالصَّبِيَّ إِن لَّمْ تَعْلَمِي وَاصِلِي
فَأَنَا بَيْنَ اكْتَابٍ وَصَنِي تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ
فَبِكِي الْعَاذِلِ لِي مِنْ رَحْمَةٍ فَبَكَانِي لِبُكَاءِ الْعَاذِلِ

فاستخفَّ طرباً ، ثم قال : بإبليق^(١) ، كم ملك لتفتتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سُبِّحَ إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيديين يديه طبق ورد ، وعنده جارية مليحة شاعرة أدبية ، قد أهديت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبه به ، فأنشأت أقول :

كَأَنَّهُ خَدٌّ مَحْشُوقٍ يَبْتَلُهُ فَمُ الْحَبِيبِ وَقَدْ أَبْقَى بِهِ خَجَلًا

وقالت الجارية :

كَأَنَّهُ لَوْنٌ خَدِّي حِينَ تَدْفَعُنِي كَفُّ الرَّشِيدِ لِأَمْرِ يَوْجِبُ الْفَسْلَا

قال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه اللاجنة قد هيَّجتنا ، صمت وأرخيت السور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

وَرِيَاضٍ مِنَ الشَّقَائِقِ أَنْصَحَتْ تَهَادَى بِهَا نَسِيمُ الرِّيحِ^(٢)
زَرْتَهَا وَالنَّامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتٍ تَرُوقُ لَوْنُ الرِّيحِ
قُلْتُ : مَا ذُنْبُهَا ؟ قَالَ مُجِيباً : سَرَقَتْ مُحَرَّةَ الْخُلُودِ لِللَّاحِ

(١) الأغاني : « بإرعيني » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، الغرب ٣٢٤ .

وقال البحتري :

في طلعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تنهاتها^(١)
وقال ابن المعتز :

سقتني في ليل شبیه شعرها شبیه خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين : في الشعر والدحي وشمسين : من خر وخذ حبيب
وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة التحول الذي ذكرنا ، فأقول : إذا
صار جسم العاشق من التحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلي الحب فلو زج بي في مقلّة النائم لم ينتبه
قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تمنعت به
وبمثل قول أبي بكر بن دريد :

إن الذي أقيمت من جسمه ياتلف الصب ولم يشعر^(٢)
صباية لو أنها قطرة تجول في جنك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نخافته أكبر من جسم الصب بأضعاف ، فينقلب
التشبيه ، وكذلك إذا بولغ في وصف الأفعال بالمعظم صمرت عندها الكتبان ،
فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة ، قال : هذا باب من غلبة الأصول
على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من الرية حسان تشبه
الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « في حرة الورد عكس من عليها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) الخصائص ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

والمعتدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول الجنون:
فأصبحتُ من ليلى الغداة كناظِرٍ - مع الصَّبح في أعقاب نجم مغربٍ^(١)
ألا إنما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صدَى أبنا تذهب به الريح يذهب
أخذه للوَمَل قال :

قد صرتُ من ضغنى إلى حالَةٍ تجرى لها آماقُ حُسَّادِي
يكاد جسى من نحول الضغنى تحمله أنفاسُ عُوَادِي
وزاد خاله الكاتب، فجعله لا يدرك إلا بالوهم، قال :
يا من تجاهلَ عما كان يعملُه عداءً وباحَ بسرٍّ كان يكتمُه
غداً خليلك نضواً لآحراكٍ به لم يبق من جسمه إلا توهمُه
فزاد ابن المعتز، وجعله يخفى على الموت، قال :

مُسَهَّدٌ خانَه التفريق في أَمَلِه أضناه سَيِّدُه ظلاماً بِمَرْمَلِه^(٢)
فندقَ حتى لو أن الدهر قَادَ له حَتّاً لما أبهرته مقلتا أَجَلِه
فأعدهم للنبي واستريح منه، قال :

أراكِ حَسِبْتَ السَّكَّ جَسِي فَفَقَنِي عليك بِدُرٍّ عَن لِقَاءِ التَّرَائِبِ^(٣)
ولو قَلَمَ أَلْقَيْتُ في شَقِّ رَأْسِهِ من السَّقم ما عَيَّرْتُ من خَطِّ كَاتِبِ

• • •

قال : فَهَضَنْتُ فِيهَا أَمْرَ، لِأَذْرَأَ عَنْهُ الْعَمَرَ، وَلَمْ أَمِ إِلَى أَنَّهُ

(١) البجانب في حاشية ابن الجبري ١٥٦ ينسبها إلى محمد بن النعمان .
(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السك : المحيط . والترائب : عمل القلادة من الصدر .

نَقَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بِإِذْنِ الْمَخْدَعِ ، وَلَا تَطْنَيْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَآئِلَةِ وَالنَّفْسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ ، وَجَدْتُ
الْجَوْ قَدْ خَلَا ، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا ، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا ، وَأَوْغَلْتُ فِي إِرْمِهِ طَلَبًا ، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

• • •

قوله : «أدرا» ، أى أزيل . القمر : الودك . أيم : أعلن ، ويذهب وهمي .
تظنيت : حبت ، وأبدل إحدى نوني «ظن» بـ «ي» تحقيقاً للتضعيف . سخر : هزأ .
الملتمس : المطلوب . الجوّ هنا : داخل البيت . أجفلا : هربا وأسرعاً . قوله :
« استشطت » : اشتد غضبي . مكره : خداعه . أوغلت : بالفت وباعدت .
قُيسَ : غس . عُرِجَ به : طلع به . عنان بفتح العين : سحاب ، والعتانة :
السحابة ، وأعتت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهي المعصرة

[معرة النعمان]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطلق عليها ، والمعصرة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْر سَمعان ، فيه قبر عمر بن عبد العزيز ، وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيل في كل عام ، وإلى المعصرة ينسب الشاعر المعري . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنصرين يريد حصص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعصرة ، وهي سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع النواكح ، وتصل التفاف بساكنيها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقاً ، ووراءها جبل لبنان ، وهو ساعى الارتفاع ، تمتد الطول ، متصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مَرَقَتْ من الإسلام ، وادَّعت الإلهية^(١) ، قُبِضَ لهم شيطان يعرف بسنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسعّهم بمُعاملها ، فاتخذوه إلهاً يبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردّي من شاهق جبل ، فيتردّي للأمور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن همام قال : رأيتُ من أعاجيب الزَّمانِ ، أن

(١) يسمعون ابن جبير « في أحد الأيام » .

(٢) يسمعون ابن جبير « واستحل أمره » .

(٣) راجع ابن جبير ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرِةِ الثُّمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأُطْيَانُ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

• • •

قوله : « الأُطْيَان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشيع مسن ، وقيل :
الأطيان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .

أبو هريرة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الأُطْيَانُ التمر واللبن » .
وسئل شيخ مسن من العرب عن حله ، قال : ذهب منى الأُطْيَان :
السَّيْر والأُيْر ، ويقى الأُرْطْبَان : الضراط والسعال .
والبان : شجر تشبه بقضبان القود الناعمة .

• • •

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّدَ بِهِ لِلتَّقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي تَمْلُوكُهُ رَشِيقَةُ الْقَدِّ ، أَسِيلَةُ الْخُلْدِ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
تَحْبُ أَحْيَانًا كَالثَّهْدِ ، وَتَرْقُدُ أَلْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلٍ وَعَيْنٍ ، وَغَدَّ وَسَيْنٍ ، وَكَفَّ يَتَانٍ ، وَفَمٍ
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْاضٍ ، وَتَرْقُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْضَاضٍ ،
وَتُحْطِي فِي سَوَادٍ وَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاضٍ ، نَاصِعةٌ
خُدعةٌ ، حُبَاءُ طُلْعَةٍ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنَفَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضُّيْقِ
وَالسَّهَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَمَلَّتْ ، وَمَتَى فَصَلَّتْهَا عَنْكَ أَنْفَصَلَتْ ، وَطَالَمَا
خَدَمْتِكَ فَجَبَلَتْ ، وَرُبَّمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَأَلَمْتَ وَمَلَمْتَ ، وَإِنْ هَذَا

الْفَقَى اسْتَعْدَمْنِيَا لِنَرَضٍ ، فَأَخَذْتُهُ إِيَّاهَا بِلَا عِيَوضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْتَنِيَ نَفْعَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوَّلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأَطَالَ
بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَذَلَ عَنْهَا قِيمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

• • •

المتقاضى ، أى المتحاكم إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه ؛
وهذا النرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبنة ومزود . مملوكة ، أى الإبنة جعلها مملوكة
لأنها مما يقتبى . رشيقه القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خذ الإبنة : شق فيه
قبها ، وأصل الخذ شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسة مع طول .

صبور على الكد ، أى صابرة على المشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -
يتمتع من إلحاق الهاء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّ امْرُؤٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةُ مَاجِدٌ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :
شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «فعول» إذا كانت
بمعنى «مفعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع
الهاء من «فعول» بمعنى «فاعل» للمؤنث عملاً ، أجودها أن الصفات الموضوعة
للبيانة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقطت الهاء من صبور
وفناء مطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة الذكور فى رجل علامة ونسابة ، ليدل
على تحقيق للبيانة ، وتؤخذ بحدوث معنى زائد فى الصفة - وامتناع الهاء المذكورة

(١) قال فى درة النورس : «لأنها بمعنى مركوبة وحلوبة» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] ^(١) : عدوة، فإنهم أحقره بصديقه، والشئ في أصول العربية [قد] يحتمل على ضده وقضيه، كما يحتمل على نظيره ورسيه ^(٢).
تَخُبْ : ثَب في الثوب بسرعة . التَّهْد : الفرس الضخم . أطواراً : أحياناً، ومهداها : مثير الخاطئ الذي تمسك به إبرته . تَمُوز : أحد الشهور، وهو يولييه .
والبرد : أن يبردها الحداد بالبرد ليَقُومها ويمدّها ، فالبرد هنا فِعل صانعها . قال ابن خَلَفَر : ذهب بالبرد إلى ما طُبع عليه الحديد من البرد في القبط . قوله : « ذات عقل وعنان » ، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة ، والعقل شدّها بالعيط حين تمسك في الثوب . سنان : طرفها المسنون ، أي الحداد . كَفَّ بينان : الكفّ والتضريب شيان معروفان في الخياطة ، فيريد أن الخاط يطبق التضرّيب بأصابعه وهي البنان ويكفّه بالإبرة . فم ، يريد تهب الإبرة . تلدغ : تضرب الإصبع . واللسان النضاض للحية ، والنَضْنَة ، قيل : هي صوت الحية ، وقيل : حركة لسانها ، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضُتِق عليها فجت فاها وصفرت وحركت لسانها ، فيقال : نضنضت ، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب ؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور الصّراج :

وقنديل كأن الثور منه محيا من أحب إذا تجلّى

أشار على الدجى بلسان أفتى فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلي في شمة :

يطعن صدر الدجى بعالية صنوبري لسان كوكبها

كحسية باللسان لاحية ما أدركت من سواد غيبتها

وللبيتين الأولين حكاية مستطرفة ، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين : لشهرتها ، ولأنني وجدت البيتين منبتين في بعض النسخ من

القلائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار لفائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكيّ الهجاء ، دخل عليه في ليلة ماطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دوابـة - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعنى البكيّ بقية من سلّامة^(١) خلّقة ، لا يواريه غيرُها ، وعلى الثاني بقية من قبص قد اسودّ من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائيته من أيّ ثوب هو ؛ وقد بلل كل واحدٍ منهما المطر . وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرّق لهما خادم الفندق ، فدخل عليهما بتعديل ، ف عندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأمّى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . قال البكيّ لجليسه : أيّ شيء أنت ؟ قال : شاعر ، وشوّم الأدب بلغ بي ما ترى ، قال : فأجِزْ ، قال :
 • وقدنديل كانّ الثور منه •

قال الآخر :

• محيّا من أحبّ إذا تجلّى •

قال البكيّ :

• أشار على الدجى بلسانٍ أفسى •

قال الآخر :

• فشتر ذيله فرقا ووّلّى •

قال له البكيّ - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ قال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكيّ ، فجلا بتناظران بقية ليلتهما في أيّهما أكثر حرماناً ، حتى أصبعا وكانا يتلسان . قال عنق البرة للبكيّ : هلمّ لنفترع ؛ أيّنا يقيم هنا ، وأيّنا يرتحل ؟ فإنّا إن بقينا في موضع واحد ، أدرك الناس من شوّمتنا ما يؤدّي بهم إلى الهلاك ، فافترعا فخرجت قروعة البكيّ بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فخلّ بأهلها من بلائه ما قد شُهر .

(١) كذا في الأصول ، ولم ألق على معناها .

قوله : « ترفل في ذبل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحداد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في اللاء لتصلب . ناصحة : خائلة ، والنصاح : الخياط ، ونصعت الثوب : خطته . خُدعة : تمخّذ الخناط كثيراً ، فتخيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والماء في هذه الصفات للبالغة . حُبأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تحتجب في الثوب ، ثم تطلع في يد الخايط . مطبوعة ، أى مصنوعة ليفتنع بها . مطواعة في الضيق والدة ؛ يد إذا دفنتها في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصاتها عنك : نحييتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرقتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك . جمّلت : ألفت قطع الثوب . جنت عليك فألمت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم . مللت ، أى جعلتك متعباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . القرض : الحاجة ، وأصل القرض ما قصدته سهام الراى ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قصدت بالرغبة فيها . وسُمها : طاقتها وقدر ما تحمل مما تكلف . أوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عيناها ، وفي المرأة خلط مسلكنها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى متاعه ، ومنه القوم فوضى ، أى متعمون مختلطون . بذل : أعطى .

فَمَالَ الْحَدَثُ : أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ
فَفَرَطَ عَنْ خَطَا ، وَقَدْ رَهْنَتْهُ ، عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي
مُتَنَاسِبِ الطَّرَفَيْنِ ، مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، تَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ،
مِقَارِنُ سَحْلُهُ سَوَادِ الْعَيْنِ . مَيْفَشِي الْإِحْسَانِ ، وَيُنْفِشِي الْإِسْتِحْسَانَ ،

وَيُفِذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُوءَ جَادَ ، أَوْ وَهَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُرُّودَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بِمَفْنَى ،
 وَقَلَمًا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْغُرُ بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَتُسْتَمِعُ بِزِينَتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعُ فِي لِينَتِهِ .

[القَطَا]

الْقَطَا : طائر يصيح « قَطَا قَطَا » فسُمِّيَ بصياحه ، وبما يُفهم من صوته ، ولذلك
 سُمِّيَ العرب الصَّدُوقَ ، ويقال : أنسب من قطاة ، لأنها إذا صاحت عرفت ،
 وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت بإصدقها حين تدعوها فتنسب
 حمراء مقبلة سَكَّاه مدبرة للماء في البحر منها نَوَاطة عَجَبُ

وقال الكيت :

لَا تَكْذِبِ الْقَوْلَ إِنْ قَالَتْ قَطَا صَدَقْتُ إِذْ كُلَّ ذِي نَسَبٍ لَا بُدَّ يَنْتَحِلُ^(١)
 وقال أبو وجزة :

ما زلن ينسبن وهنَّا كلَّ صادقة باتت تبائر عُرْمًا غير أزواج^(٢)

(١) الميوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الميوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « ومن ينسبن » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الحبر وَرَدَتِ الماء ليلاً ، فأتارت القطا عن أفاحيصه ، فصاحت : «قطا
قطا» ؛ فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا . والغُرْم بيضها ، لأن فيه سواداً
وبياضاً ، وبيّض القطا أفراد ثلاثة أو خمسة ، قال مزاحم القليل من القطا وفراخها :
فلما دَعَتْهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمَثَلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَدَّلْ^(١)
وقال المرعى :

عُرِفْتُ جُدُودَكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَلَمًا لَفْظَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنِ أُنْسَابِهَا^(٢)
وقال الأسمى : القطا لا تصيح إلا إذا أرادت الماء ، فإذا عدم الماء ، وسمعت
العرب صياح القطا ، فرحوا به وعرفوا قُرْبَ الماء من بعده .
وقيل : سُمِّيَ الْقَطَا لِنَقْلِ مَشْيِهِ ، يقال : قَطَا الرَّجُلُ يَقْطُو ، إِذَا قَلَّ مَشْيُهُ .



قوله : «فرط» أى سبق . عن خطأ ، أى عن غير تعمّد . رهنته : أعطيته .
رهنًا ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهنه . والأرض : قيمة العيب ، أى دية الجرح ،
مأخوذ من أَرَشَ بَيْنَ الْقَوْمِ لِأَنَّ الْأَرْضَ يُخْتَصِمُ فِي قَلْبِهِ . أوْهَنْتَ : أفسدته ،
ووهن الشيء بَوَهْنٍ وَهْنٍ : ضَعُفَ ، وَأَوْهَنْتُهُ أَنَا ، إِذَا أَضْعَفْتُهُ . مملوكًا ، يعنى
للرود . متناسب الطرفين ، أى هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيّهما .
سُنْتُ . الْقَيْنَ : الْحَدَّادُ الَّذِي صَنَعَهُ . الدَّرَنَ : وَسَخَ الْحَدِيدِ ، وَالشَّيْنُ : الْعَيْبُ ،
أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن بمحله سواد العين ،
أى عند التكتحل به . يَنْشَى : يَحْدِثُ وَيُظْهِرُ . وَإِحْسَانُ الْكَعْجَلِ فِي الْعَيْنِ
لَا يَنْحَى . يَنْشَى : اسْتَحْسَنَ ، أَى يَنْشَى لَنَاظِرِ الْعَيْنِ اسْتَحْسَانَ الْكَعْجَلِ فِي الْعَيْنِ

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الزوميات .

والإنسان : إنسان العَيْن يَنْذِيهِ بالكُحْل ، والإنسان : السَّوَاد الذى فى وسط العين ، إِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ فِيهِ شَخْصًا ، والشَّخْصُ هُوَ الْإِنْسَانُ ، فَسُمِّيَ السَّوَادِيهِ .
يَتَعَامَى : يَبْعِدُنْهُ ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَكْجَلُ الْعَيْنَ وَلَا يَقْرُبُ مِنَ الْقَم . قوله : « سَوْد » ،
أى جَلَّ فِيهِ الْكُحْل . جَاد : أَعْطَاهُ الْعَيْن . وَسَمَّ الْعَيْنَ بِالْكَحْلِ : أَجَادَ عَمَلَهُ
فِيهَا . قَلَّمَا يَنْكَحُ الْإِمَاثَى ، أَى يَنْكَحُ عَيْنًا وَاحِدَةً فِي الْغَالِب . وَقَدْ نَظَمَ هَذَا
النَّثَرُ فِي الثَّانِيَةِ وَالْأَرْبَعِينَ .

جوده ، أَى يَجُودُ بِكُحْلِهِ لِلْعَيْن . وَيُسَمَّى : يَطْلُعُ الْعَيْن ، وَجَمَلَ لَهُ الْكَحْلُ
غِذَاءً بِأَخْذٍ وَيَرْتَفِعُ بِهِ لِلْغَيْر . قَرِيْبَتُهُ : مُكْحَلَتُهُ . مِنْ طَلِيْنَتِهِ : مِنْ جَنْبِهِ .
زَيْنَتُهُ : تَزْيِينُهُ لِلْعَيْن . يَطْلُعُ فِي لَيْنَتِهِ : أَى لَا يَطْلُعُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيدُ لَيْنًا . وَكَلَّ
لَفْظَةً فَسَرَّ بِهَا الرُّودَ وَالْإِبْرَةَ ، لَهَا لَفْظٌ فِي ظَاهِرِهَا غَيْرُ مَا فَسَّرْتُ بِهِ .

فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَلِمَا قَبِينَا ، فَابْتَدَرَ

الْتِفْلَامُ ، وَقَالَ :

أَعَارَنِي إِزْرَةً لِأَزْفَوْ أَطْ	مَارًا عَفَاَهَا الْبَلَى وَسَوَدَهَا
فَانْتَعَرَمْتُ فِي يَدِي عَلَى خَطَا	مِنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
خَلَمَ بَرَّ الشَّيْخِ أَنْ يُسَامِحَنِي	بَارُشِيهَا إِذْ رَأَى تَأَوَّدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ أَبْرَةً تُعَاثِلُهَا	أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَأَقَ مِيلِي رَهْمًا لَدَيْهِ وَنَا	هَيْكَةً بِهَا سُبَّةً تَزَوِّدَهَا
فَالْتَمِثْ مَرْهَمِي لِرَهْمِهِ وَيَدِي	تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفَكَّ مِرْوَدَهَا
خَاسِبُوْ بَذَا الشَّرْحِ غَوْرَ مَسْكَتِي	وَارِثٍ لِّئِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَوَّدَهَا

تبينا : تَوْضُّحًا وتفسرًا حديثكما للهيم اللغز . فبيننا : أبعدا ، أو ارتضا .
قوله : «أرفو» أى أخط ، ويروى «لأرفا» يقال : رفأت الثوب أرفؤه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدق أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق فى الثوب حتى يعود
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل فى رَفْو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتي فى غلام رقاء :

يارافيا قطع كل ثوبٍ ويارشا حبة اعتماذي
عسى يخيظ الوصال ترفو ما قطع المجر من فواذي
وقال الحلواني فى خياط :

رب خياطٍ فُتنت به فتنة أو هت قوى جلدِي
لأعبُ بالخياطِ يفتلُهُ أترأه ظنه جمدِي !
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبردِ
نعلتُ بالثوب إبرته فعل سهم الشوق فى خلدي
وجرى المقرض فى يديه جرى عينيه على كبدِي

ومن يحون أبى نواس ، أنه كان يؤكل إسماعيل بن أبى سهل ، فرضت
له حل مائدة رقاقة فى جانبها خُرق قد ضمّ ، فرفمها بإحدى يديه وقرمها بالأخرى .
فاخرجت ، وقال وهو يضحك : أخبز كم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونشى إذا ما انشق يرفا
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
إن رقاك هذا ألفت الأمة كفا
فلذا قابل بالنصف من الخبزة نصفًا

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى لِلْمُفَرَّزِ أَشَقَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ الْقُنُورِ مَا غَادَرَ حَرَقًا

والأطيار : الثياب الخَلَقَة ، واحداها طِيفَر . غناها البلى : غَيَّرَهَا التَّحْدِثُ
وَدَرَسَهَا ، وَسَوَّدَهَا بِالْأَوْسَاحِ حَتَّى صَارَتْ فِي طَبِيعِ الثُّوبِ ، فَتَى غَسَتْ لَمْ تَزَلْ .

[مِمَّا قَالَتِ الشَّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ]

وَمِمَّا قَالَتِ الشَّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْحَدُونِيِّ فِي
طَيْلِسَانَ^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطْلَتِ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلِسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا^(٢)
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْقَرْيِ ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلِسَانُ ابْنِ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْنًا قَرْنًا وَأُنَاسًا فَأُنَاسًا
لَيْسَ الْأَيَّامُ حَتَّى لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ الْحَسَنِ حَتَّى لَا يَرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قال الثعالبي في المصنف والمنسوب ٦٠٢ : كان عماد بن حرب أهدى إلى الحدوني طيلسانا خلقا ، وكان الحدوني يحفظ قول ابن حمران السلمي في طيلسان :

يَا طَيْلِسَانَ أَبَى حَمْرَانَ قَدْ بَرَمَتْ بِكَ الْحَيَاةُ فَمَا تَلْتَذُّ بِالْمُؤْمَرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَقًّا يَجِدُّهُ هِيَاهُ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهُ مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لِيَدِيرَ أَوْ لِيَجْعَتَهُ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ السَّافَرِ

وَاحْتَنَى حَذْوَهُ ، وَاشْتَكَى عَلَيْهِ الْمَأْنَى ، حَتَّى قَالَ فِي وَصْفِ الْعَيْلِيَّانِ قِرَابَةَ مَأْنَى مَقْطُوعَةٍ ،
وَلَا تَحُلُو وَاحِدَةً مِنْهُمَا مِنْ مَعْنَى بَدِيعِ

(٢) المصنف والمنسوب الثعالبي ٦٠٢ ، وفيه : « أَطْلَتِ قَرْيَ » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العائب ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبِ
أما رأيتَ الرِّفاءَ يُحزِنِي برفوه طيلسانك الذَّاهِبِ
أفناه جُورُ البليِّ عليه كما أفنى الهوى عمرَ خالدِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادلي كاسياً بطيلسان هَرِمٍ قَشَعِمِ
انظر إلى كثرة تمزيقه كأنما مُزَّقٌ في مائِمِ
رفوى له وهو رميمٌ كن بيني بناء فوق مستهدِمِ
يصدعه اللَّحْظُ بِإِعْماضِهِ صدع فؤاد العاشق للفرَمِ
يُذَكِّرُنِي كَثْرَةُ تَمْزِيقِهِ تَذَرِّقُ النَّاسَ عَنِ الْمَوْسَمِ

وقال فيه أيضاً :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صحبة الزمان وصدّاً^(١)
حلال ترداده إلى الرفو حتّى لو بشناه وحدةً كتهدّى
فَحَسِبْنَا نَجَّ العناكب قد جئنَ إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال أيضاً فيه :

ياقاتل الله ابن حرب لقد أطل إيمانِي على عَمْدِ
بطيلسان خلتُ أن البليِّ يطلبه بالوتر والحدِّ
أجد في رفوى له والبليِّ يلهو به في المزل والجدِّ

إِنْ أَتَاهُمُ الرَّافِقُ فِي رَفْوِهِ مَغْنَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي تَجْدِيدِ
غَنِيَّتِهِ لِمَا مَغْنَى رَاحِلًا : تَرَكَتْنِي يَا وَاحِدِي وَوَاحِدِي

والحدوثي هو إسماعيل بن إبراهيم حدويه ، نسب إلى جدّه ، وهو من أهل
مَيسان ، وكان حلو التصرف مليح الافتنان ، وهو القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَتَحَنَّ مِنْ نَظَارَةِ أَذَى
نَحْظُهَا مِنْ كَتَبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّهَا لَفْظُ بَلَا مَعْنَى

وقال ابن الرومي في طيلسانه :

وَلِي طَيْلَسَانٌ نَاجِلٌ غَيْرُ أَتٍّ ثَبُوتُ لَهْمَاتِ الرِّيحِ الزَّاعِجِ
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ مَتَهَتَكَ يَخْلُ سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرُ مُنَازَعِ
أَرَاهُ لُضْوَاءَ الشَّمْسِ بِالْمَعِينِ رُؤْيَةً وَيَتَمَنَّى مِنْ لَمَعِ الْأَصَابِعِ
شَكَاهُ قَلِ اسْمِ الطَّيْلَسَانِ لَضَعِفِهِ فَسَمِيَتْ سَاجَا قَهْلَ ذَلِكَ نَافِيًا !

وقال ابن سارة في فروة :

أَوْدَتْ بِذَاتِ يَدَيِ قُرْبُوءُ أَرْسَبٍ كَفَوَادِ عُرُوءٍ فِي الضَّنَا وَالرَّقَّةِ
يَجْشَمُ الرِّفَاقَ فِي تَرْقِيمِهَا بَعْدَ الشَّقَةِ فِي قَرِيبِ الشَّقَةِ
لَوْ أَنَّ مَا أَتَقَفْتُ فِي تَرْقِيمِهَا يَحْصَى زَادَ عَلَى رِمَالِ الرَّقَةِ
إِنْ قُلْتُ : « بِاسْمِ اللَّهِ » عِنْدَ لِبَاسِهَا قَرَأْتُ عَلَى « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »

وله فيها أيضاً :

لِي فُرُوءٌ وَصَنِي لُجَانَعِي بِهَا يَا تَيْكَ بَيْنَ مَقَرِّطٍ وَمُشْتَفٍ
عَطَلْتُ كَتَبَ أَبِي عَيْبِدٍ بِالنَّيِّ أَلْقَيْتُ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ مُصَنَّفٍ
يَسْلُو عَلَى الْبَرَمِ فِي تَرْقِيمِهَا سَلَوُ التَّرَامِ عَلَى فَوَادِ اللَّذَفِ

فأنا وفروى خوف تمزقي لها أحكى معاويةً بجانب الأحنفِ
وله في طليسانه :

وطليسان هَرِمٍ يُعْتَصَى عليه أكلُ الغلِّ والبقْلِ
كَأَنَّ كَفِّي إِذَا انْضَمَّتَا عليه خوفَ الرِّيحِ في غُلِّ
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابنِ عليٍّ سَمَلٌ تَقَطَّعَ لِحْظَاتُ اللَّقْلِ
إِذَا غِيَمٌ الْجَوِّ أَبْصَرَتْهُ رَهْنِ الدَّبُولِ بِكَفِّ الْبَلِّ
نِوَاطِلِسَانَ ابْنِ حَرْبٍ بِهِ وَصَارُوا بِهِ يَضْرِبُونَ الْمَثَلِ
وله في غِفَارَتِهِ (١) :

لَأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ غِفَارَةٌ كَالسَّرَابِ
إِنْ هَبَّ أَدْنَى نَسِيمٍ تَمَرَّتْ مَرَّةَ السَّحَابِ

والشعر في هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . مقودها : خيها . تأوَّدها :
انكسارها ، وأصله الاموجاج . أعتاق مَبْلَى : أحبس مِرْوَدَى . ناهيك :
كافيك ، ومعناه البالغة ، كأنه بلغ النهاية في العيب الذي فعل . سَبَّةٌ : عيب
يُسَبَّ بِهِ . مَرَقَى : خالية من السَّكَلِ ، وقدمه الرجل مرَّهاً إذا لم يتعهد
السَّكَلِ ، والمَرَقَى من النساء : البيضاء البينة الزَّرَقَى التي يَخْتَصُّ السَّكَلُ في
زَرْقِهَا . اسْبُرَ : قَسَ . غَوَّرَ : غَايَةً وَقَدَّرَ . ارْثَ : ارحم وتوجع .



(١) الغفارة ، مذكاة : زرد من الدرع يجلس تحت الخيل .

فَأَقْبَلَ الْفَاحِشِي عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيْهِ ، بِغَيْرِ تَمَوِيهِ ،

فَقَالَ :

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي الْيَوْمَ لَمْ يَرَنِي
وَلَا تَصَدِّتْ أَبْتَنِي بَدَلًا
لَكِنْ قَوْسِ الْخُطُوبِ تَرَشُّقِي
وَوَخْبِرُ حَالِي كَخْبِرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ يَنْتَنَا فَأَنَا
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكْ مِرْوَدِهِ
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
فَهَذَا قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ

ضَمُّ مِنَ النَّاسِكِينَ خِيفَ مِنِّي
مُرْتَهِنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهْنًا
مِنْ إِبْرَةٍ غَالِيًا وَلَا نَمْنَا
بِمُصَمِّيَاتٍ مِنْ هَا هُنَا وَهَنَا
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَصَنَى
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهِنًا
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَيَنْتَنَا وَلَنَا

° ° °

إِيْهِ : كَلِمَةٌ يُسْتَزَادُ بِهَا الْحَدِيثُ . وَالتَمَوِيهِ : الْكَذِبُ ، وَهُوَ فِي الْحَدِيثِ
كَالتَمْيِيةِ ، وَقَدْ مَوَّهَ عَلَيْهِ ، إِذَا خَيَّلَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى ضِدِّهِ ، وَأَصْلُ
التَمَوِيهِ الصَّفَلُ ، كَانَ عَلَى أَلْفَاظِهِ الْمَوَّهَةُ صَفَالَةً ، وَهُوَ مِنْ لَفْظِ الْمَاءِ . الْمَشْرُ :
الْمُرْدَلَةُ ، وَهُوَ جَمْعٌ ، سُمِّيَ مَشْرًا لِأَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْحِجِّ ، وَكُلَّ عِلَامَاتِ الْحِجِّ
مَشَاعِرَ ، وَالْمَشْرُ وَالنَّسْكُ : مَوْضِعُ ذَبْحِ الْهَدْيِ بِمَكَّةَ الْفَضْلِ ، سُمِّيَ مَشْرًا ، لِأَنَّهُ
شَرُّهُ أَنَّهُ حَرَامٌ كَالْبَيْتِ . النَّاسِكِينَ : الْحُجَّاجُ الَّذِينَ يُشْعِرُونَ الْهَدْيَ وَمَا يُنْجَرُ ،
أَنْسَكَ وَنَسَكَ نَسَكًا وَنَسَكًا ، إِذَا ذَبَحَ الذَّنْكَ ، وَأَصْلُهَا ذَبَاحٌ

الجاهلية ثم سُميت الأضاحي، والناسك أيضاً : الزاهد . خَيفَ : موضع يَمِي . قوله : « ساعفتي » : ساعدتني . تصدّيت : تمرّضت . غالما : أهلكتها . الخطوب : الأمور الشداد . ترشفتي : تصييني . بمصميات : بسهام قاتلة . يؤس : شدة حال . ضني : ضعف ومرض . وهو أنا ، أي هو مثلي في ضيق الحال . مجالي : موضع تصرّفي . ذات يدي : مالي ، وذات اليدا ما يملك . المعو : الغفران . جَنَى : أذنب . قصّتي : حديثي ، يقول : فانظر إلينا بعين الشفقة والرحمة ، وأصلح بيننا بما ننصرف به شاكرين لك ، وهب لنا ما نُثني به عليك ، وجعل النظر عاملا في الجميع ، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم والتكرّم عليهم .

* * *

فلما وعى القاضي قصصهما ، وتبين خصائصهما وتخصّصهما ؛ أبرزَ لهما ديناراً من تحت مصلّاه ، وقالَ لهما : اقطّما به الخصاصَ وافضلّاه . فتلقّفه الشيخُ دونَ الحديثِ ، واستخلصه على وجهِ الجِدِّ لا القَبْثِ ، وقالَ للحَدِّثِ : نصفهُ لي بسهمِ مبرّتي ، وسهمك لي عن أرضِ إبرتي ، ولستُ عن الحقِّ أميلُ ، فقم وخذِ الميلَ . فقرأ الحديثَ لما حدّثَ اكْتِئاباً ، واكفهرَ على سماعِهِ سَعَاباً ، وجَمَ لهُ القاضي ، وهيجَ أسفه على الدينارِ الماضي ؛ إلاَّ أَنَّهُ جَبَرَ بِالْأَفْقَى وبَلْبَالَهُ ، بدُرْهِماتٍ رَضَخَ بِهَا لَهُ ، وقالَ لهما : اجْتَنِبَا المَعَامِلَاتِ ، وادْرَاا المَخَاصِمَاتِ ، وَلَا تَخْضُرَانِي فِي الْمَحَاكِمَاتِ ، فَمَا عِنْدِي كَيْسُ الْعَرَامَاتِ .

فَهَمَّصًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرِحِينَ بِرِفْدِهِ ، مُفَصِّحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِيَ مَا يَحْبُو صَجَرُهُ ، مُذَبَّضٌ حَجَرُهُ ، وَلَا يَنْصَلُ كَمَدُهُ ،
مُذَرَّشَعٌ جَلَمَدُهُ .

• • •

قصعها ، أى حديثها ، وهو جمع قصّة . خصاصتها : قمرها . تخصصها :
رفعتها واختصاصها ، وقد تخصّص الرجل ، إذا اقبض عن العامة وتشبّه بالخاصة .
أبرز : أخرج . مصلّاه : بساطه الذى يصلى عليه . افصلاه : اقطعه وأزيله .
استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدّة : التحقيق . العيث : الهزل . سهم : نصيب .
ميرتى : إكراى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدّل عنه . عَرَا :
قصد ونزل به . حدث : ظهر . اكتتاب : حُزن وحم . وجَم : غضب ، والوجوم :
السكوت على غضب . هَيْج : حرّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه
ووسواسه . رضىخ : كثر العطاء . اجتنبا : باعدا . العاملات : العاوضات
والمواري . ادركا : ادفا . كيس : وعاء الدرام . رِفده : عطاؤه . يحبو صجره :
يسكن غضبه : بعض حجره : رشحت كفه . قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمُعْطِيَةِ مَمَكٌ مَا لِنْ تَبِضَ صَفَاتُهُ بِلَالٍ^(١)

ينصل كده : يزول حزنه . الجلد : الصخر الصّاب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه

بخيل ، ويد البخيل تشبّه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلَقْتَ كَفَّاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْزَيْدَى عَكْلٌ^(٢)
يرى التيسم فى بَرٍّ وفى بَحْرِ مَخْلَقَةٌ أَنْ يَرَى فِي كَفِّهِ بَلَلٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد اليطمان في ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

رَاعَةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِيعُ سَنًا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مَتَبِيًا^(١)
ضَادَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بَعَا مُوسَى لِمَا انْبَجَا
كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجة بن الضرب، حين قال :

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَيْدِيَهُمْ يَبِضُّ وَأَوْجُهُمْ غُرُ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَبِحَدٍّ مُؤْتَلَاً يَبْذُلُ الْكَفَّ دُونَهَا الْمَزْنَ وَالْبَحْرُ
فَلَوْلَا مَسُّ الصَّخْرِ الْأَمْسُ أَكَنَّهُمْ أَفَاضَ يَتَابِعُ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص :

إِنَّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمْ عَقَبَ شَطَاً بِمُحَرِّقِ النَّيَاضِ^(٢)
بَحْرٌ يَلُودُ لِلصَّفْوَةِ بِسَيْلِهِ قَمَّ الْجَدَاوِلُ مَرْتَعُ الْأَخْوَاضِ
لَأَبِي عَمْدٍ الْمُؤَمِّلِ رَاحَتَا مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْمَلَا نَهَاضِ
فِيَدٌ تَدْفُقُ بِالنَّيِّ لَمَدِيهِ وَيَدٌ عَلَى الْأَعْبَاءِ سَمَّ قَاضِ

وقال أبو تمام :

تَمَوَّدَ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لَقَبِضَ لَمْ تَجِبْهُ أَنَامِلُهُ^(٣)

وقال البحتري :

قَدْ قَلَّتْ لِلنَّيْتِ الزَّكَامُ وَلَجَّ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَأُلْحَ فِي إِدْعَاوِهِ^(٤)

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦

(٢) ديوانه ٧٠٣

(٣) العدد ٦ : ٢٩٥ -

(٤) ديوانه ٧٣٣

لا تعرضنَّ لجعفرٍ مثبَّتاً بندي يديه فلت من أنداده
الله شرِّفه ، وأعلى ذكره ورآه غيثٌ بلاده وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقبِلُ ظهر الكف وهاب بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبِلُ وباطنها عينٌ من الجود عظيمُ

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ وَقَالَ : قَدْ
أَشْرَبَ حِمْصِي ، وَتَبَأَنِي حَدْمِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَا خَصَمَآ اذْكَاةَ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتِنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ نِجْرِيرُ
زُمَرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جَمْرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَمِمْ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَاتَمَاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي .
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَلَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبَعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَحْجَمَ الْحَدَثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

قوله : « غَشِيَّتِهِ » ، أى ذهاب عقله بأن يُعَمَى عليه . وغاشيته : زوَّاره ومن
يُنشئ موضعه . أَشْرَبَ : دُوخِلَ : حِمْصِي : إدراكى وفهوى . تَبَأَنِي : حدثنى .
وَأَخْبَرَنِي . حَدْمِي : ظَنَى ، قال القراء رحمہ الله : حدثت أحديس ، إذا قلت فى
الشيء برأبك . غيره : حدثت : ظننت ظنناً بلغت منه غاية الشيء فى عدده أو

وزنه ، وأصله من قول العرب : بلغت الحدس ، أى الشيء الذى تطلب لحاقه .
والذهاء فى الرجل : الخلق والتبصر فى الأشياء . لاختصاص ادعاء ، أى ليس بينهما
ادعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبهما : اختبارهما . استبطا : استخراج .
نحرير : حاذق . زمهرته : جماعته ، وجعله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نحريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء بنحرها بظنه
الصادق . خبئهما : خفى ما عندهما . قفاهما : أتبعهما . والعون : الشرطى ، لأنه
يُعين من يتصرف له . مثلاً : وفقاً ، يقال : مثل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
وانتصب ، وإذا طلى بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتى من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسّن يُعرف كم
بلغ من العمر ، ولنظّم المثل « صدقنى سنّ بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابي
أن رجلاً سأم رجلاً بكراً على أن يشتريه مسناً ، فقال البائع : هذا جل ؛ لبكر
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعان
إذ نهر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صفار الإبل عند نفارها ، ولا يقال للكبار ، قال المشتري عند ذلك :
صدقنى سنّ بكره . تبعه ؛ شُرِحت فى الصدر . أحجم : تأخر فزعاً . أقدم :
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقالة .



أنا المروءى وهذا ولدى	والشبل فى المخبر مثل الأسد
وما تعدت يده ولا يدي	فى إبرة يوماً ولا فى ميزود
وإنما الدهر المسمى المعتدى	مال بنا حتى غدونا نجدى
كل ندى الراحه عذب المورِد	وكل جمع الكف منلول اليد

بِكُلِّ فَنَ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْحَدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّ
لِنَجْلِبَ الرِّشْحَ إِلَى الْحَفَا الصَّدَى وَتُنْفِدَ الْأَمَرَ يَبْنِي أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدُ لَنَا بِالْمُرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجِي فِي غَدِ

* * *

الشبل : ولدا الأسد . المخير : التجربة والخبرة . تمتد : ظلت ، وامتدت :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . نجتدى : نسأل الناس الجدا ، وهو
الطاء . ندى الراحة : كرم الكف . وجعد الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل العطاء ، وكل لئيم صعبه ، وأصل الجمودة اخباض الشمر ، ثم استعيرت
قبض الكف من اللؤم ، ومثله منلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بقل اللؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بقل اللؤم ، وفي الكتاب
العزيز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب بن قسيده يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ويذكر الجمودة ، وهي :

رَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَطْلِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَحَابُهُ مِنْ غَيْرِ بَرَقٍ وَلَا رَعْدٍ
مِنْ الْقَوْمِ جَعْدًا يَبْضُ الْوَجْعُ وَاللَّيْ نَدَى وَلَيْسَ بِنَانٍ يَحْتَدِي مِنْهُ بِالْجَعْدِ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠

وقال البحرى :

صنعتني عن معاشري لا أسمى أوليهم إلا غداة سبائي^(١)
من جعاد الأكف غير جمادٍ وغضاب الوجوه غير غضابٍ
خطرُوا خطرةً الجهام وسارُوا في نواحي الظنون سير السحابِ
وقال أيضاً في نحوه :

وخلفني الزمانُ على أناسٍ وجوهمُ وأيديهم حديد^(٢)
لم حُلَّ حَسُنَ فَنَ يَبْضُرُ وأخلاقُ قُبْحَنَ فَنَ سَوْدُ
أناسٌ لو تأملهم لَبِيدٌ بكى الخلف الذي يشكو لبيدُ

قوله « الدد » : ضد الجدّ ، وهو القهر واللمب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لستَ من ددر ولا الدد مني » ، أي لست من باطل ولا الباطل مني أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . ننفذ : نتم . أنكد : مشغوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والمرصد : اللوض الذي ترقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصده رصداً ترقبته . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فسأله .

• • •

فقال له القاضي : لله درك ، فما أعذب نقات فيك ، وواها
لك لو لا خداع فيك ، وإني لك كين المنذرين ، وعليك من

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٨١

الْحَذَرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرْ بِنَدَهَا الْحَاكِيَيْنِ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسْبِطٍ يُقِيلُ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَاهِدُهُ الشَّيْخَ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْيِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَبَّتِهِ ، وَاجْتَرَى يَلْمَعُ مِنْ جَبَّتِهِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمْ أَرْ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ ،
وَلَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ .

قوله : «للهِ درك» ، أى ما أحسن كلامك ، والدرّ أصله اللبّ ، وكأنه سُمّيَ
بحكاية صوته عند الحلْب . والله ، أصله القسم ، ولا تدخل اللام فى القسم إلا على
اسم الله تعالى ، والتعجب معها لازم ، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلْب لصاحب
الناقة : لله درك ! فكأنه قال : والله إن درك هذا لكثير ، ثم استمير للفصيح فى
كلامه ، ولكل من أحسن فى شئ ، فكأنه قيل : ما أحسن ما جئت به ! وقيل :
معناه لله اللبّ الذى شربته من أمك ، قال القراء : رحمه الله : ربما قالوا : درك ، ولم
يقولوا : لله درك ، وأنشد :

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابُ وَالشَّعْرُ الْأَسَدُ سَوْدٍ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ

قوله : «فثبات» ، أى كلمات . واهّا : عجباً . والنذر : العلم بما يخاف . تماكر :
تمخّاع . سطوة : بطشة . المتحكّم : الذى يتحكّم بما شاء فيُمثّل حكمه . مسيطر :
أمير مساط . يقيل : يغفر الزلة . أوان : وقت . عاهله : حالته . مشورته : أخذ
رأيه . الارتداع : الكفّ . تلييس : تخليط . صورته : قصته . فصل : زال .

الخنز : الخلداع . يلع : يضى ، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة القدر ،
وأن يمينه التى حلف له كاذبة ، وأول من نظم فى هذا المعنى الشماخ
حين قال :

أنتنى تميم قضا بقضيفها تمح حولى بالبيع سبالها
يقولونلى : احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أنا لها
فقرجت هم النفس عنى بحلفه كما شقت الشقراء عنى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة ، قول ابن الرومى :

وإنى لنو حلف كاذب إذا ما استمعت وفى المال ضيق
وهلى من جناح على معسر يدافع بالله ما لا يطيق
وقال فيه أيضاً :

إذا حلت على ضيق ديوى وباكرنى التجار وخوفونى
دفتهم بمن لو شاء أدى حقوقهم إليهم منذ حين

ولدعيل :

سألونى اليمين فارثت عنها كى يفرؤا بذلك الإرتياح^(١)
ثم أرسلتها كنعدر السيل تدلى من المكان اليفاع
وأشدا أبو على :

لا شئ يدفع حق خصم شاعب إلا كلف عبيدة بن سميدع
يمضى اليمين على اليمين لجاجة عَضّ الجوح على اللجام القلوع
فإذا يذكر حلقة أصغى لها وإذا يذكر بالتقى لم يسمع

قوله: «تعاريف»، أراد التصريف بالجولان في البلدان. والأسفار: الأول :
جمع السفر في البلاد، والثاني: جمع سفر، وهو الكتاب، قال القراء رحمه الله:
الأسفار: الكتب العظام. والتصانيف: التأليف للنوعية، والمصنف الذي فيه
أنواع شتى.

المقامة التاسعة وهي الإيسكندرانية

قال الحارث بن همام : طعاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
 الاكِتسابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فِرْعَانَةَ وَغَانَةَ ، أَخُوهُ الْفِمَارِ ،
 لِأَجْنَى الثَّمَارِ ، وَأَقْتَحِمَ الْأَخْطَارَ ، لِكَيْ أُدْرِكَ الْأَوْطَارَ ،
 وَكَذْتُ لِقْفُ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
 أَنَّهُ يَلْزُمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبُ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتَمِيلَ
 قَاضِيَهُ ، وَتَسْتَظْهِنَ مَرَاضِيَهُ ، لِيَسْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
 وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جُورَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
 وَجَمَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وُلِجْتُ عَرِيقَةً ،
 إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِمَحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِمَنَائِدِهِ
 تَقَوَّيَ الْأَجْسَادَ بِالْأَرْوَاحِ .

• • •

طعنا بك قلبك ونمحمك طعناً وطعناً : ذهب بك ، وطعنا الله الأرض .
 ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طعنا قلبه في الهوى والهوى ، إذا تطاول وتمادى ، قال .
 علقمة :

• طعنا بك قلب في الحسان طرُوبُ •

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جُبت : قطعت ومشيت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيت يُسعى هيكल الشمس ،
 بناه فارس الملك ، وخرّبه المعتصم ، وبها قُتل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان
 سنة ثلاث وخمسين ، وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي :
 من سمرقند إلى أسروشة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشة إلى فرغانة
 مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة
 القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه للدين مضافة إلى عمل سمرقند . وكان
 أنوش . وان بني فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قومًا ، وسماها أزرخانة ، أي
 من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، والمدخل إليها من
 سِجِلْمَاسَة و ن سِجِلْمَاسَة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سِجِلْمَاسَة شهر
 ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّقَاق تتجهز إليها من سِجِلْمَاسَة
 بالأمناح والأقوال ، فتباع في غانة بالتَّبر ، فمن سافر إليها بثلاثين جِملًا يرجع منها
 بثلاثة أحمال ، أو بمحمدين : واحد لركوبه ، وثاني للماء بسبب المفازة التي في طريقها ،
 حدثني غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يومًا ، لا يرون
 فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأتمان أحمال الثلاثين جِملًا يجتمع فيها من التَّبر
 ما يجعل في مِرْوَد واحد ، فيطوون المراحل للخِفة . وغانة بلد مملكة السودان ،
 وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار الغرب كثير يدخلون
 للتجارة فيصيبون الخِصْب والأمن وكثرة للتاجر ، فيشترون بها خدما للتسري ،
 ويقومون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جعل الله فيهن من

الجمال الكريم حتى خُلِقْنَ وَخُلِقْنَ فوق المراد، من ملاسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهن بقوله :

تذكرك المسك والنوالى والنَّدْ ذواتُ التَّسِيمِ والعَبَقِ
ليست من العُبْسِ الأَكْفِ ولا الفُلْجِ الشَّاهِ الخَبَائِثِ العَرَقِ
أَكْبِهَا الحَبَّ أَنِهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القُلُوبِ والْحَدَقِ
يَفْتَرِذُكَ السَّوَادُ عَنْ بَقِيٍّ مِنْ نَفَرِهَا كَاللَّالِئِ التَّنَقِيٍّ
كَأَنَّهَا وَلِلزَّاحِ يَضْحَكُهَا لَيْلُ تَعْرِى دُجَاهٍ عَنْ فَلَاقِ
لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَرَهُ مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَدْرُ ذِي حَنْقِ
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الرَّاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الوَحَقِ
غَصَنُ مِنَ الْآبَنُوسِ رُكْبٌ فِي مُؤَزَّرٍ مَعْجِبٍ وَمُنْتَطَقِ
وقال الشريف الرضى :

أَحْبَبُّكَ يَالَوْنَ السَّوَادِ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبِ تَوَهُامًا^(١)
وما كان سهمُ العين لولا سَوَادُهَا لِيَبْلُغَ حَبَّاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الظُّلَى أَلْتَمَى فَلَا تَلَمْ جَنُونِي عَلَى الظُّلَى الَّذِي كُلُّهُ لَمَى
وقال ابن مسleme :

يَكُونُ اخْتَالُ فِي خَدِّ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ لِلْأَحْأَةِ وَالْجَمَالِ

خُفِّفَ يَلَامُ مَشْفُوقٌ عَلَى مَنْ رَأَاهَا كَلَامًا فِي التَّيْنِ خَلَا !
وَلَهُ أَجْنَابُ :

لَامِ الْعَوَازِلُ فِي سَوَادِهَا مَاحِقٌ : كَلَامُهَا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ تَمَثَّلُ
وَهَامُ بَانَالِ أَقْوَامٍ وَمَا عَلَّمُوا : أَنِّي أَهْمُ بِشَخْصٍ كُلِّهِ خَالُ
وَلَا بِنِ رِيَاحٍ :

وَسَوَادُ الْأَدَمِ إِذَا تَبَدَّلَتْ : بِأَبْرِ مَاءِ النِّعَمِ جَرَى عَلَيْهِ
رَأَاهَا نَظَرِي : نَصَبًا لِلْهَيَا : وَشَيْءٌ لِّلشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
وَلَا بِنِ رَشِيقٍ :

دَمَا بِكَ الْحَيْنِ : فَاسْتَجِبِي بِأَمْسِكَ : فِي صَبْغَةٍ وَطِيبِ (١)
تَيْبِي عَلَى الْبَيْضِ وَاسْتَطِيبِي : تَيْبَ شَبَابٍ عَلَى مَشِيبِ
وَلَا : يَرْعَكَ : اسْوَدَّادُ لَوْنٍ : كَمُفْلَةٍ : الشَّادِنِ الرَّيِّبِ
فَأَنْبِيَا : الثَّوْبِ : بَيْنَ سَوَادٍ : فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ
قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ : أَخَذْتَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ ، أَنْشَدَهُ الْجَلَّاحُظُ :

مُشَبَّهَاتُ الشَّبَابِ وَالْمَسْكُ تَنْدِيهِنَّ : نَفْسِي مِنَ الرَّدَى وَالْخَطُوبِ
كَفَيْ يَرَوِي : التَّيْبُ الْبَيْضُ وَصَالِ الْبَيْضِ : ، وَالْبَيْضُ مُشَبَّهَاتُ الْمَشِيبِ
وَأَخَذَ مِنْهُ الْآخَرُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ ، أَنْشَدَهُ الْجَلَّاحُظُ :

وَلَمَّا سَوَادِ الْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ نَوْرُهَا : وَمَا لِبَيَاضِ الْعَيْنِ : نُورٌ فَيُفْلَمُ
فَأَخَذَهُ : أَيْضًا أَبُو الطَّيِّبِ : ، قَالَ فِي كَافُوهِ وَأَخِيْنَ :

(١) التَّيْبُ الْمَسْجُومُ ٢ : ١٦١ ، مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ٢ : ٢٣ ، دِيْوَانُ الْعَبَابَةِ (عَلَى هَامِشِ
تَرْجُمَةِ الْأَسْوَادِ) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه - وخِلَّتْ بيضاءَ خلفها وناحية^(١)

ولابن الجهم :

وعائب للشعر من جهله - منقلبٌ ليس ذى خلق^(٢)

قولوا له عني : أما تستحي^(٣) - أن يحفل الكافور كالسك !

والسابق لهذا المعنى أبو حنبل الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :

أشبهك للسك وأشبهته قاعة في لونه قاعة

لا شك - إذ لونكما واحد - أنكا من طينة واحدة

على أن العباس^(٤) بن الأخف معاصره ، قال :

أحب النساء السود من أجل نكمتهم

ومن أجلها أحب ما كان أسودا

فجئني بمنزلك أظيب نكمة - وجئني بمنزلك أظيب مرقد

أخذ يته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحب أحبها السودان حتى أحب أحبها سود الكلاب

وقال ابن الرومي في تفضيل السود على البياض :

وبعض ما فضل السود به - والحق ذو سلم وذو نقي

ألا يصيب السود خلخته - وقد يصاب البياض بالنقي

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتبارات واعتبارات من الشعراء على

تحسين القبيح ، والأمر الجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الفريرى)

(٣) كذا ب ، وفي ط ، ١ : على بن العباس - محججه - ولم تجد الأبيات في

ديوان عباس بن الأخف .

(٤) شرح مقامات الحريري (٢٢)

قال الجاحظ : العرب تمدح بالبياض ، وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا بالسواد ، ولكن أصل ما ينون عليه أمرهم ذمه ، وأنشد :

لهم ديباجة عُرِفَتْ قديمًا بياض في الوجوه وفي الجلود
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

يامشيهما في فصله لونه لم تمد ما أوجبت القسمة^(١)
خُلقك من خُلقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة^(٢)

قوله : « جيت ما بين فرغانة وغانة » ، ماها هنا بمعنى الذي ، كأنه قال : جيت انتهى بين فرغانة التي هي أقصى للشرق ، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال ، فاهي التي أوجبت لما بين البلدتين ما ذكر أن بعم بالشئ ، ولوسقطت لم يلزم العموم ، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى قول حبيب :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب^(٣) وغادرت رباعي من ركابي سباسب^(٤)
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نيت للغاربا

قوله : « أخوض الفار » ، أي أدخل المياه الفزيرة فأجوزها . أفتحم الأخطار ، أي أترامى في المخاوف . والخطر : الفرر . والأوطار : الحاجات . وقال أبو عمر القسطلي^(٥) فيما يتعلق بهذا :

تمخو في طول السفار وإنني لتقبيل كف العامري سفير
دعيني أريد ماء الفاوز آجنا إلى حيث ماء الكرمات تميمير

(١) ديوانه ١٧ ، وفيه : « في لونه فله » .

(٢) في الديوان : « فخلقك من خلقك » .

(٣) ديوانه ١٧ ، والسباسب : القفار القبيحة .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن الماس بن أحمد بن حنبل بن عيسى بن دار ، المعروف بابن دراج القسطلي ، في ط : « أبو عمرو » ، خطأ يذكر في بعض تراجمه ؟ وقد نبه إليه الدكتور محمود مكى في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١ ، والآيات في ديوانه ٢٩٨ .

ألم تملئ أن الهواء هو النوى وأن سيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزء خطير
وقال النابتة الجدى :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر^(١)

فيسر في بلاد الله والتمس النى تمس ذا يسار أو تموت فتفدراً
وقال ابن سارة :

سافر فإن النى من بات مفتحاً قفل الناح بمفتاح من السر
إن شئت خضرتها يا ابن الرخاء فكن

في طي عمر القيا في نأى الحضرة
ولا يصدئك عن أمر تصعبه قد ينم الكوثر السلال من حجر
لابد أن يقع المطلوب في شرك ولو بنى وكثره في دارة القمر

[باب في الحصى على السفر وترك المعجز]

وما ينتظم في باب الحصى على السفر وترك المعجز قولهم : لا يبنى للعامل
أن يكون إلا في إحدى المنزلتين ، إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية
من تركها ، ولا يبنى للعامل أن يرى إلا في أحدهما ، إما مع الملوك مكرماً ،
وإما مع العباد متبتلاً ، ولا يبعد الغرم غرماً إلا إذا ساق غنماً ، ولا انهم غنماً إلا
إذا ساق غرماً ؛ ونظم هذا المعنى قال :

ولو شاء أن يخففه من غير هذه الجنة، ولكن كل شيء له شئبه
وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تلوموا السَّارَّ فإني أدركت فيه ما لم
يدركه أحد؛ يريد أن الله كلَّه شيء
ونظم هذا المعنى حبيب قال:

إنَّ موسى صَلَّى على رُوحه اللهُ صَلَاةَ كَثِيرَةِ الْقُدُسِ (١)
صار نبيًّا وعَظُمُ بُحْتِهِ في جَنُودِ الصَّلَاةِ وَالْقَبَسِ (٢)
قال للآمُون: لا شيء أَلَدُّ من السَّفر في كفاية؛ لأنك تحمل كل يوم في حِمْلَةٍ
لم تحملها، وتعاشر قومًا لم تعاشرهم.

الثعالبى: من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار وبدايع
الأنهار، ومحاسن الآثار، ما يزيد علمًا بقدرة الله، ويدعو إلى شكر نعمته.

وفي الأمر الصحيح: سافروا تصحوا وتضمنوا.

آخر: السفر يشد الأبدان، وينشط الكسلان، وينتهي إلى الطمأنينة.

آخر: ليس بينك وبين بلد تسب، فخير البلاد ما حلك.

قال ابن رشيقي: كتبت إلى بعض إخواني: مثل الرجل القاعد - أعزك الله -
كمثل الماء الراكد، إن ترك تغير، وإن تحرك شكدر، ومثل السافر كالصفا
للماطر، هؤلاء يدعونه رحمة، وهؤلاء يدعونه قسوة، فإذا انصلت أيامه، تقل
مقامه، وكثر لوائمه، فاجمع لنفسك فرجة التوبة، وفرجة الآوبة، والسلام.

وقال ابن رشيقي:

غِبْ عن بلادك وارْجُ حسنَ منيةٍ إن كُنتَ حَا تَشْكِي الإقْلَالَ (٣)

(١) ديوانه ١٧٠. والقدس: الطهارة.

(٢) البتية: المطلب. الجنوة: الحيرة، والصلاه: التدفؤ.

(٣) غلب في التنقيح ٥٩.

فالبدر لم يُجِفْ به إداره ألا يسافر بطلب الإقبال
وقال أبو الطيب :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولأهله الأدنون غير الأصادق^(١)
وقال البحتري :

وإذا ما تنكرت لي بلادٌ أو صديق فإنتى بالخيار^(٢)
وقال أبو الطيب :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده فعندي لأخرى عزمة وركاب
وقال إبراهيم بن المتباس الصولي :

لا يئمننك خض العيش في دعة نزوع نفسي إلى أهل وأوطان^(٣)
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

أي لا يئمننك الشوق إلى الوطن في الثربة من الاستمتاع بلة العيش ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفي غير الحاسة :

لا يئمننك خض العيش في دعة من أن تبدل أوطاناً بأوطانٍ
برفع «خض» ، أي لا يئمننك عيشك الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع المعجائب ، ويكشف التجارب ، ويحبب المكاسب .
أوحش أهلك إذا كان أنسك في أعاشهم ، واهجر وطنك إذا نبت نفسك عنه .
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدة ! قال : لودامت
الشمس عليكم يومين للتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٥١ ، ديوان الثاني ١ : ٩٩٢ .

أخذه حبيب قتال :

وطول مقام المرء في الحى مُخْلِقٌ لدباجتيه فاغترب تنجدد^(١)
فلما رأيت الشمس زبدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد
وقال الحكماء: لا تنال الراحة إلا بالتعب، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب .

وقال حبيب :

على أننى لم أحورَ ونرا مجمماً ففزت به إلا بشمل مبدد^(٢)
ولم تُعطني الأيام يوماً مسكناً ألد به إلا بنوم مُشرد
وقال ابن عبد ربه: هل يجوز في عقل، أو يمثل في وهم، أو يصح في قياس،
أن يُحصَد زرعٌ بغير بذر، أو يتم مالٌ بغير طلب، أو تُجنى ثمرة بغير غرس،
أو يُورى زندٌ بغير قدح! وتد يكون الإكداء مع السكدة، والخنية مع الفيبة .

وقال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
وأدرك الخوفَ تحت الدجى وأستصحب الجدوى والفرقدين
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهموم إلى أن رجعتُ بخفق حنين
وقال ابن رتيق :

يُعطى الفتى فينالُ في دعةٍ ما لم ينل بالكد والتعب^(٣)
فاطلب لنفسك فضلاً راحياً إذ ليست الأشياء بالطلب
إن كان لا رزقٌ بلا سببٍ فرجاء ربك أعظم السبب
وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١

(٢) ديوانه ١٠٠ ، وفيه : ولكتنى لم أحور .

(٣) نقله في التنف ١١

قد يُرْزَقُ الْخَافِضُ لِلْقِيَمِ وَمَا شَدَّ لِنَفْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا (١)
وَيَحْرَمُ لِّلَّال ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلَ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُقْتَرِبًا
وقال آخر :

قد يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلُهُ وَيَحْرَمُ الرُّزْقَ بِالْأَسْفَارِ وَالتَّعَبِ
إِنِّي وَعَمْرُكَ مَا أَحْصَى ذَوِي حَقِّ الرِّزْقِ أَعْدَى بِهِمْ مِنْ لَاصِقِ الْجَرْبِ
ولآخر :

أَلَا رَبَّ بَاغِيَ حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا وَآخِرُ قَدْ تُعْقَى لَهُ وَهُوَ تَجَالِسُ
آخر :

قد يُرْزَقُ الْمَرْءُ ، لَا مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ وَبُصْرِ الرِّزْقِ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي
مَامَسْنِي مِنْ غَنَى يَوْمٍ وَلَا عَدَمَ إِلَّا وَقَوْلِي فِيهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
آخر :

لَوْ كَانَ بِاللَّبِّ يَزْدَادُ اللَّيْبُ غَنًى لَكَانَ كُلُّ لَيْبٍ مِثْلَ كَافُورٍ
لَكِنَّهُ الرِّزْقُ بِالسُّطَّاسِ مِنْ حِكْمٍ يُقْصَى اللَّيْبُ ، وَيُعْطَى كُلُّ مَا خُورٍ
ومثل هذا قليل في كثير وإنما يحكم بالأغلب ، والنَّجْحُ مع الطَّلَبِ أَكْثَرُ ،
والحرمان للعاجز أصح ، وشرح حبيب هذا المعنى فقال :

هَمْ الْفَقْرُ فِي الْأَرْضِ أَغْصَانُ اللَّيْلِ غَرَسَتْ وَلَيْسَتْ كُلُّ حِينٍ تُورِقُ
أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ وَأَرَادَ سَفَرًا ، فَقَالَ : إِنَّكَ تَدْخُلُ بِلَدًا لَا تَعْرِفُهَا ،
وَلَا يَفْرُكَكَ أَهْلُهَا ، فَهَمَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفَقُ بِهَا ؛ عَلَيْكَ بِحَسَنِ الشَّامِلِ ؛ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى
الْحَرَبَةِ ، وَتَقَاءِ الْأَطْرَافِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِاللُّوْكَةِ ، وَنِظَافَةِ الْبِرَّةِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِالنَّشْرِ فِي
النِّعْمَةِ ، وَطِيبِ الرَّائِحَةِ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ لِلرَّوْعَةِ ، وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ الْحُبَّةَ ،
وَلَيْسَ كَنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ ، وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ ، وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ ، وَالزَّمُّ

«الحياء والألفة ذاك إن استحييت من النظافة اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت من العلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لِفَت» ، أخذت ، والألف : أخذما يرى إليك بيدك . ففت : قيدت ، ويمدح الرجل الحازم به فيقال : فلان قفّ لِفَت . والأريب : العاقل ، وقد أرب أرابة وأربا ، صار أريباً ، والأريب من أربت العقدة أربا ، شدتها . يستميل : يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مراضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه : ما يرضى القاضى ويوافق ، وهو جمع مراضاة ، ويقال : صلة الرحم مراضاة للرب ، أى يرضيه برّها ، يقول : العاقل إذا دخل بلدة استمطف قاضيتها لنفسه ، بحسن خلقه حتى يخفّ عليه أمره . ليشند : ليتقوى . جور : ظلم ، إماماً : قدوة ، زماماً : حبلأقودها به . ولجت : دخلت . عربية : بلدة ، وأصلها بيت الأسد . الراح : اسم الحمر ، وأبهم على ابن الرومى مم اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأبىّ علة يدعونها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها للرتاح !

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

فيما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشيّة عريّة ، وقد أخضر مال الصدقات ، ليُفضّه على ذوى الفاقات ، إذ حلّ شخص عِفْريّة ، تغلّه امرأة مُصيبة ، فقالت : أيد الله القاضى ، وأدام به التراضى ، إني امرأة من أكرم جزئومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفِ خُثُولَةٍ وَعُمُومَةٍ ، مِيسَمِي الصَّوْنِ ، وَشَيْمَتِي الْهَوْنِ ،
وَخُلِّقِ نِعْمَ الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَانِي بَوْنٍ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، مَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ ، وَمَافَ
وَصَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

° ° °

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
مشى مشارق الأرض ومقاربها . قال السدي : لما سأل أهل الكتاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، قال : سأخبركم كما تجلدونه مكتوباً عنكم :
إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَنَّهُ غَلَامٌ مِنَ الرُّومِ ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَابْتَنَى عِنْدَهَا مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْإِسْكَندَرِيَّةُ .

وقال التهمذاني : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤذبه
أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الَّذِي يُلْغِيهِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ خَمْسَةَ عَشَرَ
عَامًا ، وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ لَهَا بَنَاهَا رَحْمَتُهَا بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ جُدْرُهَا وَأَرْضُهَا ، فَكَانَ
لِبَاسِهِمْ فِيهَا السَّوَادُ مِنْ نَصُوعِ بَيَاضِ الرَّخَامِ ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَقْمَرَةٌ يُدْخِلُ
الْغَيَاطُ الْغَيْطَ فِي خَرَقِ الْإِبْرَةِ مِنْ بَيَاضِ رَحَامِهَا .

وقيل : إنها مكنت سبعين عامًا لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء
من بياض جِصِّهَا وَرُخَامِهَا ، وَلَمْ يَخْجُجْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَى سَرَاجٍ بِاللَّيْلِ مِنْ
ضِيَائِهَا . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ما شهدنا^(١) بلداً أوسع مسالك، ولا أعلى بناء، ولا أعتق ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما في وصفها أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأن الماء إذا جاء من النيل يخرق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعائناً فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً ما لا يُخَيَّل إلا بالوهم؛ حتى إنك تلقى بعض سوارىها ينصّب بها الجوّ معوداً لا بدري معناها، ولا لأى شيء. وضعت إلما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبانٍ للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين وهداية للسافرين، لولاه ما اهتمدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، وميناءه في نهاية المتأقّة والوثاقة طولاً وعرضاً، يزاحم الجوّ سموً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحمر دونه الطّرف، الخبر عنه يصيق، والمشاهدة له تسع، ذرعنا أحد جوانبه الأربع، فالتقينا فيه ثقيلاً وخسین بنا، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة

وأما داخله فرأى هائل، اتساع معارج، ومداخل^(٢) وكثرة مساكن. حتى إن الوالج في مسالكه ربما ضلّ وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يتبرك الناس بالصلاة فيه، طلعنا إليه، وشهدنا من شأن ميناءه عجبا لا يستوفيه وصف واصف، والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام.

* * *

قوله «عشية عربية»، أى باردة. يفضّه: يترقه. ذوى القافات: أهل الفقر والحاجات. عِفرية: يقال رجل عِفرية وعِفرى، إذا كان صحيحاً شديداً موثقاً

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «مدواخل»، وما أثبتته من ١، ب وابن جبير.

الخلق، أَخَذَ مِنْ عَرَا الْأَرْضِ : وهو التراب، أى من علق به عفره بالأرض ومنه لَيْثٌ عَفِيرٌ ، أى لَيْثٌ لِيُوثٌ ، مُعَفَّرٌ لِقَرِيْبَتِهِ . قَالَ الْخَلِيلُ : رَجُلٌ عَفِرٌ بَيْنَ الْعَفَارَةِ ، إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالْعَفِيرُ أَيْضًا : الظَّرِيفُ الْكَيْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفِيرٌ . وَوَعَفْرَةٌ ، وَهِيَ عَفَارِيَةٌ . وَقُرِئَ : (قَالَ عَفْرَةٌ مِنَ الْجِنَّ) ^(١) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ اللَّهُ لَيُبْنِضُ الْعَفْرِيَّةَ النَّفْرِيَّةَ » ، قِيلَ هُوَ الْجَمْعُ لِلنُّوعِ .

وَقَالَ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ : دَخَلَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْجِسْمِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : مَتَى عَهْدُكَ بِالْحَقِّ . قَالَ : مَا أَعْرِفُهَا ، قَالَ : فَبِالصُّدَّاعِ ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي مَا هُوَ ! قَالَ : أَفَأَصِيبُ بِمَالِكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرُزْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُبْنِضُ الْعَفْرِيَّةَ النَّفْرِيَّةَ » ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَرِزُ أَفَى بَدَنِهِ وَلَا يَصَابُ فِي مَالِهِ .

وَقَوْلُهُ : « تَعْتَلُهُ » ، أَيْ تَسُوْقُهُ بِسُفْهِ ، وَكَذَلِكَ تَدْعُهُ . مُصْبِيَةٌ : لَهَا صَبِيٌّ . جَرْتُومَةٌ : أَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ أَرُومَةٌ . مَيْسِيٌّ : عَلَامَتِي . الصَّوْنُ : الصِّيَانَةُ وَالِاتِّقَاضُ . شَيْعَتِي : طَبِيعَتِي . الْهُوْنُ : الرِّفْقُ . بُونٌ : بُعْدٌ . بِنَاةٌ : جَمْعُ بَانٍ ، وَالْجَدُّ : الشَّرَفُ الضَّخْمُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَوَاجِدِ ، وَهِيَ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِطَوْنُهَا مِنَ الرِّمَى وَعَظُمَتْ . وَأَعْبَدَ هَارَاعِيَهَا ، إِذَا رَعَاهَا بِحَيْثُ تَجْعَدُ ، وَتَجْعَدُتُ وَهِيَ تَجْعَدُ : رَعَتْ فَامْتَلَأَتْ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَتَيْتُ شُعْبَةَ يَوْمًا ؛ وَعِنْدَهُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهِيَ تَتَكَلَّمَانِ فِي حَدِيثٍ فَقَالَ شُعْبَةُ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، هَذَا الْقَتْلَى الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ ، فَقَالَ حَمَادُ : يَا بَنِيَّ كَيْفَ تَنْشُدُ بَيْتَ الْحَطِيطَةِ : « أَوَّلُكَ قَوْمٌ . . ؟ » فَابْتَدَأَتْ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَوَّلِهَا :

أَلَا طَرَفْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَمَتْ هِنْدُ وَقَدَسِرْنَ خَسَاوَاتِلَ بِهَا الْجِدَّ ^(٢)

(١) هِيَ قِرَاءَةُ عَيْسَى الثَّقَفِيِّ ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) دِيَوَانُهُ ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا إليّ وإن عاهدوا أو فوّا وإن عَدُّوا شدُّوا^(١)

فقال لى حماد : يا بنيّ إن العرب تقول : بنى يبنى بناءً فى العمران ، ويقولون فى الشرف : نبا يَنْبُو نَبْوا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا إليّ » ، فمرفت قدّر حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لفتنى .

قوله : « أرباب الجِدَّة » . أى أصحاب السعد والمال . والعرب تقول : لفلان .

جَدُّ فى الدنيا ، أى حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :

• وقام جَدُّهم بيني أبيهم •^(٢)

وقال آخر :

عش بجِدٍّ ولا يضرْك نَوَكٌ إنما عيشُ مَنْ تَرَى بالجدودِ
وجدَ الرّجلُ بصار له جدّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت ذا جدّ ، ولقد جدّدت نَجْدَ ، ورجل جديد : حفيظ من الجدّ والحفظ .

أبو عبيد قوله : « ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ »^(٣) ، أى ولا ينفع ذا النفى منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة .

بكتّهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وصلتهم : اتصلهم به ، والوصلة : سبب التواصل ، وهى فى آدميين ما يصل واحداً بآخر من حُبٍّ وغيره ، والوصلة بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو حبل وحبل ، فوصلتهما به . صلّتهم : عطيتهم . حلقة : يمين . يصاهر : يخاتن . حِرْقة : صنعة ومكسب ، وهى فِطلة من الحرف وهو الحرمان ، والحارَف : الحروم ، كأنّ صاحبها منع الرزق ، فصاهر بالمحسبه .

(١) ديوانه ١٣٨ و بقيته :

• وبالأشقيّن ما كان المقاب •

(٢) السان - جدد ، وفى رواية : الجدد ، بكسر الجيم ، أى الاجتهاد والعمل -

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، ومن النساء الغزل »

فَقِيضَ الْقَدَرِ لِنَصِيٍّ وَوَصِيٍّ ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَّةُ
 نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْطِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَائِفًا
 نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاءَهُمَا بَيْدَرَةً ؛ فَاغْتَرَا أَبِي بِزُخْرَفِ مُحَالِهِ ؛
 وَزَوَّجْنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجْنِي مِنْ كَنَائِي ، وَرَحَّلَنِي
 عَنْ أَنَابِي ، وَتَقَلَّلَنِي إِلَى كِسْرِهِ ، وَحَصَلَّنِي تَحْتَ أَسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ
 قَعْدَةً جُذَمَةً ، وَالْفَقِيئَةَ ضُجَمَةً نَوْمَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ
 وَزَيٍّ ، وَأَنَاثٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيئُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
 وَيُثْلِفُ ثَمَتُهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَرَّقَ حَالِي بِأَسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
 مَالِي فِي عُسْرِهِ .

۔ ۔ ۔

قوله : « قِيض » ، أى قَدَرٌ وَسَاقٌ . نَصِيٍّ : تَعْيٍ . وَوَصِيٍّ : مَرْضَى ،
 وَنَصِبَ الرَّجُلُ نَصَبًا . أَعْيَا مِنْ التَّعَبِ ، وَوَصَبَ وَصَبًا : أَتَعَبَهُ الْمَرَضُ ، فَهُوَ نَصِيبٌ
 وَوَصِبٌ . الْخُدَّةُ : الْكُتَيْبُ الْخُدَاعِ لَغِيْرِهِ ، وَبَسْكَوْنُ الدَّالِ الَّذِي يَخْدَعُهُ غَيْرُهُ
 كَثِيرًا ؛ التَّحْرِيكُ لِلْفَاعِلِ وَالسَّكُونُ لِلْمَفْعُولِ فَيَأْتِي عَلَى « مُعَلَّة » مِنَ الصِّفَاتِ .
 نادى : مَجْلَسٌ . رَهْطُهُ : قَوْمُهُ ، وَهُوَ اسْمُ الْجَمَاعَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَيَجْمَعُ

أَرْهَطُ وَأَرَاهَطُ . وفق شرطه : أى موافق ما اشترط . نَظُمُ دُرَّةً ، يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ . بَذَرَة : عشرة آلاف درهم ، وأراد بالدُرَّة هنا الكلمة ، ويعبر بها عن الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَا تَدْعُوا الدُّرَّةَ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ » ، بمعنى العلم . اغترت : اتخذت ، وهو افتعل من الغرور . زخرف محاله : تزيين باطله ، وأصل زخرف : زين الشيء بالزخرف وهو الذهب . كِنَاسَى : يبتى وأصله للظبي ، وهو من قوله تعالى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ ^(١) تشبيهاً لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة ؛ ويقال له : كُنَّاسٌ وَمِكْنَسٌ مِنَ الْكُنَّسِ ، كَأَنَّ الظَّبِيَّةَ قَدْ كُنَّسَتْ مِرْقَدَهَا وَوُطْآنَتَهُ . رَحَّلَنِي : قَتَلَنِي وَحَلَّلَنِي عَلَى الرَّحْلِ . كَسَرَهُ : بَيَّتَهُ ، وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء ، لأنَّ جانب الخباء قد انكسر عن يمينه . أَسْرَهُ : حَبَسَهُ . قُفْدَةٌ : كثير القعود . جُئِمَةٌ : كثير الجُئوم ، وهو ملازمة الموضع . صُجَّعَةٌ : كثير الاضطجاع ، وهو الامتداد على الأرض للنوم . نُومَةٌ : كثير النوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْقَ مِنْ اللَّهِ » ، وذكر الذى يكثر النوم بالنهار ، ولم يأخذ من الليل شيئاً ، وفي حديث آخر : « خَيْرُ أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤْمِنٌ نُومَةٌ » . أَبُو عُبَيْدَةَ : هو الخامل الذى لا يعرف الشرَّ وأهله ، فتريد أنه عاجز قد لَازَمَ بيتها ، فإن تصرف فيه اعتَرَضَهَا مَمْتَدًّا ، فلا تجد معه راحة . رِيَّاشٌ : ثِيَابٌ ، « فِعال » من الرِّيش ، لأنها تكسو البدن كما يكسو الرِّيش الطائر . زَيْ : هيئة حسنة من اللبس . أَثَاثٌ : متاع . رِي : حالة حسنة ، وأصله الحمز ، فسُهل وأدغم ليوافق « زِيًّا » . قال ابن الأنباري : الأثاث : المتاع . والرؤى والرؤاء : للنظر ، وما له رؤاء أى ماله منظر ولاسان . والخرفان ، من رأيت أرى . ما برح : ما زال . الهضم : التقصان . التَّخْضَمُ : الأكل بالضم كله . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . مَرَّقَ : قطع وأفسد . حَالِي : غناى ، و« روى » مالى ، مكان « حالى » ، وما فيه بمعنى الذى كأنه قال : فرقى

الذى لى، ورواية ابن ظفر «بالي» بالياء، وقال: البال: الخاطر، وما لهذا الشيء..
بال، إذا حَقَرْتَهُ، والبال كالمخلد، تقول خَطَرَ بَيْلَى، كما تقول: خطر بخلدى،
ونفسى، وكان هذا هو الأصل. والبال: الحمال أيضاً، ومنه قوله:

• وخالف بال أهل الدار بالى •

عمره، أى قره.

• • •

فَمَا أَنَسَانِي طَمَمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ يَتْنِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ ،
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا غَبَا بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ،
فَانْهَضْ لِلْاِكْتِسَابِ بِمِصْنَعَتِكَ ، وَأَجْنِنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ ؛ فَرَعَمَ أَنَّ
مِصْنَعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانًا مَائِنًا مَعَهُ
شِبَعَةٌ ، وَلَا رَقَا لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمَمَةٌ ، وَقَدْ قُدَّتُهُ
إِيَّاكَ ، وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ ، لِتَجْعَلَ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكُمَ يَتْنَانَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ ،
فَبَرِهْنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا كَشَفْتُ عَنْ تَبَسِّكَ ،
وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ لِطَرِاقِ الْأُمُومَانِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلْعَرَبِ
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

• • •

الراحة : القرار والميش المنيء ، وأراد بأخى من الراحة خلوا الكف
من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة وقفر . عطر : طيب .

[أصل المثل : لا عطر بعد عروس]

ولا عطرَ بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ،
وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تنفلة^(١) ، قال لها : أين عطرُكِ ؟ قالت :
خبأتُه لغير هذا الوقت ، قال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى
أبو زيد الأنصاري المثل^(٢) .

البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فأت عنها ، فترجوها
بعده ابن عم لها آخر ، وهي كارهة ، وانطلق بها إلى أهلِه وقد زودها طيباً في
سَفَط ، فترجها بغير عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ،
ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فأنهرها زوجها ، وقال : ما تلك
الأشياء ؟ فقالت : كان عن للكارم غير نَفاَس ، يُعمل السيف صبيحة الباس .
ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم المحضر ، مع أشياء كانت
تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيونا
للخنا والمذكر ، طيب النكحة غير أبخر ، ثم أخذت السَفَط وكسرتَه على قبر
عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . قال زوجها : ارجى
إلى أهليكَ ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرف مقتبلة^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامراته
هذليّة اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تديريك . سلاة : ولد صغير كما سُل من بطن

(١) قل العتي : تثيرت رائحته ، وامرأة قلة ومثقال .

(٢) اللسان - مرس ، جهرة الأمثال ٢ : ٣٩٥ ، المتأخر ٢١١ .

(٣) فصل اللقال ٣٢٨

أمه ؛ ولهذا نُثِي ولد الناقة عند التَّجَاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم انسموا في السَّلالة قالوا : فلان كريم السَّلالة . والخِلالة : عود تُنقَى بالأضراس من الطعام ، شَبَّهت ولدها به في رِقته . ترقاً : تنقطع . الطَّوى : الجوع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . تعجم : تختبر . دَعَوَاهُ : ما ادَّعاه من الصَّنعة ، وعجبت المود : عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضمنه . وعيت : حَفِظت . قِصَص عرسك : حديث زوجك . بَرَهْنُ : أَطْلَهْر حُجَّتْكَ ، والبرهان : الحجة . كَبَسَكَ : تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأفموان : ذَكَر الأفاعي ، وهذا منقول من قول للنس :

فأطرقَ إطرَاق الشَّجاع ولو رأى مسانًا لناينه الشَّجاعُ لَصَمًا^(١)
 ووقع لنا في رواية « لناباه »^(٢) ، وهي لغة . شمر : احتزم . الموان : التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهي أشد ، والمرأة القوان : التي علت في السن ولم تهرم . والقوان : الثيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تعوينًا ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ * يَضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَحِبُ
 أَنَا أَمْرُو لَيْسَ فِي خَصَائِعِهِ * عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبٌ
 مَرْجُوحٌ دَارِي الَّتِي وَلِدْتُ بِهَا * وَالْأَصْلُ غَسَّانٌ حِينَ أَنْتَسِبُ
 وَشَغْلِي الدَّرْسُ ، وَالتَّبَحُّرُ فِي السِّمْلِ * طَلَابِي ، وَحَبْدَا الطَّلَبُ
 وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي * مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْخُلْبُ

(١) من الأصمية ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشجاع : الحية الذكر ، ومساغ ، مفعل من ساغ يوسغ ، وأصل مناه سهولة مدخل الفراب في الحلق .
 (٢) يحملونه شامدا على إلزام التي الألف في إعرابه .

أَعْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْشَتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأَنْتَحِبُ
وَأَجْنِي التَّانِغِ الْجَنِيِّ مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْمُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخْذُ الْأَفْظِ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنَّتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أُمْتَرَى نَشَبًا بِالْأَدَبِ الْمُتَّقَى وَأَحْتَلِبُ
وَمَهْطِي أَخْمِي لِحَزْمَتِهِ مَرَاتِبًا لِنَسْ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفْتُ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَبُ

* * *

قوله : « يُنْتَحِب » ، أى يُبْكِى ، ونحِبُ نَحْيًا : أعلن بالبكاء . خصائصه : فضائله وما يختص به من الأفعال الحمودة . رَبُّ : شكوك . التبحر : التوسع . حِلَابِي : أى طَلَبِي ، وإِنَّمَا هو للعلم ، وذكر التبحر والآلى والنوْص وغير ذلك مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا اتَّعَلَّ رَجُلٌ قَطٌّ وَلَا تَحَفَّ وَلَا بَسَ ثَوْبًا لِيَفْذُوَ فِي طَلَبِ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ حَيْثُ يَخْطُو عَتَبَةَ بَيْتِهِ » . رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ اتَّعَلَّ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْطُو » .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْفُذُو وَالرَّوَّاحُ فِي تَعْلِيمِ الْعِلْمِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَاهِ فِي سَبِيلِهِ » .

ابن مسعود رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لِيَرْدَّ بِهِ ضَلَالًا إِلَى هُدًى ، أَوْ بَاطِلًا إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كِبَادَةً مُتَعَبِدَةً أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « يَصَانُ » ، أى يَصْنَعُ . الفريض : الشعر . أَعْوَصُ : أُغْيِبَ فِي الْمَاءِ إِلَى قَمَرِهِ . وَاللَّجَّةُ : مَعْظَمُ الْمَاءِ ، جَمْلُهُ لِلْبَيَانِ مَجَازًا . اللَّالِي : جَمْعُ لَوْلُؤَةٍ أُتْنَحِبُ :

أختار . وقال السيب بن علس^(١) في وصف الفائص وانتخابه الفرة وتشبيهه
للرأة بها :

كَجُحْمَانَةِ الْبَحْرِى جَاءَ بِهَا غَوَاصُهَا مِنْ لُجَةِ الْبَحْرِ^(٢)
نصف النهار الماه غامرُهُ وشريكه بالنيب ما بدري
فأصاب مُنْيَتَهُ فجاء بِهَا صَدِيقَةٌ كَضِيئَةِ الْجَمْرِ
يُطْفِئُ بِهَا ثَمْنَا فَيَمْنُقُهَا ويقول صاحبه: ألا تشرى أ^(٣)
وترى الصَّارَى يَجِدُونَ لَهَا وَيَضُمُّهَا بِيَدِهِ لِلنَّحْرِ
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُيِّرَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ .
وقال النابغة :

أَوْ دُرَّةٌ صَدِيقَةٌ غَوَاصُهَا بِهِجْ مَتَى يَرَاهَا يُهْلُ وَيَسْجُدُ .

قوله: «اليانح» أى الناعم . الجنيّ: الطرى . أمتري نشباً، أى أستخرج
مالاً، ومريتُ ضرع الناقة: مسحته وحككته ليدرك اللبن . والنَّشْبُ، قيل: هو
التقاروم لا ينقل، وكأنَّ مالكة قد نشب إليه حيث لا ينتقل به، كالذى ماله للماشية
أو الذهب والنضة . المتقى: المختار، ويروى «المتقى»، وهو للكتسب . ويقال:
احتلب وحلب حلباً، والحليب: اللبن، وهو الحلاب، والحلاب أيضاً: الإذء . يحلب .
فيه، وأصله السَّيلان . وتحلب الضرع: سال، وأحلبت عينه: سال دمعها . يمتطى:
يركب . أخصى: باطن قدمي، وهو ماضر منها وارتفع عن الأرض . لحرمته:
أى لرفعته وشرفه . مراتباً: منازل: والمرتبة منزلة الشرف، من الرتب وهو

(١) ط: «عل» تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦، وخزاعة الأدب ١: ٥٤٥ .

(٣) ألا تصرح، أى ألا تبجح، كما ذكره ابن الأثير في الأضداد ٧٤

ما أشرف من الأرض . والرَّتَبُ : جمع رُتْبَةٍ ، وهى بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَبُ الدَّرَجُ تُقَطَّعُ في الحجر يُصْعَدُ بها إلى أعلى الجبل ، ومنه رتب كلامه ، إذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال . رُفَّتْ : مُحِلَّتْ ، من رَفَقَتِ العروس إلى زوجها ، إذا أهدبتهاله . الصَّلَات : العطايا . رَبَّيْ : منزلى . لم أرض كلَّ مَنْ يَهْبُ ، أى لا أرضى أن أكون تحت مِنَّة كل أحد .

فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أَكْسَدُ نَفْسِي فِي سَوْفِهِ الْأَدَبُ
لَا عِزَّزُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِنْ وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفُ يُتَعَدُّ مِنْ نَفْسِهَا وَجُتَبُ
فَخَارَ لُبِّي لِمَا مُنِنْتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَمَرَفُهَا مَجَبُ
وَصَاقَ دَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالْكُرْبُ
وَقَادَنِي دَهْرِي اللَّيْلُ إِلَى سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحُسْبُ
فَبِغْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدُ وَلَا بَقَاتُ إِلَيْهِ أَتَقَلِّبُ
وَادَنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحَمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطْبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَى عَلَى سَتَبِ تَحْسَا فَلَمَّا أَمَضْنِي السَّتَبُ
لَمْ أَرْ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَصًا أَجُولُ فِي يَمِينِهِ وَأَضْطَرِبُ

مَنْ يَمْلِكُ : معنى من استفهام ^(١) . يُرْقَبُ : يرعى . إل : قرابة ، وإل : بقاء

(١) حاشية ط : قوله : مَنْ استفهام ، الظاهر أن من موصولة وعبرة غيره ؛ أى أن من يخلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعرف ، حتى صار ذلك كاللغة الكاسفة عنه . انتهى بالمعرف . مصححه .

عهد . وسبب : مرفقوصجه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١) ؛ وأصله الحبل ؛ ثم يُستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عراضهم : مواضعهم ، وأصل العرصة ، فناء الدار . لب الرجل : يلب لبابة ، ورجل ملثوب : موصوف باللبابة ، ولب كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولب كل شيء : خالعه . مئيت : ابتليت وقدرلى . صرّفها : تقلبها ونصرتفها بما يكره . ذرعى : كناية عن صدرى وخلقى ، وأصل الذرع كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، قال : ضاق ذرعى بسكنا إذا لم يحتمله وضاق تصرّفك فيه . ذات يدى ، أى مالى . ساورتنى : واثبتنى . الكرب : الهموم ، وكرّرها لاختلاف اللفظ . المليم : الذى أتى بما يلام عليه . سؤوك : دخول . يستشيه : يستعيبه ، والشين : العيب . لبد : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصوف ، وأكثر ما يستعمل مُزدوجاً مع سبد ؛ يقول : ما عنده سبد ولا لبد ، أى لاشعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والغنم ، ثم صار نفيًا لكل شيء من المال . بتأت : زاد . أقلب : أرجع .

أدّت : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فأدان مُعْرِضًا»^(٢) . والساقفة : صفحة العنق ، يريد أن هذا الدين ثقله ومقاساة همومه فوق المطب ، والمطاب : الذى هو الهلاك دونه فى الشدة . عائشة رضى الله عنها : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إياكم والدين فإنه مُمٌّ بالليل ومَذَلَّةٌ بالنهار» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لامٌ لإمام الدين ولا وجع إلا وجع العين» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَبَب : جوع . أمضى : أحرقت . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيف جينة ، أى استدان مرضاً . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذى جاءتنى به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرَضًا ، أراد « عَرَضًا » فخره ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرنى بهذا مَنْ يوثق به فى اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور فى اللغة . وفى العين : العَرَض ، يفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لما لم يبقَ لى مالٌ لم أرَ مالاَ إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التى ألزمته ذلك التحريك . أحول : أنصرف . اضطرب : أكثر الترداد والتصرف .

* * *

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَالْمَيْنُ عِبْرَى وَالْقَابُ مَكْتَبُ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَيْشْتُ بِهِ حَدَّ التَّرَاضِي فَيَعْدُ النَّضْبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاطَهَا تَوَهُمَهَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخَرْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِبُّهَا النَّجْبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ شَيْبَى وَلَا شِعَارَى التَّوْبَى وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدَى مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَامِ وَالْكَتَبُ
بَلْ فِسْكَرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا كَفَى، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا الشُّعْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَخْوِي بِهَا وَأَجْتَلِبُ
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

* * *

عَبْرَى : باكية . مكتتب : حزين . لعبت ونحكت فيه ؛ قول :
ما تصرفت فى بيعه الا برضا منها ومنى^(١) . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ومنى ، لاجابة إليه » .

مراسلتها في النكاح . لينجح الأرب : لتضى الحاجة . تستحبها : تستعملها .
 الثُجْب : الإبل الكرام . الكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شَيْئِي :
 طلبائي . شِعَارِي : علامتي : التوبة ، تقدّم في الثامنة . نَيْطٌ : علق ، وناط الشيء
 نوطاً : علقه . البراع : الأقلام . واللواحي : للسرعة في الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلبه . السُّخْب : جمع سخاب ، وهي قلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظفر : السُّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطيب
 أيضا . أَحْوَى : أخوَز وأجمع .

فأذن : اسم . لا تراقب : لا تراعى متناً أحداً ولا تؤثره على صاحبه
 واحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لا أصوغ الحلّ تملّه كفاي لكن لاني صائغ الكلم
 وقال آخر :

وإني لنظام القلائد للملا ولستُ بنظام القلائد للنخر

قال : فلما أحكم ماشأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضي إلى
 الفتاة ، بعد أن شفي بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، اقتراضُ جيل الكرام ، ومثل الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإتال بملك صدوق في الكلام ، بر يا من اللام ،
 وهامو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وبين أنه معروء العظم ؛ وإغاثت المذير ملامة ، وحبس
 العسر مائة ، وكيان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُذْرِكَ ، وَتَهْنِئِي
مِنْ غَزْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهَا فِي
الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لَهَا :
تَمَلَّلَا بِهَذِهِ السَّلَالَةِ ، وَتَنَدَيَا بِهِمَا الْبِلَالَةَ ، وَاصْبِرَا
عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَمَزَا وَلِلشَيْخِ فَرَحَةً الْمَطْلُوقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
وَهَزَةَ الْمُوَصِّرَ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

• • •

قوله : « أَحْكَمْ » ، أَيِ اتَّقِنِ . شاده : بِنَاهُ وَزَيْنَهُ ، وَشَادَ الْبِنَاءُ : أَطَالَهُ وَعَمِلَهُ
بِالشَّدِيدِ ، وَهُوَ الْجِصُّ ، وَيُقَالُ فِيهِ : أَشَادَ ، وَيُقَالُ : شَادَ عَمَلُهُ بِالشَّدِيدِ أَشَادَهُ : أَطَالَهُ ،
هُوَ الْأَوَّلُ ، وَأَشَادَ الْحَدِيثَ : رَفَعَهُ ، وَعَطَفَ : ثَنَى عُنُقَهُ وَرَدَّهَا ، وَكُلُّ مَا تَثْنِيهِ
مِنْ عُنُقٍ أَوْ جَارِحَةٍ أَوْ عُودٍ قَدْ عَطَفْتَهُ . شُعِفَ : أَعْجَبَ . اقْتَرَضَ : اقْتِطَاعُ
وَهَلَاكُ . جَبِلَ : صِنْفٌ ، وَجَبِلُكَ : أَهْلُ عَمْرِكَ بَعْلُكَ : زَوْجُكَ ، وَبَتَلَ الرَّجُلُ
بُعُولَةً : تَزَوَّجَ . وَالْقَرْضُ : السَّلْفُ ، أَرَادَ بِهِ مَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ ثَمَنِ جَهَازِهَا سَلْفًا .
صَرَحَ : بَيَّنَ . وَصَرَحَ عَنِ الْحُضِّ ، مِثْلُ يَضْرِبُ لِسَرَ الْأَمْرِ ، إِذَا انْكَشَفَ ،
وَقَالُوا : أَمْرٌ صُرَّاحٌ ، أَيِ مَنْكَشَفَ ظَاهِرٌ ، وَالصَّرِيحُ مِنَ اللَّبَنِ : الْحُضُّ الْخَالِصُ
الَّذِي لَا رَغْوَةَ فِيهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ ^(١) *

ثُمَّ قَالُوا : لِكُلِّ شَيْءٍ خَالِصٌ صَرِيحٌ . وَقَوْلُهُ : « بَيْنَ مَصْدَاقِ النِّظَمِ » ، يُرِيدُ
أَنْ نَظْمَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلشَّعْرِ لَا لِلْجَوْهَرِ . مَعْرُوقٌ : لَا لَحْمَ عَلَى عَظْمِهِ ، أَيِ هُوَ قَبِيرٌ
(١) أَصْلُ الْمَثَلِ : « تَحْتَ الرِّغْوَةِ الصَّرِيحُ » ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ عَامِرُ بْنُ الظَّرَبِ . وَانْظُرْ
جَهْرَةَ الْأَمْثَالِ ١ : ٢٧٠ .

اعنات : مشقة . المَعْدِر : الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بينَ عذْرهُ أَنَّهُ لا يقدر عليه ، وعذرٌ فهو معذّر ، إذا قصر فى طلب الشئ .
قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمَعْدُرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾^(١) ، وقال ابن جرير :
* حكم المَعْدِر غير حكم للمَعْدِر *

الملائمة والملائمة : اللزوم والإيم . والمعسر : الفقير . والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله ، كان حقاً على الله أن يفتح عليه رزق سنة من حلال » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاها الله عز وجل برزق » .

خدرك : يبتك ، وأصله السَّتر يكون خَلْفَه الجارية المحجوبة . أبا عُدْرَك : زوجك المقتصر لك . نههى : كُفِّي . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نههى من غربك » ، أى غيَّبنى من دموعك ، والغرب : فيض الدمع ، والأول أشبه . سلمى : اتحدى . فرض ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . الثلالة : الشئ القليل . تطلّا : خذاً منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تندياً ، وأصل الثلالة بقية الماء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الضرع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضها الدرة والعلالة *^(٢)

(١) سورة التوبة ٩٠ (٢) اللسان - علل ، وروايته : « ترضى » ، وقيل :

* أنحل أمى وهى المحتالة *

والْبَلَاة : الندى القليل بيلُ وجه الأرض . كيد : مكر . كنهه : جهده
وأشدد أبو يَحْجَنَ التَّقَى :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه له كلُّ يومٍ في خليقته أمرٌ
عسى ماري ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألح به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرُ فارحُ يسرُ ! فإنه قضى الله أن العسر يقبضه اليسرُ

الإسار : الجبل يشد به الأسير . هزة : طرب . اللوسر : الفتى . الإيسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أى الأشياء أحلى ؟ قال : النصره على العدو بعد الهزيمة .
والاستفناء بعد الحاجة ، والغلبة للتكلم .

• • •

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيد ساعة بزغت
شمسه ، ونزعت عروسه ، وكذت أفصح عن افتتانه ؛ وإثمار
أفتانه ؛ ثم أشفقتُ من عثور القاضى على بهتانه ، وتزويقي
لسانه ، فلا يرى عند عرفانه ، أن يورثه لإحسانه ، فأحجمتُ
عن القول إجمام المرتاب ، وطويتُ ذكره كطلى السجل للكتاب ؛
إلا أنى قلتُ بمد ما فصل ، ووصل إلى ما وصل : لو أن لنا
من ينطلق في أثره ، لآتانا بفص خبره ، وبما ينشر من خبره ؛
فأتبعه القاضى أحد أمتانه ، وأمره بالتجسس عن أنبائه ،
فما لبث أن رجع متدهديها ، وهقر مقتبها ، فقال له القاضى : منيم ،
يا أبا مريم ، فقال : لقد طابت عجبنا ، وسمعتُ ما أنشألى طربا ،

هَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ !

• • •

قوله : « بزغت » ، أى طلعت . ونزغت : نشرت وقابلته بالشر والذِّكْر القبيح ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضي . أفصح : أبين . افتنانه : تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشفت : خافت . عثور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه . تزويق : تزيين ، وهو من الزَّأْوُق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزيين على الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدم معرفته . يرشحه : يهبته ، وفلان يرشع لكذا ، أى يؤهل له ، من رشحت الأم ولدها بالبلن ، إذا جعلته فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى ، وقيل : الترشيح : الترية ، وقيل : هو تحنن الأم على ولدها من الشدة . أحجعت : تأخرت . للرتاب : صاحب الرية . طويت : سترت . الاجل : الورق . والكتاب : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجِّلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(١) ، قيل : السَّجِّل : اسم كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملائكة السماء الثالثة ترفع إليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين . فصل : زال وانفصل بفصل خبره : بحقيقة أمره . ينشر : يظهر . خبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ، ونشرها : حياها من طياتها . التجسس : البحث . أنبائه : أخباره . ما لبث ، أى ما أقام ، والمعنى ما أبطأ شيئاً حتى يرجع . متدهداً : متحزراً ، والتدهده : قد ذلك الحجر من أعلى إلى أسفل . قهر : رجع إلى خلف . مقهقهاً : مبالاً في الضحك ، والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهم : كلمنا استفهام ، معناها : ما الأمر ؟ عايت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتقديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشيء .

السموع الطَّرب، ولا يكون «أنشأ» فعلاً لأبي زيد، إنما هو فعل «ما» من قوله: «ما أنشأ». وعيت: حفظت.

* * *

قال: ولم يزل الشيخُ مُذْخَرَجَ مُصَفِّقُ يَدَيْهِ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَيُفَرِّدُ بِلَ شِدْقَيْهِ، وَيَقُولُ:

كَذْتُ أَصْلَى بَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيهِ
وَأَزُورُ السَّجْنِ لَوْلَا حَاكِمُ الإِسْكَانْدَرِيهِ

فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَرِيئَتُهُ، وَذَوَتْ مَكِينَتُهُ، فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ، وَعَقَّبَ الاسْتِغْرَابَ بِالاسْتِغْفَارِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّينَ. ثُمَّ قَالَ لَذَلِكَ الْأَمِينِ: عَلَى يَهْ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدًّا فِي طَلْبِيهِ. ثُمَّ حَادَّ بَمَدِّ لَآيِهِ، مُخْبِرًا بِنَآيِهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَمَّا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ، لَكُنِّي الْحَذَرَ، ثُمَّ لَأَوَّلَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى، وَلَأَدَرَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرُ لُهُ مِنَ الْأُولَى.

قال الحارث بن همام: فَلَمَّا رَأَيْتُ صَنُو الْقَاضِي إِلَيْهِ، وَفَوَتْ ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، غَشِيَتْني نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ، وَالْكُسَيْمِيُّ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ.

* * *

يُصَفِّقُ يَدَيْهِ: يضرب بكفيه. يَخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ: يمشي بهما في مشيه.

خضع كل رجلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكبّته ويرقص . يترّد : يفتنى . بل شدقيه ، أى بصوت شديد تتلى به أشداه .

وملء القدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء القدح ماء ، وأعطنى جلائه ، وأعطنى ثلاثة أملائه .

أصلى ببلية ، أى قربت أن أحترق بها وأنصلى بها ، والبلية : اللصبة يبتلى بها ، وقاح ، جمع وقاحة ، وهى صلبة الوجه ، وأصلها من الحافر الصلب ، وقال بعضهم فى صلبة الوجه :

لا يعمل المبرّد فى وجهه بل وجهه يعمل فى المبرّد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد . شمريّة ، أى شديدة الفحة ، قال الأحمى : سألت أعرابياً ، وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شمريّة . هوت : سقطت . دينيته : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى اللقائات بفتح الدال وكسر النون ، ودينته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قلنسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن نكك :

نفسى تنيك أبا الهندام يا أملى إني بكل الذى ترضاه لى راضى^(١)
ما كان أرى قفياً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دينيّة القاضى
وقال الصابى :

وفوقه دينيّة تذهب طورا وتجي

(١) بيتة الدهر .

(١) بيتة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « تنيك أبا الهندام كل أذى » ، وأبو الهندام شاعرا اسمه كلاب بن حمزة ؛ كان ابن نكك مولما بهجانه .

ذَوْت : زَالَتْ وَخَفِيَتْ . سَكِينَتُهُ : وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ ذَوَى ، فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ بَلَلٌ وَنَدْوَةٌ ، فَيَجِفُّ بَلُّهُ ، فَاسْتَمَارَهُ لِلْسَكِينَةِ . فَأَوْ : رَجَعَ . وَعُقِبَ : أَتْبَعَ . الْاسْتِغْرَابُ : كَثْرَةُ الضَّعْكَ ، حَتَّى تَلْمَعَ الْعَيْنَانِ ؛ أَرَادَ أَنَّهُ أَتْبَعَ ضَحْكَه الْاسْتِغْفَارَ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لَهُ ، وَهَذَا الَّذِي حُكِيَ عَنِ الْقَاضِي يُحْكِي مِثَالَهُ عَنِ الْحِجَاجِ ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَغْرَبَ ضَحْكَاً يُوَالِي مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .

وقال عبد الله بن مسعود : فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَتَانِ مَا أَصَابَ عَبْدٌ ذَنْباً قَرَأَ مَا تَمَّ اسْتِغْفَارُ اللَّهِ لِإِغْفَرُ لَهُ الْأُولَى : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... ﴾ ^(١) . الْآيَةُ ، وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ... ﴾ ^(٢) الْآيَةُ .

قال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه : مَنْ قَالَ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ » خَمْسَ مَرَّاتٍ ، غُفِرَ لَهُ وَلَوْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ .

شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَا عَبْدُكَ أَصْبَحْتُ عَلَى عَهْدِكَ ^(٣) وَوَعَدْتُكَ مَا اسْتَطَعْتُ . أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَيْبُوءُ بِمِثْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأُبَوِّءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

وَأَصْلُ غَفَرَ وَاسْتِغْفَرَ غَطَّى . قَالَ قُطْرُبُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، أَيْ غَطِّهَا ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : غَفَرْتُ لِلثَّنَاعِ فِي الْوَعَاءِ أَغْفَرُهُ غَفْرًا ، أَيْ غَطَّيْتُهُ . ثَعْلَبُ : غَفَّرَ الرَّجُلُ فِي مَرَضِهِ يَغْفِرُ غَفْرًا ، أَيْ نَكَسَ ، فَكَأَنَّ الْمَرَضَ غَطَّى عَلَيْهِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، أَيْ اسْتَرِهَا عَلَيْنَا ، وَمِنْهُ : اصْبِرْ تَوْبَكَ ، فَإِنَّهُ أَغْفَرَ لِلْوَسْخِ ، أَيْ أَسْتَرَهُ ، وَهَذِهِ مِمَّا مِثَّقَ بِهِ .

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) النساء ١١٠ .

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وَأَنَا عَبْدُكَ » وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ، وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ : « وَمَنْ قَالَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَاتَّ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

قوله: «عَلَىَّ» ، أى جئنى به . مجدًا : مجتهدًا فى طلبه . لَأَيَّه : لإبطائه . نَأْيَه : بعده . الحَذَرُ : الخوف . أوليته ، بمعنى وليتموا عطيته . أوَلَى : أحق ، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة . قوله : « صغو » ، أى ميل . قَوَتْ : ذهابت . التنبيه : الإعلام . غَشِيَتْنى : غطّيتنى . ولحقتنى . أبان : طلق . التّوار : بنت عم الفرزدق وزوجه . استبان : تبين .

وقال الشاعر :

لو أن صدور الأمر تبرز لفتى كأعقابه لم تُلفه يندم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صمصمة ، دارمى من أشرف تميم ، والفرزدق لقّب به لجهومة وجهه وغلظه ، والفرزدق : قطعة المعجين ، وقيل : الرغيف الضخم .

وخبره مع النّوار بنت أعين الجاشمى ، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم ، فبعت إلى الفرزدق أن يكون وليّها إذا كان ابن عمها ، فقال : إن بالشّام من هو أقرب إليك منى ولأه ، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم ، فينكر ذلك على ، فاشهدى أنك جعلت أمرك لى . فجعلت له أمرها أن يزوجه من يرى ، وأشهدت له بذلك ، فقال لها : أرسلى إلى القوم أزوّجك ممن خطبك . فلما غصّ مسجد بنى مجاشع بين تميم جاء الفرزدق ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد علمت أن النّوار ولتى أمرها ، وأشهدكم أنى قد زوّجتها من ضى ، فشرّت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيّاها أمراء البصرة ، أن يطلقوها منه . وأعيّاها الشّهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره ، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تَحْمِلَهَا قَوْمٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو نُسَيْرٍ إِلَى مَكَّةَ ، فَصَحِبَتْهُمْ
النَّوَارُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَقَدْ سَخِطْتُ مِنَ النَّوَارِ الَّذِي ارْتَضَى بِعَقَابِهَا الْأَزْوَاجُ ، خَاضَ رَحِيلُهَا ^(١)
أُطَاعَتْ بَنِي أُمِّ النَّسِيرِ فَأَصْبَحَتْ عَلَى شَارِفٍ وَرَقًا ، صَعِبَ ذَلُولُهَا ^(٢)
وَإِنْ أَمْرًا يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي ^(٣) كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَعِيلُهَا ^(٤)
وَمِنْ دُونَ أَبْوَالِ الْأَسْوَدِ بَسَالَةً وَبَسْطَةِ أَيْدِي يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُهَا
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا بِتَأْوِيلِ مَا وَصَّى الْعَبَادَ رَسُولُهَا

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنة حمزة ، وقال :

أَصْبَحْتُ قَدْ نَزَلْتُ بِحِمْزَةٍ حَاجَتِي إِنْ الْمَنُوَّةُ بِاسْمِهِ الْمَوْتُوقُ ^(١)
بِأَبْنَى عُمَارَةَ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَجَرَتْ لَهُ فِي الصَّاحِينَ عُرُوقُ
بَيْنَ الْحَوَارِيِّ الْأَغْرَ وَهَاشِمٍ ثُمَّ الْخَلِيفَةُ بَعْدُ وَالصَّدِيقُ

فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهاراً أفسد به
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أَمَّا الْبَنُونَ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشُعَّتْ بِنْتُ مَنْظُورٍ بِنَ زَبَانَا ^(٢)
لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مَوْزَرًّا مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عَرِيَانَا

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقف في أمره ، فلقبه يوماً بباب للسجد ، فضمه
إلى الحائط ، حتى كادت تُرَهَقَ نَفْسُ الْفَرَزْدَقِ . وكان الزبير في غاية من القوة ، ثم

(١) ديوانه ٥٠٦٠٤ ، ٦ القافض ٨٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١٠ (٢) الشارف : النافقة المسنة .

(٣) يستعيلها : يأخذ يولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٣ ، القافض ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤ - شرح مقامات الحريري ١)

هزّه وتركه خافاً، ثم دخل على النّوار، فقال لها: إمّا أن تُتِمّي زواج ابن عمك وإلا قتلته، وأرحت المسلمين من شرّ لسانه، فقالت له: ولا بدّ أن تقتله؟ قال: ولا بدّ، فمطعها عليه رَحِمَ القُرابة، وقالت: لا والله لا أدعّه للقتل، قدرضيته. فتزوَّجها، فحكّم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم، فسأل: هل بمكة أحد بعينه؟ فدلّ على سلم بن زياد، وكان ابن الزبير قد حبسه، فقال:

دَعِيَ مُعَلِّقِي الأبواب دون فعالهم ومُرِّي بِمَسْرِي لِي هُبْتُ إِلَى سَلَمٍ^(١)
إِلَى مَنْ يَرَى المَرُوفَ سَهْلًا سَبِيلَهُ ويفعل أفعال الكرام التي تَشِي

ثم دخل على سلم؛ وأنشده القصيدة، فقال: هي لك ومثلها لنفقتك، فقبض عشرين ألفاً، فدفع مهرها، فدخل بها، وأحبلها قبل أن يخرج من مكة، ثم خرج بها، وهما عديلان في محل، وكانت أبدأ تخالفه وتسبه، لأنها كانت سالحة الدين، وكان هو رديء الدين، زانياً قاذفاً للمحصنات، فكانت تكرهه.

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، فتهددها بالهجاء، فاستعانت بالنّوار، فقالت: واعدي له ليلة، ثم أعلىني. ففعلت، وجاءت النّوار، ودخلت الحِجْلَة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت، أمرت الجارية فأطافأت السراج، وبادر الحِجْلَة والنّوار فيها، وهو لا يشك أنها صاحبة الدار، فواقمها. فلما فرغ قالت: يا عدوّ الله، يا فاسق! ففرقها، وعلم أنه قد خُدِعَ، فقال لها: وأنت هي! يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً، وأبردك حلالاً! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها.

فحدث أبو معقل راويته، قال: قال لي الفرزدق يوماً: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أطلق النّوار، فقلت: إني أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن . قال :
كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
لعمري أن النوار طالق مني ثلاثاً ، قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
فانطلقنا ، قال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شتاً ، قلت : قد
حذرتك ، قال :

ندمتُ ندامةَ الكُسمَى لَمَّا غدتُ مِثِّي مطلقَةً نوارٌ^(١)
وكانتُ جَنَّتِي نخرَجْتُ منها كآدم حين أخرجهُ الضَّرَّارُ
ولو أني ملكتُ يدي ونِيسِي لأصبح لي على القَدَرِ اختِيارُ
وكنْتُ كفاقٍ عَيْنِيهِ عَمْدًا فأصبح ما يُضِيءُ لَهُ نَهَارُ

وتوفي سنة عشر ومائة . وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن ، فقالت
امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات قتيهاه وشاعراه ، وأصافت جريراً إلى البصرة
لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره تطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعلق
بالنوار معه .

[ذكر خير الكسمي وقوسه]

وأما الكُسمَى فرجل منسوب إلى كُسم ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أندم من الكُسمَى^(٢) ، وقيل : إنه من بني
سمد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلًا بوادٍ كثير العشب والخلط ؛ فبينما هو يرعاها
بُصرَ بَنِيمةً على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتمهدا
ويقوسها حتى أدركت ، فلقطها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) غار الطروب ١٣٤ ، المياني ٢ : ٣٤٨

يَا رَبِّ وَقَفِّي لِنَحْتِ قَوْمِي فَإِنَّهَا مِنْ أَلَدِي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بَقْوِي وَلَدِي وَعِرْمِي أَنْتُمْ صَفَرَاءُ مِثْلُ الْوَرَسِ
* صَلِّاءُ لَيْسَتْ كَقِيصِ الثَّنَكْسِ *

ثم دهنها وخطمها بوتر ، واتخذ من بُرايتها خمسة أسهم ، وجعل يلقبها في
كفّه ، ويُنشد :

هَنْ وَرَبِّي أَسْهُمٌ حِسَانُ يَلِدُ لِلرَّأْيِ بِهَا الْبَنَانُ
كَأَنَّهَا قَوْمُهَا مِيزَانُ فَأَبْشُرُوا بِالْخُصْبِ يَا صَبِيَّانُ
* إِنْ لَمْ يَعْطَى الشُّؤْمُ وَالْحِرْمَانُ *

ثم أتى قُتْرَةَ^(١) على موارد حُر ، فكان فيها ، فرّ به قطع ، فرمى غيراً
منها بسهم ، فأخطه - أي أنفذه - وجازه ، وأصاب الجبل ، فأورى نارا ، فظن أنه
أخطاه ، فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَا وَالْحِرْمَانِ
مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَّانِ يُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعِقْيَانِ
* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَّانِ *

ثم مرّ به قطع آخر ، فرمى غيراً فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ،
فأنشأ يقول :

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِرْمِي الْقُتْرَ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَخْطَا السَّهْمُ لِارْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
* أَمْ لَيْسَ يَنْفَى حَذَرٌ عَنْهُ قَدَرُ *

ثم مرّ به قطع آخر فرمى عبّراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ، فأنشأ يقول :

ما بال سهى يوقد الحساجيتا قد كنت أرجو أن يكون صائباً
فأخطأ العير وولى جانباً فصار رأيي فيه رأياً خائباً
ثم مرّ به قطع آخر ، فرمى عبّراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

يا أسفاً للشؤم والجدّ النكد في قوس صدق لم تزين بأوّد
أخلف ما أرجو لأهلي وولّد فيها ولم يفرّ الحذار والجلد
* نغاب ظنّ الأهل جمعاً والولّد *
ثم مرّ به قطع آخر ، فرمى عبّراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظت عدّها أحمل قوسي وأريد ردها
أخزي الإله لينها وشدها والله لا سلم مني بعدها
* ولا أرجى ما حيت ردها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخلسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعضّ على إبهامه
فقطعتها تلهّماً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوّعني إذا لقطمت خمي
تبيّن لي سقاه الرأي مني لعمري أهلك حين كسرت قومي

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال: هتف بي داعي الشوق، إلى رغبة مالك بن طوق؛ فليته تمتطياً شيلةً، ومُتَضِياً عَزَمَةً مُشْمَلَةً. فلما أَلْقَيْتُ بِهَا التَّرَامِي، وَشَدَدْتُ أَمْرَامِي، وَبَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ بَعْدَ سَبْتِ رَامِي، رَأَيْتُ غَلاماً أَفْرِغَ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْحُسْنِ حُلَّةَ السَّكَمَالِ.

هتف بي، أي دعاني، يقال: هتف بي هتفاً وهتافاً: دعاه، وهتفت الحمامة: مدت صوتها. والشوق: تحرك الحب، يريد أن شوقه إلى الرغبة يهيج عليه حتى سار إليها، وجعل له داعياً مجازاً. والرغبة: مدينة شهيرة من عمالة الفرات، بناها مالك بن طوق، وولمها فُتُسِبَت إليه، وإليها تنسب الثياب الرحبية، وتعرف برحبة الشام، وهي على يسار الطريق هي والرقعة في استقبال الفرات جاثيا من حرثان، وهي في آخر ديار ربيعة، وأول بلاد الشام والفرات، بين ديار ربيعة والشام، فإذا عبرته صرت في حد الشام.

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب. وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة:

بإمالٍ قد علمت ربيعه أنه
طالت يدي لما رأيتك سالماً
وشمت ترب الرّحبة العيق الثرى
كم حلّ في أكنافها من معدم
ما كان مثلك في الأراقيم أرقم^(١)
وأنيخ عن خدّي ذاك العظيم^(٢)
وشنى صدأى البحر منها الخضر^(٣)
أمسى بها بأوى إليه الملمم

وقال فيه:

رأته في النوم عتابٌ قال لها
فجاء والتّسب الوضاح جاء به
طغان عمرو بن كلثوم وناثله
لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً^(٤)
ذوو القراصة : هذا صفة الكرم^(٥)
كانه بهمة فيهم من البهم^(٦)
إن السيور التي قدت من الأدم^(٧)
من صلبه لم يجد الموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبيل

يهجوه :

الناس كلهم يعدو لحاجته
ومالكٌ ظلّ مشغولاً بنسبته
يبني بيوتاً خراباً لا أنيس بها
ما بين ذي فريج منهم ومهموم^(٨)
يروم منها بناء غير مهدوم^(٩)
ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأراقيم بنو تلب .

(٢) الديوان : « وأعت عن خدي » . والنظم ، كزبرج : نبت يصبغ به .

(٣) المنصرم : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) التاتل : المطاء . والأدم : الجلد .

(٧) الديوان : « ولما » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الثاني ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مهموم » .

وكان ملكا شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعلب .

* * *

قوله « لَيْتَهُ » ، أى أجبته . ممتطياً : راكباً . شِمْلَةٌ : ناقة سريعة . منتضياً :
مجرداً . عزمة مشمعة ، أى عزمة سريعة لاتوانى فيها . الراسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالى ، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
للثل بإلقاء الراسى وشدة الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سَبَتْ : حَلَقَ ،
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلّقوا رموسهم . أفرغ : وُضِعَ ليصنع . والقالب :
الذى تطيع فيه الدرهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصَبَّتْ فى قالبه ، فيريد
أن هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ فى قالب الجلال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد فى الحسن والجمال]

ونذكر فى هذه اللقاة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل فى الملمان من الأشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعها من كل
مقامة يقع فيها ذكر الملمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحر ، وقد تضرب فيه
الصفرة مع طول المكث فى الكِنِّ والتضخخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدهى .
وقال أعرابي :

وما تطيّبت من صفراء خالية كالعاج صقرها الأكنان والطيبُ
وقال آخر :

كأن لون البيض فى الأدهى لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضخخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفوته .

وقالوا : إن الجارية الحناء تلون بلون الشمس ، فهى بالضحى يضاء ،
وبالضحى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العثية كالعرارة^(١)

العرار : البهار .

وقال الحريري في الدرّة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحتل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السنّة الحمراء للجدبة^(٤) ، وكُنُوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هَجَانٌ عليها مُحْمَرَةٌ في بياضِها تَرُوقُ لها العَيْنانُ والحَسَنُ أَحْمَرُ
فإنه عني به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كرّرت بصرك فيها زادت حسنًا .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجليل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من المُلْحَة^(٦) ؛ وهي البياض ، والصَّبِيحَة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق بصفر ، ومنه قولهم : دباج الوجه ، يريدون تلونه من رقيقته .
وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

حُمْرَةٌ خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائلٌ ديباجاً

(١) ديوانه ١٥٣ ، والعرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة النواص ١٠٤ .

(٣) القرة : « يحمر » .

(٤) القرة : « لسنّة الجدبة حمراء » .

(٥) في القاموس : « الجليل : الشحم القائب » .

(٦) في القاموس : « الملحّة : يابس يخالط سواد » .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

بِالْوُلُوءِ يَنْبَغِي الْمَقُولَ أَنْيَقَا وَرَشَا بِنَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقَا^(١)
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمْتُ بِمِثْلِهِ دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَلْفَيْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاهِ غَرِيقَا
 يَأْمَنُ تَقْطَعُ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقَا !

وأعاد معنى : « دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَّسَنِ لَطْفَ الْحَيَاءِ بِلُونِهِ فَأَصَارُهُ وَرَدًّا عَلَى وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَأَةٌ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ : لَقَدْ أَصْبَحْتَ جَمِيلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَاءِ الْحُسْنِ وَلَا عُمُودِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عُمُودُهُ
 الشَّطَّاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا : الْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحُسْنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَاةُ
 فِي الثَّمَنِ .

وقال بعضهم : الظَرْفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبَرَاةُ فِي الْجِيدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخَصْرُ ، وَالشَّأْنُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَلِلدَّارِ عَلَى الْعَقْلِ .

وقال علي بن عبيد الرِّيحَانِي : الْحُسْنُ تَنَاسُبُ الصُّورَةِ ، وَزِينَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الجُسنِ ، فقال : أَمَا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتَانِ

(١) مطبع الأندلس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام .

وثلاثة بينهما ، ليست من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحه ،
وبراعة فصاحة ، والخلة الثالثة نسيها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق ،
وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجَلَّب بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أغاس عبقّة من كبدسليمة ، ومزاج معتدل ، ونفث نقي^(١) ، قال امرؤ القيس :
ألم تر آني كلما جئت طارِقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب^(٢)
ويحكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، لثلاثين سنة بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه
يقول : مرحباً بزائر لائِل .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرّد ، وكان أبو العباس
يلزم حلقته وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَنِيَتْ الكلامَ^(٣)
وقفَ الجمالَ بوجهٍ فسمتُ له حلقُ الأنامِ
حركاته وسكوته يُجَنِّي بها ثمر الاثامِ
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ^(٤)
لم أعدُ أفعل المفا ف ، وذاك أكدُ للغرامِ
نسي فداؤك يا أبا العباس يا جِلَّ اعتصامي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والنثر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والآيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألباء ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ تَزَرُّ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنَّ لَهُ مَا دُونَ الْحَرَامِ فَلَيْسَ تَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

وَالْوُكُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجِيَّةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوَّلِيَاءِ وَأَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، فَمِنْ دُونِهِمْ
مِنَ السُّوقَةِ وَالنُّوْغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاةِ الْأَرْضِ يَطْيِبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيْبِ
الْتُّرْبَةِ يَطْيِبُ تَبْعُهَا ، فَهِيَ الْمَذْبُوبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ
حُبُّهَا ، فَهِيَ الْمُسْتَحْسَنُ وَمِنْهُ الْمُسْتَقْبَحُ .

• وَكَلَّ إِنَاءَهُ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ •

فِي كِتَابِ الْوُشَاحِ : الْمَشْقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوَّ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ؛ فَمَنْ اتَّقَى
اللَّهُ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَحَبَّ النَّاسَ
بِالْهُوَى ، لِأَنَّهُمْ بَطَاعَةٌ مِنْ يَهُوَّ وَنَهْ ، وَلَيْشَقَّ عَلَيْهِمْ سَخَطُهُ ، وَيَسِرُّهُمْ رِضَاهُ ؛
فَيَسْتَدَلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ
غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازَقُهُمْ مُبْتَدِئٌ لِمَنْ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنَّهُمْ طَاعَةُ
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُتَّبَعَ رِضَاهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،
وَحِينَئِذٍ شَكَلَ إِلَى شَكْلٍ ، وَمُؤَالَفَةٌ إِلَى الْإِلْفِ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعِيُونَ
إِلَيْهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لَا عَاشِقَ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْتَفًى كَدِّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ
فِرَاقِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جملاً وُبَيْنة لوقعا لينتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المعشوق أن يكون تمّن يؤيس ويُطعم ، ويستتر ويلع ، ويبدو ويُحجب ، وبابن ويصعب ، ويرضى ويُسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه

في المجر فهو الدهرَ يزجو ويتقى^(١)

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى

بحالٍ لدمعِ المقلّةِ المترقِّقِ

والحسن أول سعادة المرء ، ورائد اليُمن ، وسائق التُّجح ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، ويشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . وقَلما تَجِدُ الخلقُ إلا تبعاً للخلق ، تناسباً بطرد ، وأصلاً لا ينعكس ، وإجماعاً لا ينفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيتَه أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنيةً ، فهو أوّلَى مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يعذب حسان الوجوه ، سُود الخدق» .

وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضىء الوجه ، فأقدمه وراء ظهره ، وقال : إنما أتى أخى داود من النظر .

وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام ؛ وكأنه يصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثاني .

يَأْمَنُ تَسْرَبَلُ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلِيهِ تَعْتَكِفُ الْعِمُونَ إِذَا بَدَا
فِيْرِي هِلَالًا زَاهِرًا وَيَرَى قَضِيْبًا نَاضِرًا وَيُرَى كَثِيْبًا أَمْلَدَا
فَإِذَا نَهَضَتْ تَرْجَرًا وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَاجَا وَإِذَا مَشِيَتْ تَأَوَّدَا
فَتَرَى الْجَبِيْنَ كَتَاجَ مَلِكٍ زَانَهُ دَرَّ تَرَاهُ مَفْرَقًا وَمَنْضَدًا
وَيَحْمُولُ ذَاكَ الرَّشْعَ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسَمِيْنِ جَرَى بِهِ قَطْرُ النَّدَى
الْوَجْهَ فَضَى أَحَاطَ بِوَجْنَتِيْ ذَهَبٍ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِيْنَ زَبَرٌ جَدَا
وَفَمَّ عَقِيْقَتِيْ تَضَمَّنَ لَوْلَا رَطْبًا وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمَرَدَا
وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِيْ^(١) :

وَأَعْيَدَ أَهْدَى تَرْجِيًّا مِنْ مَحَاجِرٍ وَتَقَى فَأَبْدَى سَوَسَنًا مِنْ سَوَالِفِ
وَقَدَمَ مَاجٍ مِنْ عِطْفِيَّةِ مَاءِ شَبِيْمَةٍ تَعْبَ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرِ الرُّوَادِفِ
تَطْلُعُ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسَطَةِ قَامَةٍ وَفَتَكَةُ الْحَاضِرِ وَلَيْنَ مَعَاطِفِ
وَلَا بَنٍ وَكَيْع :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِدَائِمِهَا جَمِيْعَ ذُنُوْبِهِ^(٢)
إِذَا كَانَ فِي تَعَذِّبِ قَلْبِي رَاحَةً لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعْذِيْبِهِ
وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِيْ :

يَارَبَّ وَضَّاحَ الْجَبِيْنَ كَأَنَّمَا رَسْمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتَيْهِ كِتَابُ^(٣)
تُفْرَمِيْ بِطَلْمَتِهِ الْعِمُونَ مَلَاةً وَتَبِيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
خَاسَتْ^(٤) عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَاةً تَذْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّحَابِ شَابُ

(١) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ الْفَنَجِ بْنِ خَفَاجَةَ ، وَالْأَيَاتُ فِي دِيْوَانِهِ ٣٣٦ .

(٢) نَيْمَةُ الدَّعْر ٢ : ٣٤٠ ، وَبَعْدَهُ هُنَاكَ :

النَّجْمُ يَكْلُمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّحَى مَعْقُودَةٌ بِطُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) دِيْوَانُهُ ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُطُوءَةً حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ
بمدّةٍ على الواشيان ذنوبُهُ ومن أين للوجه الجليل ذنوبُ !
ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلّقه نَشْوَانٌ من خمرِ رِيقَةٍ له رشها دوني، ولي دونها السُّكْرُ^(١)
ترقرق ماء مُمُتَلَتَيَّ ووجْهُهُ وبذكي على قلبي ووجنته الجُرُ
أرق نسيبي فيه رِقَّةٌ حسنه فلم أدر أئى قبلها منهما السَّحْرُ
وطبنا معاً نفراً وشعراً، كأنما له منطقي نَفْرٌ، ولي نَفْرُهُ شعْرُ

وَقَدْ اعْتَلَقَ شَيْخٌ بُرْدَنِي، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِي، وَالْعَلَامُ
يُنْكِرُ عِرْقَتَهُ، وَيُكْبِرُ قِرْقَتَهُ، وَالْخِصَامُ يَنْهَمُ مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ،
وَالزَّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْتَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَضِيَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدِّ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ،
وَيَمْلَبُ حُبَّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَعَ إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسَّلِيمِ فِي
عَدْوَتِهِ.

• • •

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردني »، أي تعلق بكه وأطراف ثوبه . فتك : قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله ، أو تكمن له في موضع لا يعرف بك ، فإذا أنك قتلته ، ثم سُمي من هجم على الأمور العظام فاتكاً ، فإذا أدخلت

رجلاً منزلاً أو موضعاً لا مغيث له فيه ، قتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً
يخافك فأمنته وآنته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك الغدر . عزفته : معرفته . يُكبر :
يراهُ أمراً كبيراً . قرفته : تهمة ، وقد قرفته بذنوب ، إذا حملته عليه وأتهمته به ،
وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللد :
اشتدّد الخصاص . التنافر : التحاكم . يزن بالهينات : يهتم بالقبائح ، والهينات :
الدواهي والهنّ والهنة من الكنايات العامة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر
بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاية]

قوله « ويغلب حبّ البنين على البنات » نذكر هنا من الولاية التهمين بهذه
الهينات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكثم^(١) ، كان
مشتهراً بحبّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ،
وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القاتل في صفة الغلمان :

أرمة تَشَقُّ الحَاضِمْ فَعَيْنٌ مِنْ بِمَشْتَمِهِمْ سَاهِرَةٌ
فَوَاحِدٌ دُنْيَاهُ فِي وَجْهِهِ مُنَافِقٌ لَيْسَتْ لَهُ آخِرَةٌ
وَأَخَرُ دُنْيَاهُ مُنْقَوِصَةٌ مِنْ خَلْفِهِ آخِرَةٌ وَآفِرَةٌ
وَنَالَتْ فَازَ بِكَلْبَتَيْهَا قَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ
وَرَابِعٌ قَدْ ضَاعَ مَا بَيْنَهُمْ لَيْسَتْ لَهُ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ
فَاسْتَعْظَمَهَا الْمَأْمُونُ وَعَزَلَهُ عَنْهُمْ .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد
ركب الجند أمامه ، ويحيى يحاذيه ويضاحكه ، فنظرت إلى غلام أمّرد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاء لوكيع
١٦١ : ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٠٦ ، ١٠٧ .

الجند في غاية الفَراخَة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب .
 قالت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
 إن هذا لتبجح من إمامٍ مع قبيحٍ مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحد في الزناة ولا يرى على من يلوط من باسٍ
 قال : من عليه لعنة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم^(١) ، الذى يقول :
 أميرنا يرگشی وحا کُمنّا يلوط والثبر بيننا راسي
 قاضي يرى الحد .. البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينقضى وعلى الأمة والى آل عباس^(٢)
 قال : أوصحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقى إلى التند ، وإنما ما زحناك ، ثم
 قال للأمونى الغلام :

أيها الراكب ثوباً • حريراً وحديدُ
 جئت للعيد وفى وجهك للأعين عيْدُ
 أنت جندي ولكن فيك للهن جنودُ
 وفى يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يأيت يحيى لم يلد له أكنمه ولم تطأ أرض العراق قلنمه^(٣)
 ألوط قاضي في البلاد نلنمه أى دواة لم يلقها قلنمه
 * وأى جحر لم يلجه أرقمه^(٤) *

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) المضاف والمنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر في المضاف والمنسوب بعد الآيات : « فقال يحيى : دواتك أيها الأمير » .

(٢٥ - شرح مقامات الحريري ١)

وهذا كقول الآخر :

• يَدْخِلُ الْأَنْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ •

ويمحي خُرَاساني من مَزو . وبلغ من تحمكه على اللأمون أن فرض لأربعمائة غلامٍ مُردٍّ ، واختارهم حِسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِي انْظُرَا مَتَعَجِبِينَ	لَا تُرْفَ مِنْظَرُ تَقْلَاهُ عَيْفِي
لِفَرْصٍ لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أَسِيلُ الْخَلْدِ حُلُوُّ الْقَلَتَيْنِ
يَقُودُهُ إِلَى الْمِجْعَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّمَنِ بِالرُّمَحِ الرَّدِّيِّ
إِذَا شَهِدَ الْوَعَى مِنْهُمْ غَلامٌ	تَجَدَّلُ لِلجَبِينِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَهَاتِ الشَّيْخُ مَنْحَنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذَى الرِّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْعَدْلَ يَدِينَا فَأَعْقَبَنَا بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ
مَتَى تَصْلُحِ الدُّنْيَا وَيَصْلُحِ أَهْلُهَا إِذَا كَانَ قَاضِي السَّالِمِينَ يُلُوطُ

• • •

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي^(١) مولدًا بالعلمان ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويخصه بتفريه واستبدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَنْ لَأَمُهُ مَدْغَةٌ لَا ضَرْارَ الشَّعْرِ فِي مِمْ نَسِيمٍ
فَوَقَّعَ تَحْتَ الْبَيْتِ : نَم ، وَلَمْ لَا !^(٢)
وسند ذكر من شعره في هذه اللقاة ما يستلح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٤ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٠٣ .

(٢) المعجم في سجع الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشار الحمداني^(١) الذي يقول فيه المتنبي :

فيا بحرَ البُحُورِ ولا أُرَى وياملكَ اللوكِ ولا أحاشي^(٢)
كأنَّكَ ناظِرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفي عليك محملُ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشار أعوده من علة ، قلت : ما يَجِدُ الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأنَّ رضوان قد غفل عنه فأبقى من الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أُسَقِّمُ هذا الغلامُ جسي بما بينيه من سَقَامٍ^(٣)
فتورُ عينيه من دَلالٍ أهدى فتوراً إلى عظامي
وامتزجت روحه بروحي تمازجُ للماء بالمدام

ولأبي العشار :

سطا علينا ومنَ حازَ الجلالَ سَطَا - ظلي من الجنة الفردوس قد هَبَطَا
له عِذاران قد خُطَا بوجنتيه فاستوقفا فوق خديهِ وما انبَسَطَا
وظلَّ يخطو فكلَّ قال من شَغَفٍ : يا ليتَه في سواد الناظرين سَطَا !

ومع هذا الليل ، كان تزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في الجود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو أشعرُ الناس عند الأَكْثَرِيَّةِ ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجوّزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، - واعتنمت الراحة ، - مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشار :

(١) انظر أخبار أبي العشار في يتيمة الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه ٢٩١ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٧٢ :

أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي وَالْخَيْلَ مِنْ تَحْتَ الْأَسْنَةِ تَنْحَطُّ^(١)
لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخَطُّ بِدِ الْوَعْيِ وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأَسْنَةُ تَنْقَطُ
فَهَكَذَا تَسْتَعَارُ لِلْمَانِي الْبَدِيعَةُ فِي الْأَلْفَاظِ الرَّفِيعَةِ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ
لِلتَّنْبِي هَذَا التَّنَاء !

وَمَنْ وَصَفَ غَلَامًا فَأَحْسَنَ ، الْأَمِيرُ تَيْمِ بْنِ الْمَعَزِّ صَاحِبُ مِصْرَ ، حَيْثُ يَقُولُ :
وَبَاتَ ضَجِجِي مِنْهُ أَهْيَفُ نَاعِمٌ وَأُدْعِجُ وَسْتَانٌ وَالْعَسُ أَسْنَبُ^(٢)
كَأَنَّ الدَّجِي مِنْ لَوْنِ صُدُغِيهِ طَالِعٌ
وَشَمْسُ الضُّحَى فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ تَغْرُبُ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَيْلَةً بَاتَ فِيهَا الْبَدْرُ مَعْتَنِقِي وَكَانَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضُ جَلَّاسِي^(٣)
وَبَتْ مُسْتَفْنِيًا بِالْفَرْعِ قَدَحِي وَبِالْخُلُودِ عَنِ الثَّمَانِ وَالْأَسِ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَرَدُّ الْخُلُودِ أَرْقُ مِنْ وَرَدِّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ^(٤)
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَثْوُ فَوْذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُ
فَإِذَا عَدَلَتْ فَأَفْضَلُ الْـ وَرَدِّينَ وَرَدِّ يُلَمُّ
قَوْلُهُ : « نَدْوَتُهُ » ، أَيْ مَجْلِسُهُ .

[ذِكْرُ الشُّلَيْكِ بْنِ السُّلُكَةِ]

وَالسُّلَيْكُ ، هُوَ ابْنُ السُّلُكَةِ ، مَعْرُوفٌ بِأُمِّهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ سَوْدَاءَ شَدِيدَةً

(١) يَتِيمَةُ الذَّهَرِ ١ : ٧١

(٢) دِيَوَانُهُ ٤٠ ، ٤١ . الْعَسُ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّفَةِ . وَالسَّنْبُ : رَقَّةٌ وَعَذْوِيَّةٌ وَبَرْدٌ فِي الْأَسْتَانِ .

(٣) دِيَوَانُهُ ٢٥٠ .

(٤) دِيَوَانُهُ ٣٨٦ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .

وكان يسبق الخليل على رجله ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب - وهم الذين يسعون على أقدامهم ، ويسبقون الخليل ، فيستفنون بأرجلهم عنها - وكان من أشجع الناس ، وكان لا يغير إلا وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أى العرب كان أبغض لك أن تلقاه ؟ قال : أما من معد فعدى بن قزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأراقم من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ماخفت هيج أحد ، ما لم يلقى حراها أو عبداها ، قال : أما حراها فعامر بن الطفيل وعنتية بن الحارث بن شهاب ، وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب .

وأما عدوته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوه فزأ نزوة عد فيها بأربعا وعشرون خطوة ، وعد أيضا فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة . ويقال فى الثل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بحيلة مع تأبط شراً وعمرو بن براق : فرصتهم بحيلة على الماء ، فقال تأبط شراً : إن بالماء رصداً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بد من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شراً : القوم إنما يريدونى ، فلذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردت أنا الماء فيشدون على ، وبأسرونى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فعمال فاطقتى ، وقال عمرو : إني سأمرك أن تستأير لهم ، فلا تبع ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشدوا عليه ، وكنفوه ، وفعلوا

ما أمرهما ، فقال : تأبطشراً : بامعشر بحيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا ، ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال باعرو : هل لك في أن تستأثروا ويأسرونا في الفداء ؟ قال : حتى أروض نفسي شوطاً أو شوطين ، فجزى الأول كالريح ، والثاني كالخليل ، ثم أراد أن يجري ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطمعهم بذلك ، فقال لهم تأبطشراً : خذوا خذوا ، فأمرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجحوا ، فقال تأبطشراً من قصيدة :

ليلةً صاحوا وأغرأوا بي سراعهم^(١) بالميككتين لدى عمرو بن براق^(٢)
لا شيء أسرع مني غير ذي عذري^(٣) أو ذي جناح يحجب الربد خفاق^(٤)
فالثلاثة عداؤون ، والمثل مقصور على الشنفرى .

وأما السليك ، فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلقا صالحاه خرج يحص^(٥) كأنه ظبي ، فطاردها يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان الليل أعياناً فأنخذ ، ووجدوا أثر بوله قد خد^(٦) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما أشد متنته ! فبعثاه ليلتهما : فلما أصبعا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فنذر^(٧) منها كمكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانتحطمت ، فوجدوا قطعه منها قد ارتزت^(٨) بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى أهله ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلعها :

يا عييدُ مالك من شوقي وإبراقٍ ومَرَّ طيفٍ على الأهوال طراقٍ

والبيكان : موضع ، ورواية المفضليات : «معدى ابن براق» ، ومعدى مصدر ميمي من عدا يعدو .

(٢) العذر : جمع عذرة ، وهي ما قبل من شعر الناصية على وجه الفرس . والريد : الشمراخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح الذي يأوى إلى الجبل .

(٣) يحص : يسرع

(٤) الربد : يسرع

(٥) خد في الأرض : شقها .

(٦) ارتزت : سقطت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمَرَانِ: عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذَّبُ أكاذِبٌ^(١)
 تَكَلَّفْتُ كَمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسٍ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
 كَرَادِيسٍ فِيهَا الْخَوْفُ زَانٌ وَحَوْلَهُ فَوَارِسُ هَمَامٍ مَتَى يَدْنُجُ بَرَكِبُوا
 فَصَدَّقَهُ قَوْمٌ ، فَنَجَّوْا ، وَكَذَّبَهُ آخَرُونَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَأَكْتَسَحَهُمْ .
 وَمِنْ شَعْرِ السَّيِّكِ يَرْتَى فَرْسُهُ — وَكَانَ يُقَالُ لَهَا النَّعَامُ — وَأَنْشَدَهَا
 الْمُبَرَّدُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَامِلِ :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّعَامِ تَلَا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا تَحَارُ^(٢)
 عَلَى قَرَفَاءَ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتِهِ خَارُ^(٣)
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا قَفَرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا^(٤)
 وَيُخْضِرُ فَوْقَ جُنْدِ الْخَضِرِ نَضًّا بِصِيدِكَ نَافِلًا وَالْمَخْرَارُ^(٥)

أَيُّ بِصِيدِكَ . وَنَافِلًا : ثَانِيًا ، وَرَار : ذَائِبٌ مِنَ الْهَزَالِ ؛ وَحِكَايَةُ السَّيِّكِ ،
 عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَحِكَايَةُ الشَّفَفَرِيِّ عَنْهُ وَعَنِ الشَّيْبَانِيِّ ؛ وَكَلَّهَا عَلَى اخْتِصَارِ .
 وَنَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا ، فَأَكْرَمُوهُ ، وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلًا كَثِيرَةً ،
 وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاخَ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَقَصَ عَدُوُّهُ ، فَقَالُوا
 لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرَيْنَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدُوِّكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، أَبْقُوا لِي أَرْبَعِينَ شَابًا ،

(١) الْأَغَانِي ٢٠ : ٣٥٣ (طَبْعَةُ بَيْرُوت)

(٢) الْكَامِلُ ٣ : ٣ : ٦٩ ، قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : الْحَارُ : الصَّدَقَةُ ، يُرِيدُ الْمَلَاسَةَ
 وَأَنَّهُ قَدْ ارْتَضَتْ قَوَائِمَهُ لِلْمَوْتِ . وَالْأَصْلُ : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَالْأَصِيلُ : الشَّيْءُ .

(٣) قَالَ أَبُو الْبَيْاسِ : قَرَفَاءُ : مَمْدُودَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ ، وَشَوَاهُ : قَوَائِمُهُ .

(٤) قَالَ أَبُو الْبَيْاسِ : وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا ؛ إِذَا طَلَبُوا أَوْ مَرَبُّوا .

(٥) قَوْلُهُ . « بِصِيدِكَ » ، أَيُّ بِصِيدِكَ ، يُقَالُ : صَدَّتْكَ طَلِيَا ، قَالَ ابْنُ عَزَّ وَجَلَّ :

(وَإِنَّا كَأَلْوَمٍ أَوْ وَزَنُومٍ يُخْسِرُونَ) .

وأتونى بدرع ثقيلة عظيمة ، فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء .
عدائين ، فلبس سليلك الدرع ، ثم قال للشبان : الحقونى ، ثم عدّا عدّواً وسطاً ،
وعدا الشبان وراءه جهدهم ، فلم يحقوه حتى غاب عنهم ، ثم كرّ راجعاً حتى عاد
إلى القوم وحده يخطّر ، والدرع عليه ، وسبق الشبان .

وخرج فى ليلة مقمرة يطلب الإغارة ، فقلب عليه النوم آخر الليل ، فبينما هو
ملتف بكساء ، جثم عليه رجل مثله ، شديد البأس ، عظيم القوة ، وأمسك على
يديه ، ومنعه التحرك ، وجعل يلزمه ويؤذيه ، ويقول له : استأسر يا خبيث ،
فاجتهد سليلك حتى خلص إحدى يديه ، فضمّ الرجل إليه كعته ، وعصره عصرة ،
فصرط ، فقال له : أضرب طأ وأنت الأعلى^(١) ! فأرسلها مثلاً ، فلما تخلص منه ،
قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت قلت : لأخرجنّ ولا أرجع إلى
أهل حتى آتيهم وأنا غنى . فقال له السليل : انطلق معى ، فانطلقا فوجدا ثالثاً ،
قصته قصتهما ، فاصطحبوا حتى أتوا وادياً لمراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نهم ،
قد ملأ نواحيه من كثرته ، فقال لها السليل : كونا قريباً منى حتى آتى الرعاء ،
فأعلم علم الحى : أهو قريب أم بعيد ؟ فإن كان قريباً رجعت ، وإن كان بعيداً
أوحيت إليك بقولى فأغيرا . فأتى الرعاء فاستخبرهم عن الحى ، فأخبروه
ببعد الحى ، وأنهم إن طلبوا لم يدركوا ، فقال للرعاء : ألا أغنيكم ؟ قالوا :
بلى ، فرفع صوته ففقى :

يا صاحبيّ ألا لا حى فى الوادى سوى عبيد وآم بين أذواد^(٢)
أنتظران قريباً ريث غفلتهم أم تغلوان فإن الريح للمادى !
فلما سمعا ذلك أتياه ، وطردها الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصربخ الحى ،
حتى فأتوا بالإبل^(٣) .

(١) الليلى ١ ٤٢٠ ، ٣٤٣ : الأمتال ١ : ١٣٠

(٢) الريح هنا : القوة

(٣) الشعر والشعراء ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العراب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السلبك من أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع
 الماء بيض النعام في الشتاء ، ويدفنه في القاوز المظيعة ، فإذا كان الصيف
 واقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

* * *

قوله : «عِدْوَتِهِ» ، العِدْوَةُ بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فيريد
 الحريرى أن يسارعها إلى الوالى كان كمدوة السليك .

* * *

فَلَمَّا حَضَرَاهُ ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ ، وَاسْتَدْعَى عِدْوَاهُ . فَاسْتَنْطَقَ
 النَّعْلَامَ وَقَدْ فَتَنَهُ بِمَحَاسِنِ غُرَّتِهِ ، وَطَرَّعَلَهُ بِتَصْفِيفِ طُرَّتِهِ ، فَقَالَ :
 إِنَّهَا أَفِيكَةُ أَفَاكِ ، عَلَى غَيْرِ سَفَالِكِ ؛ وَعَضِيهَةٌ مُحْتَالِ ، عَلَى مَنْ لَيْسَ
 بِمُحْتَالٍ . فَقَالَ الْوَالِىُّ لِلشَّيْخِ : إِنَّ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنَّهُ جَدَّلُهُ خَاسِيَا ،
 وَأَفَاحَ دَمُهُ خَالِيَا ، فَأَنْتَ لِي شَاهِدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ نَمَّ مُشَاهِدًا وَلَكِنْ
 وَلَّيْتُ تَلْقِيْنَهُ الْيَمِينَ ، لَيِّينَ لَكَ : أَيُصَدِّقُ أَمْ يَمِينُ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 لِلْمَالِكِ لَدَلِكَ ؛ مَعَ وَجْدِكَ الْمَتَّهَالِكِ ، عَلَى ابْنِكَ الْمَهَالِكِ !

* * *

واستدعى عدواه ، أى طلب إغائته وأعداء الحاكم : أغائه . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء النعام

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لمجته من بهجته ^(١) » . وكذلك لم يرِدِ الوالى أن يستنطقه ليقول . حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب إبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه لَقِيَ غلاماً جليلاً الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصوّر فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقه الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحُكماء ، لما جعلوا السبيل لثلى إلى مثلك بقولهم : لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، أما أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : نئن قلت ذلك أيها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قارنها بالمواقفة ، وكيانى مائل إلى كيائك بكليتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عَرَضاً لم أعتد به ودّاً ، ولكنه جوهر جسى ، فبقاؤه بقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فَتَبَيَّنْى أَنِّى بِكُمْ كَلِفٌ ثُمَّ اصْنِى مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ ^(٢)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محلّ مقيم ما تعرّضت لك ، ثم اعتلقه النظام بعد ، وقال فيه جرياً على علمه :

(١) متن اللغات ص ٢٧٣ (طبع الحيفية) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسب إلى أبى صخر (طبع مدنى) .

توهمه طرفى فآلم خذّه فصار مكان الوهم من نظرى أثر^(١)
وصافيه كفى فآلم كفه فنّ لس كفى فى أنامله عفر^(٢)
ومرّ بفكرى خاطراً فجرحتّه ولم أر خلقاً قطّ يجرحه الفكر^(٣)
وقال فيه أيضاً :

وإذ تأمل فى الزّجاجة ظلّه جرحته لحظة مقلة الظلّ
وقال فيه أيضاً :

أفرغ من نور سماوى مصوّر فى جسم إنسى
وافتر الحسن إلى حسنه فجلّ عن تحديد كفى
وقال فيه :

بأ مشرقاً ملأ العيو ن فلحظها ما يستقل^(٤)
أوفى على شمس الضّحى حتى كأنّ الشمس ظلّ
أريد قتلى عامداً ولقتل مثلى ما يحلّ !

فصرّف فى شعره من صناعته ، وأبدع فى تخيله ببراecته .

* * *

قوله : « غرته » ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . تصيف طرّته : شعره
المتدل على جبهته . أفىكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيه : بهتان .
وباطل . مقاتل : قاتل العيلة . استوف : استكمل . جدله : صرعه وألقاه على

(١) أمالى الرضى ١ : ١٨٨

(٢) بسندى أمالى الرضى :

يمرّ فنّ لينّ وحسن تمطّف يقال به سكرّ وليس به سكرّ

(٣) ديوان المعاني ١ : ٢٣٩

الجدالة . وهي الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه قهره ومنعه أن يصبح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمزة فسَّهله ليوافق « خالياً » إن أخذته من خسات السكب ، وإن أخذته من خَسَى البصر إذا كَلَّ ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهمله : أراقه . قال أبو زيد في نوادره : أفضت دمه ففاح فيحاً وفيحانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجحججاً ولم ندع لسارح مراحاً

* إلا دياراً أو دماً مفاحاً *

وقال أبو حاتم : أراد : ودماً مفاحاً أى مُهراقاً . خالياً : بمعنى « مفرداً » . أى ، بمعنى كيف . مُشاهد : من شاهد حاله وحضر عليها . وَلَّى : مَكَتَى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجذك : حزنك . التهاالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى ^(١) :
تهاالك حتى ينكر المرء عقله ونسبى الحكيم ذا الحجى بالتقتل ^(٢)

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْفَلَّامِ : قُلْ : وَالَّذِي زَيْنَ الْجَبَاءِ بِالطَّرِ ،
وَالْمَيُونَ بِالْحَوْرِ ، وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ ، وَالْمَبَاسِمَ بِالْفَلَجِ ،
وَالْجُفُونَ بِالسَّقَمِ ، وَالْأَنُوفَ بِالشَّمَمِ ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ ، وَالْثَنُورَ
بِالشَّنْبِ ، وَابْتَنَانَ بِالْتَّرَفِ ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ ، إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ

(١) الحسان - فيج ، ونسبه إلى أبي حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة في مشيها : تمايلت .

مَهْوَا وَلَا عَمْدَا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسْتِنِي عَمْدَا، وَإِلَّا فَرَحَى اللَّهُ
جَفْنِي بِالْعَمَشِ، وَخَذَى بِالنَّمَشِ، وَطُرَّتِي بِالْجُلْحِ، وَطَلَعِي بِالْبَلْعِ،
وَوَرَّدَتِي بِالْبَهَارِ، وَمَسَسَكْتِي بِالْبُخَارِ، وَبَدَرِي بِالْحَقِاقِ، وَفَضَّتِي
بِالْأَحْتِرَاقِ، وَشَمَاعِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ.

° ° °

قوله : « الذي زَيْنَ الجباه بالطَرَر . . » ، إلى آخر يمينه ، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء ، يُرى هذا الوالى كمال الغلام ، فيشتدّ حبه فيه ، فإذا ذكر صفةً
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها ، فوجدوها كما يصف ، فهو الآن في
هذه اليمين يحلو محاسن الغلام عليه .

الطَرَر : جمع طُرّة ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة ، والطُرّة عندهم أن يقطع
للجارية من مقدّم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبها ، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبها من جبهتها ثقيلاً ، والشعر عليها معتدل ، كطُرّة الثوب ثم تستى
الشعور الحسن طُرراً .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فائتات : الشعر
الحسن ، والوجه الحسن ، والصوت الحسن » .

عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملائكة السماء
يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال ، فيقولون : سبحان الذى زَيْنَ الرجال
باللحى ، والنساء بالدوائب » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن
شعرها كما يسأل عن وجهها » .

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه وصف طرة هذا القلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجمل الناس وأذكهم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، قال فيه :

أكرم بحفير اللبيب فإنه ما زال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
 ماء الجلال بخدّه متفرقٌ فالعين منه تجول في صَحْصَاح^(٤)
 ما خدّه جرحته عيني ، إنما صَبَّغَتْ غِلَالَتَهُ دِمَاءَهُ جِرَاحِي
 لله زائِرٌ زرجد في عسجدٍ في جوهرٍ في كَوْنٍ في رَاحِ
 ذى طُورَةٍ سَجِيَّةٍ ذى غُرَّةٍ عاجية كالليل والإنباح
 دُشاً له خدّ البرى ولحظه أبداً شريك الموت في الأزواج



[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الخور في المئين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم مدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في المئين يُمن» .

(١) ط : صارة ، تصحيف . (٢) فتح الطيب : «وأذكهم» .

(٣) فتح الطيب : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي القاسمي .

(٤) الضحاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضمار العبدى : إنك أحر ، قال : والذهب أحر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بسينيك زُرْقَه كذاك عتاق الطير زُرْق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَه ، قلت لهم بذاك تمت خصاله البهيجة^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقها كم بين ياقوتة إلى سبجته!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الظباء الأزرق الأزرق القباء
يحول في مقتلته طرفي في زُرْقَة الماء والماء
يا بأبى الشقر ما عليهم من ذلك النور والبهاء
شُقْرَة شمر على بياض شمع شمس على هواء

وكل هذا اعتذار حامى على وفق مدح سواد الألوان ، ولسواد الألوان في
التاسعة فصل مستطرف قف عليه .

واختلفوا في الحور ، قال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الطيبة الحوراء : السوداء العين التى ليس في عينها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنسان ، إنما يكون في الوحوش .

وقال يعقوب : الحور سمة العين وكبر للقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنة الحاجر ، صفرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح و ر » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدمك الشديد البياض ونحوه ، وقلاً يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضي التنوخي في أحور :

حَوْرٌ بعينه أطال تحيّرِي ترك الدموع بخدّي المتعصِفِرِ^(١)

غصن تأود فوق غصن من شأ ليل تبلّح عن نهارٍ مُسْفِرِ

كالشمس إلا أنه متنفّس عن مسكٍ متبسمٍ عن جوهرِ

والبَلَج : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر ، وهو من علامات

السيادة عند العرب ، ويُتمدّح به ويُتَمَن بصاحبه ، ويُتَطَيّر بمقرون الحاجبين ؛

ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلُ الحَيّا أبلجُ الوجه واضحٌ حلِيمٌ إذا ما زلزلته الزَّلَالِرُ

الفَلَج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فالج ثفره فلجاً ، وهو

مستحبٌ في الثغر . قال وجيه النولة : وهو ما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافاً

ذكرها الحريري رحمه الله هنا :

إذا عدم الرّؤسُ المنوّرُ ناظري أرائيه ظليّ فاطر الطرف أدعجُ

فصدغاه ريماني وعينة ترّجسي ومن ثفره لي أخصوان مفلجُ

وواحرَ بآ من حسن وردٍ بخدّه بَطِيفٌ به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات في يتيبة للحر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بسده في اليقظة :

وأطالَ من ليلى وقصر ليله أتى سهرت وأتته لم يسهر

الجنون : أعطية العيون ، ثم تسمى العين جفناً مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطابٌ بحديث من نديمٍ مساعدٍ وساقية بين الراحق والحلم^(١)
ضعيفة كرت الطرف تحجبُ أنها قريبة عهد بالإفاقة من سُقم
وقال أيضاً :

وشادنٍ قال لي أما رأي سقي

وضعف جسمى والدَّمع الذي انسجماً

أخذتَ دمعك من لفتي ، وجسمك من

خصري ، وسُقمك من طرفي الذي سقمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو إليه رقيم

وقال ابن الزقاق :

ومقلِّ شادنٍ أودتْ بحسبي كأنَّ السُّقمَ لي ولها لباس^(٢)

يسلُّ اللَّحظ منها مشرفيها لقتلي ثم يهـ — دُهُ النَّعاسُ

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهامِ مالها غرضُ إلا فؤادي وما منها له عِوضُ

(١) ديوانه ٣٢ ، حاشية ابن الجبلى ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبه :

تفوق مالى من طريف وتالذ تفوق الصَّبياء من حلب الكرم

قال : قوله « تفوق مالى » هو من القوافي ؛ وهو ما بين الحبيبتين .

(٢) ديوانه ١٩٤

وعمرى بخفوفٍ كلها سقمٌ صحت وفي طبعها التمرض والمرض
 امن ولو بخيالٍ منك يؤنسني قد يدّ مسدّ الجوهر القرض
 الشم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجلال والسؤدد ،
 قال الفرزدق :

بكنه خيزران ريمه عبق من كفّ أروع في عرينه شمم^(١)
 يمضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين ينقسم
 وقال آخر :

في باعه طول وفي وجهه نور وفي العرين منه شمم
 وقال النابغة^(٢) :

• شمم العرائن ضرابون للهام •

الذهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبّه الحرة في الخلد وضياء بحمرة النار ،
 وكني به أبو لهب لجلاله .

وقال ابن وكيع : لجمع الشمم والذهب :

واحزني من جفون ظبي أقام عذري بها عذاره^(٣)
 أسقم جسى بسقم طرفي حيرني في الهوى حورارُه
 عجبت من جمر وجنتيه يحرقني دونه استداره
 هو اختياري فأبصروه^(٤) شاهد عقل النقي اختياره

(١) ديوان الحماسة - يهرح الرزوقي ١٦٠١ .

(٢) ديوانه ٧٣ . وصدده :

• مستحقني حلق للاذى يقدّمهم •

(٣) بنية الدهر ١ : ٣٤٧ ، وفيه : « وأحري » .

(٤) البنية : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ وَهُوَ عَلَى خَدِّهِ مُدَارٌ^(١)
يَتَّ مِنْ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ حَجَّ مَدَى الدَّهْرِ وَاعْتِمَارٌ

ولابن الزقاق :

بَأْبَى مِنْ لَمْ يَدْعَ لِي لِحْظُهُ فِي الْمَوَى مِنْ رَمَقٍ مَنُذِرُ مَقَى^(٢)
جَلَّتْ نَكَبَتُهُ فِي قَمَرِهِ عَبَقًا فِي نَسَقٍ يَسِي الْحَدَقِ
وَبَدَتْ خَبَلَتُهُ فِي خَدِّهِ شَفَقًا فِي فَتَقٍ تَحْتَ غَسَقِ

وقال الخفاجي^(٣) :

بَابَانَةٌ تَهْتَزُّ قَيْنَانَةٌ وَرَوْحَةٌ تَنْفَحُ مِنْ طَارَا
كَمَدَمْعٍ عَيْنٍ فِيكَ قَدْ أَجْرِيَتْهُ وَقَلْبَ صَبٍّ فِيكَ قَدْ طَارَا
كَتْنَى فَتَنَى قَوْسَهُ حَاجِبًا رَمَزًا وَسَمَى النَّبْلَ أَشْفَارًا
فَإِنْ رَمَى يَمْرَحُنِي طَرْفُهُ لَحَظَتُهُ أَجْرَحُهُ نَارًا
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ وَأَصْبِغُ الْأَلْوَانَ أَزْهَارًا^(٤)
بُدِيرُ اللَّاعِينَ مِنْ وَجْهِهِ كَعَمْبَةٍ حُسْنٍ حَيْثُمَا دَارَا
قَدْ طَبَعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَمًا نَسَبَكَ مِنْهُ الْعَيْنُ دِرْهَمًا
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجْهُوسِيَّةٌ تَعْبُدُ مِنْ وَجْنَتِهِ نَارًا

غيره :

وَأُعِيدُ تَدْنَى وَجْنَتَهُ مِنَ الشَّعْرِ تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صُدُودِي بِالْشُعْرِ
غَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلَّتْ أَجْرَحُ خَدَّهُ مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقَصَاصُ مِنَ الْجُرْحِ

(١) بَيْتَةُ الدَّهْرِ ١ : ٣٣٣ .

(٢) دِيْوَانُهُ ٢٠٨ .

(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلْجَةَ ، وَبُورِفَ بِالْمَخَاجِي أَيْضًا ، وَالْأَيَّاتُ فِي دِيْوَانِهِ ١٧٥ م .

(٤) الدِّيْوَانُ ٥ وَأَصْبِغُ التَّوَارِ ٥ .

التمنور : جمع تمر وهو السن . وتقدم الشنب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب القم :

ذكرتكِ بالفتح لِمَا شَمُمْتُهُ وبالراح لما قَابَلَتْ أوجهَ الشَّرْبِ^(١)
وتذكرتِ بالفتح منكِ سَوَالِفًا وبالراح طعمًا من مَقْبَلِكَ القَذْبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بأبي فَمُ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ اللِّزَاقِ بَأَنَّهُ عَذْبُ
كشَادَةِ اللَّهِ خَالِصَةٍ قَبْلَ الْعِيَانِ بَأَنَّهُ الرَّبُّ

وقال أحمد بن محمد الفاسي :

له مَبِسمٌ بِرُفْهِ خَاطِفٌ عَقُولَ الرِّجَالِ إِذَا مَا ابْتَسَمَ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَأَ دُرَّتَهُ شَهِدْنَا لَصَانِهِ بِالْحِكَمِ
أَرَى الدَّرَّ تَتَقَبَّهِ النَّاظِمُونَ وَمَا تَقْبُوا إِذَا فَكَيْفَ انْتَضَمَ!

وقال أبو بكر البلوي :

تَقَطَّفُ مِنْ نَغْرِهِ وَوَجَنَّتِهِ أَنَا مُلُ الطَّرْفِ زَهْرَةً عَجَبًا
شَقِيقَهَا مُذْهِبًا يُرَى خَجَلًا وَأَصْحَوَانَا مَفْعَضًا شَدْبًا

وقال ابن بشر الكاتب^(٢) :

وَلَمْ تَزَلْ ، وَالظَّلَامُ حَارِسُنَا جَسْمَيْنِ مُسْتَوْدَعَيْنِ فِي جِسْمِ
أَلَمُهُ فِي الدُّجَى وَبَرَقَ ثَنَا يَاهُ يَرِينِي مَوَاقِعَ اللَّثَمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والآيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

ثم افترقنا عند الصُّباح وقد أثر فيه كهشة الخشم

وقال الشريف الرضي :

بقنا خجيمين في نوبى هوَى وتقى بلفنا الشوق من فرقٍ إلى قدم^(١)

وبات بارق ذاك النغر يُوضح لى مواقع اللثم في حاجٍ من الظلم

وقال المتنبي :

حسان الثنى ينقش الوشى مثله إذا مشن في أنوابهن النواعم^(٢)

وييسمن عن درٍ تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمبايم

فهذه معاني مختلفة في أوصاف النغر كلها حسان .

• • •

قوله : « والبنان بالترف » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في ذلك قول النابغة :

بمخضِبٍ رخصٍ كأنَّ بَنَانَهُ عَمَّ يَكَادُ من اللِّطَافَةِ يُمَقَّدِ^(٣)

فهذا تشبيه بديع .

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخصٍ غير شَنِ كَانَهُ أسارِعُ ظَلِيٍّ أو مساويكُ إسجِلِ^(٤)

وقال غيره :

يا قرأ أبصرتُ في مائمه يندُبُ يشجوا بين أتراب^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « في أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأعاني ٣ : ١٣٠

أُبرِزَه المَاتِم لى كَارِهَمَا
بِكى فِينْرِى الدَّر من نرجس
من بين رَابِتٍ وَحُجَابٍ
وَيَلَطُمُ الْوَرْدَ بَعْنَابٍ
وقال عكاشة^(١) :

سَقِيَا لِمَزَلْنَا الْوَدَى كَا بِهِ
إِذْ نَحْنُ نَسْقَاهَا شَمُولًا قَرَفَا
يَوْمَ الْخَيْسِ عَشِيَّةً أَصْحَابَا
تَدْعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابَا
من كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا
وَكُنَّ يُعْنَاهَا إِذَا ضَرَبَتْ بِهَا
تُنَلِّقُ عَلَى يَدِهَا الشَّمَالَ حِسَابَا

وقال آخر :

وَحُورَاءُ الْوَاحِظِ بَيْنَ قَلْبِي
تَرَى مَاءَ النِّعَمِ يَحُولُ فِيهَا
وَبَيْنَ جُفُونِهَا حَرْبُ الْبُؤْسِ
كَثَلُ الْخُرْقِ فِي صَافِي الْكُثُوسِ
كَأَنَّ بَنَانَهَا أَقْلَامُ عَاجٍ
مَرَصَّةُ الرَّأْسِ بَابُوسِ

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسندكر معها ما يستظرف ،
وقد تقدم قول ابن عبدربه :

بَا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا^(٢)

وقال ابن الرومى :

وَهَبْتَ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا
ظَلْمِي كَأَنَّ بَحْضَرَهُ
فَأَتَانِيَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
مِنْ ضَمْرِهِ ظَلْمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد المصمى ، منسوب إلى بني المصم ، من شعراء الأغاني ،
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .
(٢) مطبع الأضنى ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَى وما سَلَى تَفُوقُ اللَّيِّ
وَسَاحِهَا يَحْسُدُ خَلْخَالَهَا
والحسنَ أوصافاً وألواناً
كجائعٍ يحسُدُ شَبَعَانَا
وقال كشاجم في مقلوبه :

مَسْزُلة الكَلِّ غير بطن
حَجَّوْها الدهرَ في اضطرابٍ
مَنْقَلٍ فِي عَمَكِيوتٍ
ووشحها كاظمٌ صموتٍ
وقال حبيب :

مَهْمَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَانَا أَوَانِسُ
مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صُيِّرَتْ
قَنَا الْخَطَا إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ^(٢)
لَهَا وَشُجَا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ
أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلَوْتَ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتُ سَقُوطَهُ
بِمِشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجِيدَ وَالنَّحْرَا
وَأَوَمْتَ إِلَيَّ فِيهَا فَنظَمْتَهُ ثَمَرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَضَّ السَّوَارُ بِمَفْصِي
وَحَاضَرَتْ أَنْ يَدْمِيهِ حَمْلَتُهُ الْخَصْرَا
وَأَكْثَرُ مَا يَذْكُرُونَ الْخَصْرَ بِالرَّقَّةِ مَعَ ذِكْرِ الْكَفَلِ بِالْعِظَمِ ، كَمَا قَالَ
هَيْكُ الْجَن :

وَتَمَايَلَتْ فَضَحَكْتُ مِنْ أَرْدَائِهَا
تَسْمِيكَ كَأْسٍ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا
عَجَبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ لَخَصْرِهَا^(٣)
وَرَدِيَّةً ، وَمُلَامَةً مِنْ تَفْرِهَا
وقال القاضي أبوخص بن عمر :

(١) ط : « عبد الله » ، وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
أبي خنيسكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان اللّامي ١ : ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مشت كالقصن فيفيه التَّسِيمُ ويمدُّوه التَّسِيمَ فيستقيمُ
لها رِدْفٌ تعلق من ضعيفٍ وذاك الرِّدْفُ لي ولها ظُلُومُ
يعذبني إذا فكَّرت فيه ويتمبها إذا رآمت تُقُومُ
وما حُبِّي لها إلا عذابٌ عليه من نصَّارِها نعيمُ

قوله: «سهاو». أي خطأ. والمامة: الرأس. وإلا فرمى الله جفني بالمش،
إنما ذكر المش والتَّمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لما يفتين
من التلام عند الرأى أضدادها، فيزداد حسناً.

• وبضدها تبيِّنُ الأشياءُ •^(١)

والمش: انتشار شعر المينين. والتَّمش: أخفى من البرش. الجَلَح: الصِّلَع،
وهو انحسار الشعر من التزعنتين، وفعله جَلَحَ الرجلُ وجَلَحَ، كاسودَّ. والطلع:
قد تقدَّم في الثانية، وإذا علته خضرة سُمِّيَ بلعاً. والبهار: نرجس المغرب،
وهو أصفر، والورد أحمر، فدعا له بملَّة تذهب جمال وجهه وتصفِّر حمرة خده.
والبخار: كالبحر: التَّن. والمسكة: أطيب المطر، فدعا له بتفجير الرائحة. وتقدَّم
أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة. وتقدَّم في الثانية معنى قوله:
«ووردني بالبهار» منظوماً، وقال الصَّابِي في أبجر:

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةٌ في المللين لتتن فيه الفاسد^(٢)
فكان أهل الأرض كلهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد
وقالت جنان في أبي نواس:

فلما ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شُكراً
فليكن ذاك بالضمير فن سبَّح بالضم ونال إنما ووزراً

(١) للعتبي ديوانه ١: ٢٢، وصدرة:

• ونذيمهم وبهم عرفنا فضله •

(٢) بقية البحر ٢: ٢٦٣.

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كهافي فيه الأبخر
فبادر القط إلى دفنها يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله : «وبدرى بالعحاق» ، الحاق : أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحتراق الفضة : اسودادها . وشعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى الله بالانتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسوَ بياض
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يُلْتَفَتُ إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يارب إن لم يكن في وصلي طمع وليس لي فرج من طول هجرته^(١)
فاشف السقام الذى في طرف مقتلته واستر ملاحه خديته بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسين الثغرى^(٢) ، وهو من شعراء الديمة :

لي حبيب يزهى بحسن عجب وبقد مثل القضيبي الرطيب
أحدث بالسواد فضة خدي قد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والانتحاء]

ونذكر هنا ما يلىق بهذا الموضع مما قيل في العذار وفي الانتحاء مما مدح
به وذم ، قال ابن عديريه :

ومعذر تش الجال بمسكه خدأ له بدم القلوب مضرجا^(٣)
لما تيقن أن سيف جفونه من ترجس جل التجاد بنفسه

وقال ابن صارة^(٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن محمد الثغرى الكاتب ، من شعراء العراق ، والجان في
الديمة ٢ : ٣٤٦ . (٣) الغد ١ : ٣٣

(٤) ط : « صارة » ، تصحيف ، والجان في نهاية الأرب ٢ : ٨٦٨ .

ومعذر رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنما
فقلوبنا حذرًا عليه رفاق
نفقت عليه سوادها الأخدان^(١)
وقال عبد الحسن الصوري :

ومستدر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
ولما قلت إن الشعر يسى
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلعت عذارى
ما كنت أحبيب أن أعين أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسن بالمدار
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلى تمامًا
واختلط الليل بالنهار^(٢)
ذلك آسى وذأ بهارى
إن بك من ريقه عفارى

وقال ابن حمدون :

ظل على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لآتي
فانضج الأس والنهار
واجتمع الليل والنهار
عليه من مقلتي أغار

(١) والبيان أيضا في الخيرة ١ : ١٢٣ .

(٢) بنية النحر ١ : ٢٥٧ .

(٣) بنية النحر ١ : ١٩٩ .

(٤) الخيرة ١ - قصيد ٢ : ١٥ ، ١٤ - ق ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح العذار؛ وإن كان النذير بموت الجمال، فلذا تسمى العذار واسود؛ صاروا إلى نفيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظرْ إلى مَيِّتٍ وَلَكِنَّهُ خِلْوٌ مِنَ الْأَكْفَانِ وَالْعَاسِلِ
قد كتب الدهر على خدّه بالشعر: هذا آخرُ الباطِلِ

وله في ضده:

لَمَّا التَحَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ وَقَلْتُ رَسْمٌ قَدْ دَرَزَ
عَايَنْتُ مِنْ طَلَّابِهِ زُمَرًا مُوَاصِلَةً زُمَرِ
وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نِفَاقِهِمْ عِنْدَ الْكِبَرِ

وكما قال أبو الحسن بن الحاج:

أَبَا جَعْفَرٍ مَا تَفِيكَ الْجَلَالُ فَظَهَرَ خَدَّكَ لُبْسَ الْحِدَادِ
وَقَدْ كَانَ يَنْبِتُ زَهْرَ الرِّيَاضِ فَاصْبَحَ بُنْبِتُ شَوْكِ الْقَتَادِ
أَيْنَ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ بِدْرُكَ الْكَوْنِ أَوْ بِالْفَسَادِ!
وَهَلْ كُنْتُ فِي الْمَلِكِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فَأَخَى عَلَيْكَ ظُهُورُ النَّسَادِ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي غِلَامِ التَّحَى:
هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءِ وَجْهِكَ يُسْتَقَى رَوْضُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعْرِ الْعَارِضِ
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَّةٌ ذَهَبَتْ بِمَحْنِكَ مَلءُ كَفِّ الْقَائِضِ
مِثْلُ السَّلَافَةِ عَادَ خَرَّ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ مِثْلُ خَلِّ الْحَامِضِ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بِسَامٍ فِي أَخِيهِ جَعْفَرٍ^(١):

يَا مَنْ نَفَقَتْهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لَحِيَّتُهُ أَدْبَرَتْ وَالذَّهْرُ إِقْبَالَتْ وَإِذَا بَارَهُ
قَدْ كُنْتُ تَمَنِّي بِهَشِّ النَّاطِرُونَ لَهُ تُغْفَرُ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ
أَيَّامُ وَجْهِكَ مَعْقُولٌ عَوَارِضُهُ وَلِلرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَالُ

(١) هو علي بن محمد بن نصر بن بسام البجلي، والأبيات في النخبة ١ - ق ١١٩.

فيا لدهر مَفَى ما كان أحسنه
حانت مَنِيَّتُهُ فاسودَّ عارضه
إذ أنت ممتنعٌ، والشرط دينارُ
كما تَسْوَدُّ بعد اللَّيْلِ الدَّارُ
وفيه يقول أيضاً :

حانت وفاتك يا أبا العباس
ما بال وجهك بعد كثرة نُورِهِ
قد سَوَّدُوهُ بِحَالِكَ الْإِنْفاسِ !
أين الدَّنانيرُ التي عَوَّدَتْهَا
قَتِيهَاتُ جَاءَ الشَّمْرُ بِالْإِنْفاسِ
كانت بِمَخْدِ ثِيَابِهِ دِيبَاجَةً
فَدَعِ الْكَاسَ فَلَاتَ حِينَ مِكَاسِ
وكذا البناء فغير مرتفع إذا
قالت مُصمَّبٌ لِلْجَنِّ :

قد صاغتُ أَفْطَارَ خَدِّكَ لِحْيَةً
فَكَانَ خَطَ الشَّمْرِ فِي جَنَّبَاتِهِ
تركتُهُ وهو سَوَدُّ الْأَفْطَارِ
لَيْلٌ أَقَامَ عَلَى نُجُومٍ أَوْ نَهَارٍ
وكان لـ محمد بن بشر بابان يُدْخِلُ مِنَ الْأَكْبَرِ أَصْحَابَهُ ، ومن الأصغر أَجْبَابَهُ
فجاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فنزع ، فجعل يخاضع
البواب لإدلاله ، فبلغ ذلك ابن بشر ، فكتب إليه :

قل لمن رامَ بِمَجْهَلٍ . مدخل الطَّيِّبِ الْقَسِيرِ
بعد أن علق في خدي . هـ مَخْلَاةَ الشَّعِيرِ
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إِنْ جَاءَ . : من البابِ الْكَبِيرِ

وقال ابن الأثير :

لست بُصَابٍ إِلَى مَعْدَنٍ . بل أنا في حُجِّي مَعْدَنٌ
لا أَعشَى الظبي ذاك الجام . لأنه في الظباء مَنْكَرٌ

أحسنُ ما فيه أن تراه بين مهابةٍ وبين جوْدُرٍ

منظر قوله : «لأنه في الطلبِ منكر» إلى قول حبيب:

تَعْشَقُ الكِبَارَ بَدَلًا عِنْدِي عَلَى أَنَّ الرِّحَى قَلَبَتْ نِفَالًا^(١)

وقال آخر :

لِي فِي أَبِي يَحْيَى وَمَمْشُوقِهِ شَغْلٌ عَلَى ذِي شَغْلٍ شَاغِلٌ
يَا لَيْتَ شَرَى قَوْلِ ذِي حَيْرَةٍ مَنْ مِنْهَا لِقَمُولُ وَالْقَاعِلُ!

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بِأَبِي ظَلَمِي صَغِيرَ الْمَنْ حَازَتْ ثَلَاثَ سِيَّ
سَرَّنِي أَنْ لَيْسَ يَدْرِي مَنَهِ فِيهِ وَفَقِي
فَهُوَ يَدْعُونِي عَمَّا وَأَنَا أَدْعُوهُ بِأَبْنِي

وللخبيز أَرْزَى :

قَالُوا عَشَقْتَ صَغِيرًا قُلْتُ أُرْتَعُ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ حَتَّى يُدْرِكَ النَّمْرُ^(٢)
رَبِيعَ حَسَنِ دَعَانِي لَا تَبَاعَ هَوًى لَمَّا تَفْتَحَ فِيهِ التَّوْرُ وَالزَّهْرُ
وَقَالَ التَّنُوخِيُّ فِي جَسِيمٍ :

مَنْ أَيْنَ أَسْتَرْجِدِي وَهُوَ مَنْتَهَكٌ مَا لِلْمَتَمِّ فِي نِيلِ الْهَوَى دَرَكُ^(٣)
قَالُوا عَشَقْتَ عَظِيمَ الْجَسْمِ قُلْتُ لَهُمْ الشَّمْسُ أَعْظَمُ جَسْمٍ مِثْلَهُ الْفَلَكُ
وَالْفَتَيَّةُ بْنُ حَزَمٍ :

وَذِي عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حَسَنُهُ يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ^(٤) :

(١) ديوانه ٤ : ٤٧٠ (طبع المعارف)

(٢) بنية الدهر : ٣٣٨ .

(٣) بنية الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٤) القصيدة ، القسم الأول ١ : ١٤٧ .

أني حسن وجهي لاح لم تر غيره
فقلت له: أسرقت في اللوم ظاهراً
لم تر أنني ظاهري وأنتي
وعندي رد لو أردت طوبى ل
ولم تدري كيف الجسم، أنت قتل!

وأحسن حبيب حين قال :

قال الوشاةُ بدا في الخلد عارضه
الحسن منه على ما كنت أعهد
أحلى وأعذب ما كانت شمائله
وصار من كان يلحى في مودته
قلت لا تنكروا وما ذاك عابته^(١)
والشعر جزؤه لمن يطالبه
إذ لاح عارضه واخضر شاربه
إن سيل غنى وعنه قال صاحبه
وقال الخلواني :

قالوا التحي فاتحت بالشعر بهجته
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته
هذي محاسن ليا أهل الهوى - آخر
وله أيضاً :

لي حبيب إذا شكوت إليه
لست أدعو بالشعر غيظاً عليه
غير أنني أدعو بقلب نرجس
وقال غيره :

قد حل في سوق الكساد
كأنما الشعر فيه زرع
مذ لاح في خدك السواد^(٢)
والنتف منه له حصاد

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لا تنكروا » .

(٢) نهاية الأرب ٢ : ٨٥ ، من غير نسبة الأخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الأخيرة ق ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الأخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الخلواني أيضاً .

وقوله : « ودواني بالأفلام » ، أي ابتلاه الله أن يلاطبه ، قال الفنجديسي :
 أنشدني بعضُ الشراءِ بمُرُورِهم لبعضهم :
 دَوَادِرُ الْأَمِيرِ لَهُ دَوَاءٌ كَتَلَ الْيَاسْمِينَ بِغَيْرِ مُصَوِّفٍ
 بِرَأْيِ قَلَمِ الْأَمِيرِ يَفُوضُ فِيهَا مَغَاصَ عَصِيدَةٍ فِي حَلَقِ صَوْفِي
 ونقل لفظ الدواة والأفلام من قول ديك الجن : وكان يهوى غلاماً من
 حِمص ، اسمه بكر ، جلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر ، قام بكر
 فيمشى ، قال :

دع البدر فليغرُبْ فَأَنْتَ لَنَا بَدْرُ إِذَا مَا تَجَلَّى عَنْ مَحَاسِنِكَ الشَّمْسُ^(١)
 إِذَا مَا أَقْضَى سَحَرِ الدِّينِ بِيَابِلِي فَأَنْتَ لَنَا سَعَرٌ وَرَيْقُكَ لِي خَمْرُ
 وَلَوْ قِيلَ لِي قُمْ فَادْعَ أَحْسَنَ مَنْ تَرَى

لصِحت بأعلى الصوت : يَا بَكْرُ يَا بَكْرُ !

وكان هذا الغلام شديد التواضع والتمتع ، فاحتال عليه قومٌ من حِمص ،
 فأخرجوه إلى منزله ، فأسكروه وفسقوا به ، فبلغ ذلك ديك الجن قال :
 يَا بَكْرُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَرْطَامُ يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ^(٢)
 فِي الدَّارِ بَمَدُ بَقِيَّةِ نَسَامِهَا أَمْ لَيْسَ فِيكَ بَقِيَّةُ نَسَامُ
 شَفَلِ الظَّلَامُ كَرَأَيْتُ أَبْوَابَهُمْ^(٣) فَضَرَعْتَ لِدَوَاتِكَ الْأَقْلَامُ
 وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً :

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عَا كَرَأَيْتُ بَيْنَ الطَّائِسِ وَالْجِثَامِ^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من عاسنك القمر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأرطال » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن مهدي » .

ألم أقل لك إنَّ الصَّكْبَ مَهْلَكَةٌ والتَّبْنَى والعُجْبَ إفسَادٌ لأَهْوَامِ
 قد كنتَ تفرِّقُ من سَهْمِ تَمَائِنُهُ ^(١) فصرتَ غيرَ رَمِيمٍ رَهْةَ الرَّأْيِ
 وكنتَ تفرِّعُ من لَسٍ ومن قُبُلٍ فَقَدْ ذَلَّتْ لِإِسْرَاجٍ وإِلْجَامِ
 إن تَدَمَّ نَحْذَاكَ من رَكضٍ فَرَبْتُمَا أَمسى وقلبي منك المِوَجع الدَّامِ

قال أبو علي بن رشيقي: كنت أوصي غلاماً وضيئاً، كان يختلف إلى،
 وأحذره من كثرة التخليط، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه، فأوقع به،
 فأخبرت بذلك، فقلت:

ياسوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
 ما أحزن الناس بصوغ الخنا صيغ من الختام خَلْخَالُ
 وهذا من قول ابن المعتز:

مَمَى خَالِدٌ والمال تسعون درهماً وآبورا أس المال ثلث الدرهم ^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يتبين بمقد التسمين والثلاثين في اليد.

وقال ابن رشيقي:

سقطت نَيْتُهُ فأَوِجِعَ قَلْبُهُ لسقوطها وجرى عليه عظيم ^(٣)
 فإذا مررتَ به فلَّ فَوَادُهُ عنها وَقُلْ صَبْرًا كَذَاكَ الرِّيمُ
 عجباً للزُّوْءِ هَوَتْ من سِلْكِيهَا والسَّك لا وَاهٍ ولا مَفْصُومُ
 أَمَدِيًّا يا خُطْبُ وهو مَصُونُ أبداً بِخَاتَمِ رَبِّهِ مَخْتُومُ

(١) الأغاني: «لغاية»

(٢) نقله في التنف ٥٨.

(٣) نقله في التنف ٦٥.

ويستحب لمن وُسم بوشمة الجلال ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل التبدل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتعاً قلت : هيهات عنكم غاب أطيئه^(١)
لو جادهان ، وقت الجود عادته وإنما عزّ لنا عزّ مطلبه

فإذا تبدل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ، ونبت عن محاسنه الميون ، لأن النفس الحرّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قوم لم أهرزكم للالة متى ولا لقال واش حاسد^(٢)
لكنني جرّبتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقال أبو الوليد بن حزم :

لما استمالك معشر لم أرضهم والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتي فما سكت من بعد ما كادبت إليك تطير
فأذهب فخير جوانحي لك منزل واسمع فخير وفائك المشكور
وله أيضاً :

يقول وقد لته في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتحسني؟ قلت : لا ، والذي أحلك في الحب مرعى وبلا
وكيف وقد حلّ ذلك الإزار وقد سلك الناس تلك السبيل^١

(١) هتية الدهر ٩ : ٣٣٧

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٠٠ ، الأغانى ١٥ : ١٣٧ (ساسي) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قايتُ بين جماله وفعله فلذا لللاحه بالخيانة لا تني^(١)
والله لا كلمته ولو أنه كاليدر أو كالشمس أو كالكتني

وقال آخر :

أيا حسنا أزرنت قبائح فعله عليه كما أزرى الكسوف على البدر
لقد فقت كل الناس حسنا وزينة ولكننا قبخت ذلك بالفدر

وقال ابن عينة :

ضيعت عهد فتى لمهدك حافظ في حفظه عجب وفي تضيقك
إب تقليه وتذهي بفؤاده فبحسن وجهك لا بحسن صنمك

* * *

فقال النلأم : الاضطلاء بالبلية ، ولا الإيلاء بهذا الآلة ،
والانقياد للقود ؛ ولا الحلف بما لم يحلف به أحد . وأبى الشيخ
إلا تجريمه اليمين التي اخترعها ، وأقر له جرعا . ولم يزل
التلاحي بينهما يستعمر ، ومحجة التراضي تمر ، والنلأم في ضمن
تأنيبه ، يحلب قلب الوالي بتلويده ، ويطمعه في أن
يلبسه ، إلى أن ران هواه على قلبه ، وألب بلبيه ،
فسؤل له الرجد الذي تيممه ، والطمع الذي توهمه ، أن

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبهذه هناك :

حلفت لنا ألا نخون عهودنا فكمأما حلفت لنا ألا تني

يُخْلَصُ السَّلَامُ وَيَسْتَخْلَصُهُ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حَبَالَةِ الشَّيْخِ
ثُمَّ يَقْتَصِّصَهُ .

• • •

قوله : « الاصطلاح » ، أى الاتصال والتأبؤ . والبلية ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإيلاء : الحلف . والألئبة : اليمين . والقوود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمتر : أمر ، من انمر ؛ وهو الصبر .

[من ألوان من الحلف]

وهذه اليمين المخترة ، حكى الأصمعي شبهها ، قال : اختصم أعربان عند
بعض الولاة في دين ، فحمل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، قال للمدعى :
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل لا ترك
الله لك خفًا يتبع خفًا ، ولا ظلفًا يتبع ظلفًا ، وحثك من أهلك ووللك ، كما
يُحَات الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لى هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى المسعودى أن الفضل بن الربيع قال : صار^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت
الرشيده بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبير لموسى : سعيتم علينا ، وأردتم قرض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشيد الضحك حتى رفع
رأسه إلى أنسقف لثلا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
المشنع على ، خرج مع أخى محمد على جدك المنصور ، وهو القاتل [من أبيات]^(٢) :

قوموا يبيعتمكم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « سار » ، وما أثبتته من أ ، ب . (٢) من المسعودى .

ولست سمعته حنبلاً لك ، ولا مراعاةً لدونك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت^(١) ، وأنا أستمحله يمين ، فإن حلف بها أتت قات ذلك ، فدمى حلال لأمر المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فاستمع ، فقال له الفضل : لم تمنع وقد زعمت أنه قال ما ذكرته ؟ قال : فإني أحلف له ، قال موسى : قل : تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ما قاتته حقاً . لحاف له ، قال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله العقوبة قبل ثلاث » ، وهأنذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمى حلال لأمر المؤمنين .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من داره^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم أسود حتى صار كالنجم ، فمررت الرشيد في الحين ، فنا انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات ، فبادرت بتجليله ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُورى في قبره انخسف به ، وخرجت رائحة مفرطة الذن ، ومرت أحمال شول على الطريق ، فأمرت بها فطرحت في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحت على قبره وألقى التراب عليها ، وانصرفت ، وأعلنت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاه ألف دينار ، وقال له : لم عدلت عن اليمين للتعارفة عند الناس ؟ قال : أخبرت بالسند المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من خلف يمين كاذبة مجد الله فيها ، استحق الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحى » ، السباب والقشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بمعاق المسمى : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكازمته ، وقد قال بإمامنا :

(٢) ب والحموى : « من دار عبد الله » .

(٣) الخبر في المسعودي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٢ .

عليه وسلم : « من لآحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لآحاك فقد عاداك .

يستمر : يتَّقد . بحجة التراضي : أى طريق الرضا . تعرُّ : تصب . وفي ضمن تبيته ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يحلب : يخذل ويأخذ قلبه . تلويه : انعطافه . يطعمه : يدعو للطعم . يلبته : يحبه لمراذه . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نسكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صفقت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك 'ران' » ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾^(١) .

أَب : أقام . لَبه : عقله : سَوَّل : زَيَّن . الوجَد : حرقه القلب . تبعه : عبده وذلكه ، والمتيم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حِيَاله : آلة الصيد . يقتنصه : بصيده ؛ يقول : إنَّ هذا الغلام فى أناه كلامه بالتمتع وترك الاقياد للشيخ يطعم الوالى فى الاقياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدر من لفظٍ ومبتسم
ضربان : منتشر منه ومنظوم
يخنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه
من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم
ولأنشد إذا غلب عليه هواء :
مرآك مرآك لا شمس ولا قمر
وورد خديك لاورد ولا زهر^(٢)
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه
إن بنت بان فلاعين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت
نفى عليك ، فرقاً أيها القمر
هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :

أذكيت من قلبى بنابك لوعةً حتى خشيت على محلك فيه

وما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

واسأرمانى بالسهم تهماًداً وفيها نصال المجر حتى امتلا صدرى

قلت له لا ترم قلبى فإنه مكانك والرمى أنت ولا تدري

وقال آخر :

حللتك فى قلبى فهل أنت عالم بأنك محمول وأنت مقيم !

ألا إن شخصاً فى فؤادى محله وأشتاقه ، شخصاً على كريم

وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق فى أنفائه^(١)

جاورته شرّ الجسوار وزرته لسا حلت فناءه بفنائيه

حرق سوى قلبى ودعه فلانى أخشى عليك وأنت فى سودائه

وقال آخر :

أودع فؤادى حرقاً أودع نفسك تؤذى أنت فى أضلعي

أمسك سهم اللّحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابى معي

موقعها القلب وأنت الذى مكنته فى ذلك الموضع

فقال للشيخ : هل لك فيما هو أبقى بالأفوس ، وأقرب

للتقوى ! فقال : إلام تشير لأتفیه ، ولا أوف لك فيه ؟ فقال :

أرى أن تقصر عن القيل والقال ، وتقصر منه على مائة مثقال ،

لَا تَحْمِلَ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَنِبِ الْبَاقِيَ لَكَ عَرْمًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
مَا مَنِي خِلَافٌ ، فَلَا يَكُنْ لَوْ عَدَّكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقْدِمُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،
وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةُ خَمْسِينَ . وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
لِاجْلِهِ صَوْبُ التَّخْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَارَاجَ ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ ،
وَعَلَى فِى غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَى لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ أُلَازِمَهُ لِيَلْتَمِي ، وَيَرْمَاهُ إِنْسَانٌ
مُقْتَلَى ، حَتَّى إِذَا أُغْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصَّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
الصُّلَحِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِمَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيَّ بَرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ
دَمِ ابْنِ يَمُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سَمْتًا شَطَطًا ، وَلَا
رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَّجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَّجِ
السُّرُجِيَّةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عِلْمُ السُّرُوجِيَّةِ

• • •

قوله : « أليق » أى أشكل وأصل . بالأقوى : بصاحب القوة . والذى
هو أقرب للتقوى ، هو المفعول لقوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(١) .
أقضيته : أتبعه . لا أقف لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشربه . تقصر : تكف . عن
القول والقال ، أى عن كل كلام . أجتبى : أجمع . عرّضا : كل ما ليس فيه
روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من السِّلَعِ التى يُتَجَرَّ فيها من متاع
ورقيق وغير ذلك . أضمن : أضمن ، وفلان حيل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :
كذب وعد . نقده : أعطاه نقداً . وزَعَ : فرقى . وزَعَتُهُ : شُرْطَتُهُ الذين يكونون

عنه الناس ، واحدم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كَفَفْتَهُ ،
وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصري رحمه الله : لا بدّ للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل
الشيء . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْبٌ : وقع ، وصاب
السهم صوباً وصَيْبًا : وقع بالرمية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والحصيل : أن
يحصل بقية المال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجًا فهو رَاجٍ إذا
جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقلتي » ، أي سواد عيني . يرعاه : يحفظه وينظره .
أَعْنَى : أتى بالبقية ، والمفاوة : بقية اللزق في القدر . تَحَلَّصَتْ : انصلت . والقائبة :
البيضة . والقوب : الفرخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصعوبة ،
وجاء مقلوباً لأن الذي ينفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البيضة ، والقوب ، من
تقوّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحزاز ^(١) . وابن يعقوب هو يوسف
عليهما السلام ، وبراءة الذئب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى
أبيهم ليكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدقهم ، فاصطادوا ذئباً فطعّموه بدم ،
وأثّره ليكون على يوسف ، وقالوا له : هذا الذئب قد ضرى ، أكل أغنامنا وأكل يوسف
أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطق له ، فقال للذئب : ادن مني ،
فجعل يبصص بذئبه ويدنو منه ، حتى وضع خده على نخذ يعقوب ، فقال له :
لِمَ أَكَلْتَ ابْنِي ، فجعلني فيه ؟ فقال : لا والله يا بني الله ، ما رأيته ولا أكلته ،
ولماني لتريب في أرضكم اليوم ، وصلت من مصر في طلب أخ لي قدته ،
فأوتنني هؤلاء وساقوني إليك ، قال لهم يعقوب عليه السلام : الذئب مع أخيه
أَوْتَى مَعَكُمْ مَع أَخِيكُمْ .

قوله : « مُتَّ » : أي كَلَفَتْ . شَطَطًا : شيئاً بعيداً ، والشَّطَطُ : مجاوزة القدر .
ورمت فرطاً : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمه شططاً ، وقد حرّمه لذة
ليلة مع هذا التلام أحسن من ليلة الخفاجي ^(٢) حيث يقول :

(١) و القاموس : الحزاز ؛ ككتاب : وجم في القلب من غيط أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسي ، صاحب الديوان النسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَنِي من موعِدٍ للحبيب دِينًا^(١)
 بَقْنًا نَجْمَ الذِّوَلِ فِيهَا والخمر تَمْشِي بنا الهَوِيَّ
 أَرْسَلْ في رَوْضٍ وَجَنَّتِي لحَظَّةٍ عَيْنٍ تَقِيضُ عَيْنًا
 كَأَنَّمَا اللِّحْظُ كَيْمِيًّا تَذْهَبُ مِنْ وَجْهِ لُجَيْنًا
 وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنْ طَرَفَا يَقلْبُ عَيْنَ اللَّجِينِ عَيْنًا
 أَوْ لَيْلَةَ الْآخِرِ حِينَ يَقُولُ :

لَمَّا رَأَى مَنْ ظَلَّتْ فِيهِ مَتِيًّا جَسَى ضَيْلًا وَالْفُؤَادَ مَوْلَهَا
 جَادَتْ شَمَائِلُهُ عَلَى بَلِيلَةٍ أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَهَى
 عَاقَتْ فِيهَا الْبَدْرُ لَيْلَةَ تَمَرٍ يَا مَنْ رَأَى بَدْرًا يَعاثُهُ الشَّهَى !

[ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريج، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة.

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريج إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لانفت ذات درّ بمنثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبحره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والمثاني، دلالة في فنون العلم متينة، وبراهينه مينة. وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحر، فلات كمي وحجري وجيبي منه، ففتر لي أني أرزق علماً غزيراً كبريت الكبريت الأحر. ومصحح يتمثل بهذه الأبيات :

فلا تحمد الكلب أكلَ العظامِ فصد الخسرة ما ترحمة
 تراه وشيكاً شكاً إسته كلوما جناها عليه قمة
 إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من بكرمه
 وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه
 السؤال : أبلغني ربي ، قال له : قد أبلمتك الدجلة والفرات ^(١) .

وقال له مرة : أمهاني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
 الساعة ^(٢) .

وقال له ابن داود يوما : أكلّك من الرّجل وتجيئني من الرأس ! فقال له :
 كذلك البقر إذا خفيت أغلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصهباني في مجلس
 عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإبلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
 كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإبلاء ، قال له
 ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أتره في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محزوما ^(٣)
 وأحمل من قتل الهوى ما لو أنه يُصب على الصخر الأصم تهديما
 وينطق طرفي عن مترجم خاطري فلو لا اختلاصي ردّه لتكلما
 رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال له ابن سريج : يم تقتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُساهِرٍ بِالنَّعْجِ مِنْ أَحْظَاتِهِ قَدْ بَتُّ أَمْنُهُ لَدَيْدِ سِنَاتِهِ^(١)
أَصْبُو الْحِزْنَ كَلَامَهُ وَحَدِيثَهُ وَأُكْرِرُ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودِهِ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ
فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَاقَالَ ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ
شَاهِدِينَ عَدْلَيْنِ ، أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَرِيحٍ : فَيَلْزَمُنِي فِي
هَذَا مَا يَلْزِمُكَ فِي قَوْلِكَ :

• وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ عَمْرُماً •

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُكُمْ ظَرْفًا وَلَطْفًا وَعِلْمًا وَنَهْمًا .
اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْعَالَمَيْنِ عَلَى اشْتِهَارِهِمَا بِالْعِلْمِ
وَالْفَضْلِ وَالِدِّينِ كَانَا يَرْتَاخَانِ إِلَى التَّعَشُّقِ عَلَى سَبِيلِ التَّضَرُّفِ وَالِتِّزَامِ التَّعَفُّفِ
عَلَى مَا يَلِيقُ وَيَشْكَلُ بِمَنْصِبِهِمَا ؛ وَإِذَا كَانَ التَّعَشُّقُ بِشَرِّطِ الْعَفَافِ ، فَإِنَّمَا يَزِيدُ
الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رَقَّةً طَبِيعَ ، وَحِلَاوَةً شِمَائِلَ .

وَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أُرَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ
قَاتِلًا يَقُولُ : هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ قُلْتُ :
بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، قَالَ : قَعِيلٌ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةُ فِي الْجَوَابِ ، قُلْتُ : بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَصْبَنَّا مِنْ
هَذِهِ الذُّنُوبِ ، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَوُفِّيَ لِحَسِّ مُضَيْنِ مِنْ جِهَادِي الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَبَلَغَ سَنَهُ
سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرَ ، وَدُفِنَ فِي حِجْرَةِ بَسُوقَةِ غَالِبٍ بِيَهْدَادِ رَحْمَةِ
اللَّهِ عَلَيْهِ .

[طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ النَّسِيبِ]

وَنَذَكَرُ الْآنَ مِنْ نَتَائِجِ الشَّعْرِ الْمَضْمُونِ « مَنْ » ظَهَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ عَمَادَةُ مِنْ .

الوصال ، ثم عفا عما يغفل بأهل الجلال ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عينك في خلدي
أفديك من زائر رام الدنوّ فلم
خاف العيون ، فوافاني على عجل
عاطيته الكأس فاستحييت مدامها
حتى إذا غازلت أجنانه سنة
أردت توسيده خدي وقل له
فبات في حرم ، لا غدري برّ عجه
بدر ألم وبدر التّم منحق
تميّز الليل فيه ، أين مطلقه
وقال الرمادي :^(١)

وليلة راقبت فيها الموى
والأراح ما تنزل عن راحتي
وربّ يوم قيظله منضج
أبرز من خدي لي رشحه
وكان في تحليل أزراره
فتحت الجنة من جيبه
مروءة في الحب تنهى بأن
وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعبر
أهيف الكشح ، مثقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشح : المرق ؛ والطل : قطرات النسي .

غالب الخوف حين غالبه الشُّوْ ق فأخفى الهوى وليس يخافى
 غصَّ طرفى عنه تقي الله واخترْ ت على بذله بقاء التَّصَافِ
 ثم ولّى والخوف قد هَزَّ عِطْفِي ١ ، ولم يَمُزْجْ من لباسِ التَّعَافِ
 وقال بعض الطالبين :

رموني وإياها بشنماهم بها أحمق ، أدال الله منهم وعَجَلَا
 بأمر تركناه ورب محمد جيماء ، فلما عَفَّةً أو تَجَلَّأ
 وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشر .
 قوله : « عَلم السُّرُوجِيَّة » ، أى مشهورها . والعَلم : الجبل .

فَلَيْتُ إِلَى أَنْ زَهَرَتْ نَجُومُ الظُّلَامِ ، وَانْتَشَرَتْ عُقُودُ الزُّحَامِ ،
 ثُمَّ قَصَدْتُ فَنَاءَ الْوَالِي ، فَإِذَا الشَّيْخُ لَافَقَى كَالِي ، فَشَدَّتْهُ اللَّهُ : أَهُوَ
 أَبُو زَيْدٍ ؟ فَقَالَ : إِي وَحِيلَ الْعَيْدِ ! قُلْتُ : مَنْ هَذَا الظُّلَامُ ،
 الَّذِي هَفَّتْ لَهُ الْأَحْلَامُ ، نَالَ : هُوَ فِي النَّسَبِ فَرَخِي ، وَفِي
 الْمَكْتَسَبِ فَحْيٍ ، قُلْتُ : فَهَلَا كَفَيْتَ بِحَامِرِي فِطْرَتِي ، وَكَفَيْتَ
 الْوَالِي الْاِئْتِنَانِ بِطَرْتِي ! فَقَالَ : لَوْ لَمْ تُبْرِزْ جَبْهَتَهُ السَّيْنُ ، لَمَا
 قَنَفَشْتُ الْخَمْسِينَ ، ثُمَّ قَالَ : بَتِ اللَّيْلَةُ عِنْدِي ائْطِيقُ نَارَ الْجُوى ،
 وَنَدِيلَ الْهَوَى مِنَ النَّوى ، فَقَدْ أَجْمَعْتُ عَلَى أَنْ أُنْسِلَ بِسُخْرَةٍ ،
 وَأُصَلِّيَ قَابَ الْوَالِي نَارَ حَمْرَةٍ .

لبثت : أقت. عقود : جمع عقد ، أراد ما يعقد من جوع الناس في الزحام .
انتثرت : افرقت . زهرت : أضاءت. الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سأله .
هفت ، أى طارت. الأحلام : العقول. فطرته : خلقته. تبرز : تظهر. والطرّة :
قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشمر على الجبهة بشكل السين على السطر ، وأخذه
.. من قول التّهايمى :

يارُبِّ مَعْنَى الشَّانِ نَسْكُكُهُ فِي سَلَكٍ لَفْظٍ قَرِيبٍ الْفَهْمِ مُخْتَصِرٍ ^(١)
لَفْظٌ يَكُونُ لِعَقْدِ الْقَوْلِ وَاسِطَةً مَا بَيْنَ مَنْزِلَةِ الْإِسْهَابِ وَالْخَصْرِ
إِنْ الْكِتَابَةُ صَارَتْ تَحْتَ أَعْلَى ^(٢) وَالْجُودُ فَالْتَقِيَا مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ ^(٣)
تَرَدُّ أَقْلَامُهُ الْأَرْمَاحَ صَاغِرَةً عَكْسًا ، كَمَكْسِ شُعَاعِ الشَّمْسِ لِلْقَمَرِ ^(٤)
وَفِي كِتَابِكَ فَاعْذُرْ مَنْ يَهْمُ بِهِ مِنَ الْخَاسَنِ مَا فِي أَحْسَنِ الصُّورِ
الطَّرْسُ كَالْحَدَوِ النَّوْنَاتِ دَائِرَةً ^(٥) مِثْلَ الْحَوَاجِبِ وَالسَّيْنَاتِ كَالطَّارِرِ
وَمِنْ مِلْحِ الْخَبَزِ أَرْزَى :

وَبِنَفْسِي مِنْ إِذَا خَشْتُهُ نثر الوردُ عَلَيْهِ وَرَقَهُ
وَإِذَا مَسَّتْ يَدِي طَرَّتُهُ أَفَلَنْتَ مِنْهُ فَعَادَتْ حَامَهُ

أخذها من حكاية لمر بن أبي ربيعة ؛ حدث المفيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيانيه » .

(٤) بمده في الديوان :

يَحْلُو بِبَاضِ الْمَانِي سَوْدُ أَحْرِفِهَا إِنَّ الظَّلَامَ لِيَجْلُو وَرَنَقِ السَّحَرِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة^(١) ، فجننت عمرَ فُلَّنت عليه ، فجلست عنده ،
فجعل يمدُّ الخَصْلَةَ من شعري ثم يرسلها ، فترجع على ما كانت عليه ، ويقول :
واشباباه ! حتى فعل ذلك مرارا ، ثم قال لي : يا بن أخي ، قد سمعتني أقول في
شعري : قالت وقلت ... وكل مملوكٍ لي حرٌّ إن كنتُ كُشِفْتَ عن فرْجِ امرأةٍ
حرامٍ قطَّ ، فسألت عن رقيقه ، فقيل لي : أما في الحوْكَ فصبعون سوى غيرهم^(٢) .

وساير عمرَ عُرْوَةَ بن الزبير يحدِّثه ، فقال : وأين زين الموابك؟ - يعني ابنه
محمداً ، وكان يُعرف بذلك الجمال - فقال عروة : هو أمامك ، فركد يطلبه ، فقال له عروة :
يا أبا الخطاب ، أولسنا أكره أماً لمحدثك ! قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ،
ولكني مررت بهذا الجمال حيث كان ، ثم التفت إليه ، وقال :

إني امرؤٌ مُوَلَّعٌ بالحسن أتبعه لاحظ لي فيه إلّا لَذَّةَ النَّظَرِ^(٣)

أخذَه العباس بن الأحنف ، فقال :

أتأذنون لصبٍّ في زيارتِكُمْ فنندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
لا يضرُّ السُّوءَ إن طالت إقامته عَفُّ الضميرِ ولكن فاسق النَّظَرِ

[بما قيل في خلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشعرِ حِلَاقه ، والشعر فيه كثير ؛ فنلّم منه باليسير .

وأول من قرّع هذا الباب - فيما يذكر - القائل :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خيفة منهم عليه وَشَحًا

(١) الجمّة : هجر الرأس .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذاك ليلاً وصُبحاً
وقال أبو العباس القرطبي :

كان إلا قمرًا تحت دُجَى
فأنجلي الليلُ ولاح القمرُ
أو كزهرٍ في كأمٍ كامنٍ
شققتُ عنه فمَّ الزَّهرُ

وقال أبو العباس بن حَيَّون :

حقوقك في تيسير حسنك رغبةً
فازداد حسنك بهجةً وضياءً
كالخمر فقصَّ ختامه فتشمتُ
والشمعُ قَطَّ ذُبَالُهُ فأضاء

* * *

قوله: «فَنفَشْتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قفشت الشيء ، قفشا إذا
جمعت عليه كفك بسرعة ، وقد انقشفت المنكبوت ، إذا دخلت حُجْرَهَا .

قوله: «الجوى» ، أى مرض القلب. نُذِيل: نموض ، والإدالة: أن يكون الشيء .
لك مرة ولنيرك أخرى وهى من الدَّوْلَةِ. النوى: البعد أو يريد: هلمَّ نَجِدْ للودَّةِ
في هذه الليلة ، ويكون ذلك عَرَضًا من طول الفراق ، فقد عزمت على أن أنسلَّ
بالسَّحَرِ وأُفَرِّ ، والانسلال: الخروج مستخفياً . أصلي قلب الوالى : أجعله متحرِّقاً
بالتمسُّر والتفجع .

* * *

قال : فَفَضَّيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فِي سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيثِ قَعْرِ زَهَرٍ ،
وَحِمْلَةِ شَجَرٍ ، حَتَّى إِذَا لَا أَلَا الْأُفُقَ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَأَنَّ
ابْنِ لَاحِ الْعَجْرِ حَانَ ، رَكِبَ مَتْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ
الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمْ إِلَى سَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُمَّةً مُحْكَمَةً الْإِلْصَاقِ ،

وَقَالَ : اذْقَمَهَا إِلَى الْوَالِي إِذَا سَلِبَ الْقَرَارَ ، وَتَحَقَّقَ مِنَّا
الْفِرَارَ ؛ فَفَضَضْتُهَا فِعْلَ التَّمْلَسِ ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ التَّمْلَسِ .

• • •

قَصَّيْتُ : أَتَمَمْتُ . سَمَرٌ : حَدِيثٌ بِاللَّيْلِ يُسَمَرُ عَلَيْهِ . آفَقٌ : أَحْسَنُ حَدِيقَةٍ :
بِسْتَانٍ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا تَحْتَ حَائِطٍ أَوْ زَرْبٍ . زَهْرٌ : تَوْرٌ . خَيْلَةٌ : نَوْصَةٌ فِيهَا
شَجَرٌ . لَأَلًا : لَمَعٌ وَأَضَاءٌ . الْآفَقُ : جِهَاتُ السَّمَاءِ . ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، هُوَ الْفَجَرُ
الْكَاذِبُ ، وَهُوَ ضَوْءٌ يَظْهَرُ قَبْلَ الْفَجْرِ دَقِيقٌ مُتَصَعِّدٌ إِلَى السَّمَاءِ . وَالسَّرْحَانُ : الذُّبَابُ ،
شَبَّهَ ضَوْءَهُ بِذَنْبِهِ . آفَنَ : حَانَ وَقَرُبَ . انْبِلَاجُ الْفَجْرِ : ظُهُورُ ضَوْئِهِ . مَتْنٌ : ظَهَرَ .
الْحَرِيقُ : النَّارُ . سَلَّمَ : تَرَكَ . مُحْكَمَةُ الْإِلْصَاقِ : مُتَقَنَةُ الْعِلْمِ . الْقَرَارُ : السَّكِينَةُ ، يُرِيدُ
أَنْ الْوَالِي إِذَا أَخْبَرَ بِهِرًا ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَجَعَلَ يَتَلَمَّلُ وَلَا يَمُرُّ . فَضَضْتُهَا : كَسَرْتُ
خَتَامَهَا .

[ذَكَرَ لِلتَّمْلَسِ وَصَحِيفَتِهِ]

وَالْتَّمَسَ ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ ، اسْمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ السَّيْحِ ، وَتَمَّى التَّمْلَسَ بِقَوْلِهِ :

هَذَا أَوَانُ الْعِرْضِ جُنَّ ذِبَابُهُ زَنَايِرُهُ وَالْأَزْرَقُ لِلتَّمْلَسِ^(١)

وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ تَلَسَ الرَّجُلُ الْحَاجَةَ ، إِذَا طَلَبَهَا سِرًّا مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ
مَنْ أَلَمَسَ بِالْيَدِ ، كَالَّذِي يَلْسُ يَدَهُ فِي الظَّلَامِ مُوَاضِعَ خَفِيَّةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا ضَاعَ
عَنْهُ ، أَوْ كَالَّذِي يَلْسُ يَدَهُ .

(١) الْقَصِيدَةُ وَالْقُرَاءَةُ ١٣٢ ، قَالَ فِي شَرْحِهِ بِالْعَرَضِ : الرَّادِي ، وَبُرْوَى : «مِنْ ذِبَابِهِ» .

(٢٨ — شَرْحُ مَقَالَتِ الْمَرْبُورِيِّ ١٦)

ومن كلام عامتنا: فلان يتلمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشتر به.

والتلمسُ أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القليلين في الجاهلية، وهم: التلمس والسَّيب بن عَلس وحُصَيْن بن الحِمام.

والتلمس، بالميم قبل اللام، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون، وقد أُمس الشيء، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لئلاسته.

والصحيفة: الكتاب. وقصتها^(١) أن التلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سقيء الخلق شديد، وهو الذى حرق من تميم مائة رجل، فهجوه، فقال فيه التلمس - وكان طرده لشيء بلغه عنه:

أطردتنى حَذَرُ الهجاء ولا والألآت والأُنصاب لا تبتل^(٢)
أى لا تنجو.

وقال فيه أيضاً:

إن الخيانة والغالة وألحنا والقَدَرُ تركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك يلعب أممه وقطينها رِخُو المفاصل أيزُرُه كالمِزْدِ
فإذا حلت ودون يتي غاوة^(٤) فابريق بأرضك ما بدالك وارعد
وقال طرفة:

فليت لنا مكان الملك عمرو رَغُونًا حول كَبْنِنا بَخُور^(٥)

(١) جبرة الأبطال ١: ٥٧٩ - ٥٨٢، الليداني ١: ٣٩٩.

(٢) الأغانى ٢٣: ٥١٦ (طبع الثقافة بيروت).

(٣) همراء النصرانية.

(٤) غاوة: قرية من قرى حلب.

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦، والرغوث: النجعة المرضع.

لعمرك إبن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير^(١)
 في أبيات شهرتها نبي وتغنى عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بمحضته ،
 وبينهما إبدال المنادمة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما ثلثاً يعلما ما فيهما -
 هو أول من ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته
 أن يصلكما بجواز - فذهبا فقرأ بطريقه .! بشيخ يحدث و يأكل من خبز يده ،
 ويتناول القمل من ثيابه ويقصمه ، فقال المتلس : ما رأيت شيخاً كالיום أحق
 من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مخفي ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
 وأقتل الأعداء . و يروى : أقتل عدواً ، وأدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ، أحق والله
 مني من يحمل حقه يده .

فاستراب المتلس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
 العرب ، فقال له المتلس : أقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، فلك الصحيفة فإذا فيها : فإذا
 أذاك المتلس قاطع يديه ورجليه وادفنه حياً : قال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ،
 فإن فيها مثل هذا ، قال طرفة : كلا لم يكن لي جعري على - وكان غراً صغيراً -
 قذف المتلس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في الثُّني من جنب كافرٍ كذلك أقنُو كل فظ مضل^(٢)
 رضيتُ لها باللاء كُنا رأيتها يحولُ بها اليار في كل جدول
 وأخذ نحو الشام وقال :

ألقى الصحيفة كي يخفِّبَ رَحْله والزَّاد حتى نلّه ألقاها
 أراد : أنه تخفف للفرار ، فألقى ما لا يُثقل ، وما لا بدّ للسفر منه .

(١) النوك : الحافة

(٢) الشعر والفراء : ١ : ١٣١ . الثني : متخلف التهر - كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،
 وأقنُو ، أي أجزى .

وقال حينئذ :

مَنْ مِيلَغَ الشَّرَاءَ عَنْ أَخَوِيهِمْ خَيْرًا فَتَصَدَّقْهُمْ بِذَلِكَ الْإِنْفُسِ^(١)
 أَوْ ذَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةُ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَا رَحْبَائِهِ - الْمُتَلَسُّ
 أَلْقَى الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِنَّمَا يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ الْفُقَرَسِ^(٢)
 وأما طرفة فوصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته ، وسأله عن المتلصص
 فأخبره بفراره ، عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه .
 وقيل : إنه سجنه ، وبعث إلى عمرو بن هند ، وقال له : ما كنت لأقتل طرفة ،
 وأعدى قبيلته ، فلذا أردت قتله ، فأبعث إليه مَنْ يَقْتُلُهُ . ففعل وخير في قتله ؛
 فأخار أن يسقى الخمر ، ويُفَصِّدَ أَوْ كَعْلَهُ^(٣) ؛ ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ، ودفن
 بهجر . وقيل في قتله غير ذلك .

وقال البعترى يصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى

والشرى أرى عند طعم الخنظل^(٤)

وكذلك طرفة حين أوجس ضربة في الرأس هان عليه فعنداً لا كعل

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلنى قوى ولم يفضبوا لسوءة حأت بهم فادحة^(٥)

كل خليل كنت خالنه لا ترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه اللئلة بالبارحة !

(١) الشعر والشراء : ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) القرس : ماء معروف في الرجين ، وفسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالعامية .

(٣) الأكمل : عرق في اليد ، ويسمى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدّمين ٥٤ .

وقال مخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطِكم بالطَّوعِ مَالِي ولا عِزِّي^(١)
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حتّا نيكِ بعضُ الشُّرَاهونِ من بعضِ
وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين
وتعنيه ، إلّا أنَّ أبا العباس أنشد لأخته ترضيه :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فلما توفّي واستوى سَيْداً ضَخْمًا^(٢)
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لا وليداً ولا فحماً^(٣)
وهلك للتّمس في الجاهليّة يُبْصَرى .

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِّوَالِي غَادَرْتُهُ بَعْدَ يَمِينِي سَادِمًا نَادِمًا بِمَعْصِيَةِ الْيَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَقَتَاهُ لُبُهُ ، فَاصْطَلَى لَطْفِي حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْمَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ عَيْنُهُ فَانْتَشَى بِلَا عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحَزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجْ دِي طِلَابُ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِي
وَكَيْنَ جَلٌّ مَاعَرَكَ كَمَا جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْوَانُ الْحَسَنِ
قَدَرِ اعْتَضَتْ مِنْهُ فُهْمًا وَحَزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ بَيْنِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الطَّامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الطَّبَاكِ لَيْسَ بِهَيْنِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للبهرد ١ : ٢٠٨ . ورواية : « فلما توفّي » :

(٣) اللعم : الرجل النّاهي سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْجُ الْفَسْحَ وَلَوْ كَانَ مُعَدَّقًا بِالْحَبِينِ
وَلَكُمْ مَنْ مَتَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِ يدَ وَلَمْ يَنْلَقَ غَيْرَ خُفَى حُنِينِ

قوله : « غادرته » ، أى تركته . بعض الـيدين : تندماً . سادماً : متشيراً ،
والسادم : للتشيعر العقل من التّم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً ، من قولهم :
بغير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكأن الحزين منع من الذهاب والجيء ، فيقول :
تركته بعض يديه تندماً وتلثماً . اللظى : لـهب النار ، وقد لظت النار : علّأ لهبها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله ، فأحترق بنار فجعتين جاد : سمح .
المين : الذهب . هواه : تشقه وميله : انثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفّض : سكّن . معنى : ممذّب . يجدى : ينفع ، والمين ها هنا :
للشخص .

[أصل للتل : طلب أثراً بعد عين]

وقولهم : طلب أثراً بعد عين ، كأن رجلاً تمسك من عدوه أو من صيد
ليوميّه ، فتراخى عنه حتى فاتّه ، ثم شدّ في طلبه بعد الفوت ؛ وأوّل من قال ذلك
مالك بن عمرو العامري ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماً كما يسبب
قتيل كان له في عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتل أحدكما ، فقبل كل
واحد منهما يقول : اقتلني مكان أخى ، فقتل سماً كما وختل مالكاً ، فقال سماً :
حين ظن أنه مقتول :

وَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا لَكُنْتُ لَمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
 بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرْقَبٍ وَيَوْمًا عَلَى طُرُقٍ وَارِدَةٍ
 أُمِّ سَمَّاكِ فَلَا تَجْزِعِي فَلَمُوتِ مَا تَسْلِدِ الْوَالِدَةَ

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم
 يفتي بهذا البيت :

* وَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا *

فسمعت بذلك أم سمالك ، قالت : يا مالك ، قبح الله الحياة بعد سمالك ! أخرج
 في طلب ثأر أخيك ، فخرج فلقي قاتل أخيه في ناس من قومه ، فقال : من أحسن
 لي الجمل الآخر ! فمرفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكف عنه ، قال :
 لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله ^(١) .

* * *

قوله : « جَلَّ » ، أى عظم . عراك : قصدك . رزه الحسين : المصاب بقتله حين
 قتل بكر بلا .

[رزه الحسين *]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
 على بيعتك . وطُوب بالدبنة أن يبايع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
 ابن عقیل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فمرفى الخلق بك .
 فخرج من مكة للنصف من رمضان ، وقدم [الكوفة] فجلس خلون

(١) جبهة الأشكال ٢ : ٢٨٩ ، ٣٩٠ ، وأورد في معنى الأمر قول حبيب :

قَالُوا أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ قَتَلْتُ لَهُنَّ مِنْ فَاتَةِ الْعَيْنِ هَدَى شَوْقَهُ الْأَمْرُ

(٥) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حرامت سنة ٦٠ ، ٦١ .

من شوال، وأميرها النعمان بن بشير، فدخل مستتراً، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً، فكانت^(١) بذلك. فلما بالخرج لقيه ابن عباس رضي الله عنهما، قال له: يا بن عم، أهل العراق أهل غدري، وإننا يدعونك للعرب، قال له: يا بن عم، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة عليّ، قال له: قد جرتهم، وهم أصحاب أبيك وأخيك. وقتلتك غداً مع أميرهم، إذا بلغ ابن زياد خبرك استغفرهم، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك، فإن أبيت إلا الخروج فلا تخرجنّ بنسائك ووليك معك، فإني غلاف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه. فردّ عليه: لأن أقتل بموضع كذا^(٢)، أحبّ إليّ من أن أستحلّ بمكة.

واتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة. فخرج مسرعاً، فدخلها في حشمه وهو ملثم، والناس يتوقّفون قدوم الحسين، فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس، والناس يقولون: وعليك السلام يا بن رسول الله، قدمت خير مقدم، حتى انتهى إلى القصر.

في نفس اللثام، ففتح له النعمان الباب، وتنادى الناس: ابن مَرْجَانة، فخصبوه بالحصباء، فقاتهم. ووضع الرّصد في طلب مسلم، فصاح مسلم: يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً. فأحاطوا بالقصر هاتلوا ابن زياد، فلم يمسّ للسّاء ومعه مائة رجل. فلما رأى تفوّقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة، فخرج وليس معه أحد، فبقي حائراً لا يرى أين يتوجّه، فنزل من على فرسه، ودخل أحد أزقة الكوفة، فأنهى إلى باب مولاة لمحمد بن الأشعث، فاستقفاها فسقته، وأعلمها حاله،

(١) أي كاتب الحسين.

(٢) تاريخ الطبري «قال له حين: إن أسعير الله وأظفر ما يكون».

فَرَّقَتْ لَهُ ، فَأَوْتَهُ وَأَعْلَتْ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ بِمَكَانِهِ ، فَشَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَعْلَهُ ، فَوَجَّهَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَاتَّصَمُوا عَلَيْهِ ، فَهَاتَلَهُمْ مُسْلِمٌ ، وَأَمَّنَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَوَحَلَهُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَبَثَّ بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَصَلَّبَ جُثَّتَهُ .

وَأَتَمَّى الْأَمْرَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، وَقَدِ بَلَغَ الْقَادِسِيَّةَ ، فَهَمَّ بِالرَّجُوعِ ، فَقَالَ لَهُ إِخْوَةُ مُسْلِمٍ : لَا تَرْجِعْ أَوْ تَقْتُلْ ، أَوْ نَأْخُذْ بِثَأْرِنَا ، قَالَ الْحُسَيْنُ : لَا خَيْرَ فِي الْعِيْشِ بِعَدَمِكُمْ ، فَسَارَ حَتَّى لَقِيَ خِيْلَ لَا بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَيْهَا عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَعَدَلَ إِلَى كَرْبَلَاءَ ، وَهُوَ فِي نَحْوِ خَمْسِمِائَةِ فَارَسٍ ، فَلَمَّا كَثُرَتِ الْمَسَاكِرُ أَقْبَنَ أَنَّهُ لَا مَحْيَرَ لَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ دَعَوْنَا لِنُصْرَوْنَا ، ثُمَّ هُمْ يَقَاتِلُونَا ، ثُمَّ خُطِبَ قَوْمُهُ فَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مِنَ الدِّينِ عَلَى حَذَرٍ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوُ بَقِيَتْ عَلَى أَحَدٍ ، أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، لَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقَّ بِهَا وَبِالْبَقَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا لِلْفَنَاءِ ، فَجَدِّدْهَا بَالٍ ، وَنَمِيْمَهَا مَضْمَحَلٍّ ، وَسُرُورَهَا مَكْتَهَرٍ ، وَالدَّارُ قُلْعَةٌ ، وَلِلْمَزَلِ تَلْعَةٌ ^(١) ؟ فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ طَلْعَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ ضَرْبَةً ؛ وَتَوَلَّى قَتْلَهُ سَيْنَانُ بْنُ أَنَسٍ التَّغَفَمِيُّ ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَانْطَلَقَ بِهِ مَسْرِعًا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَوْقَرُ رَكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلَكَ الْحَبِيبَا

• قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا • ^(٢)

وَبَثَّ مِمَّ الرُّأْسَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ أَبُو بَرَزَةَ ، فَجَمَلَ يَسْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَى فِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَغْلَمًا ^(٣)

(١) يقال : هو على قلعة ، أى على رحلة ، والقلعة : عبرى الماء من أعلى بطون الأرض والازول عليه مغوف .

(٢) يده فى الطبرى :

• وَخَوَّرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نِسَا •

(٣) حصين بن الحمام الرمي ، من الفضيلة ١٢

قَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُلْتَمَهُ .

وَقُتِلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ ، وَقُتِلَ مِمْسَبِعةَ ثَمَانُونَ ، مِنْهُمْ عَلَى ابْنِهِ الْأَكْبَرِ ، وَمَنْ وَلَدَ أَخِيهِ الْحَسَنَ عَبْدَ اللَّهِ وَالْقَاسِمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَمَنْ إِخْوَتَهُ الْعَبَّاسَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَجَعْفَرَ وَمُحَمَّدَ وَعِثَانَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَمَنْ بَنَى عَنْ جَعْفَرَ وَمُحَمَّدَ وَعُونَ أَبْنَاءَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرَ . وَمَنْ وَلَدَ عَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَجَعْفَرَ ، وَدَفَنَهُمْ أَهْلُ الْقَادِسِيَّةِ بِمَدَقَلَتِهِمْ يَوْمَ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ ثَمَانِيَةَ وَثَمَانِينَ .

* * *

قوله : «اعتصمت» : اقتلعت من المَوْضِ . يعني ذين : يطلب هذين . الطَّيَّاءُ : الفزلان . يَرْجَحُ : يدخل . مَحْدَقًا بِاللَّجِينِ ، أى محاقًا بالفضة ، والصائد يَفْرَقُ حول الفخ حبَّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصَّل إلى ما نُصِبَ له فيقع ، قال : ما كلُّ طائرٍ يُحْدَعُ ، ولو حُلِقَ له الفخَّ بحبِّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : «ولكم من سمي ليصطاد فاصطيد» ، من قول الصابي :

يَا قَسْرًا كَانَتْ تُشَفُّ فِي نَظَرَتِهِ وَكَانَتْ تُضِيبُ اللَّذْنَ فِي نُفْرَتِهِ
خِلْتُكَ صَيْدًا كَانَ فِي قَبْضَتِي فَعَرْتُ مِنْ صَيْدِي فِي قَبْضَتِهِ
والسابق له كعب زهير بن في قوله :

طَافَ الرُّمَاءُ بِصَيْدٍ رَاعِهِمْ فَلَإِنَّا بِمَعْزُ الرُّمَاءِ بِثَبَلِ الصَّيْدِ مَقْتُولٍ^(١)

* * *

(١) لم يرد هنا البيت في ديوانه ، وأورده المصنف في ملحون الديوان ٢٠٩ ، لا . من المصنف .

[أصل اللثل : رجع بحنفى حنين]

وَحُفَّا حُنَيْن ، يضرب بهما اللثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْن ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيّاً ، فجاء إلى عبدالمطلب ، وعليه حُفَّان ، فقال : يا عم إني من ولدهاشم ، فَأَنْتَمَ النَّظَرُ فِيهِ ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائلاً هاشم ، فارجع خائباً خاسراً .

وقيل : كان رجلاً مُفْتَنِيّاً ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . لِيُطْرِبَهُمْ فِي نَزْهَةٍ ، فخرجوا به إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وَتَرَكَوا عَلَيْهِ حُفَّيْهِ ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رَجَعَ حُنَيْنٌ بِحُفَّيْهِ .

وقيل : إنه كان صانعاً ، فساومه أعرابيٌّ بِحُفَّيْنِ ، وما كسبه حتى أحرجه . فلما ارتحل الأعرابيُّ ، أخذ حنينٌ إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وألقى . الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرَّ الأعرابيُّ بِالْحُفَّيْنِ قَالَ : ما أشبه هذه بحفَّتِ حُنَيْنِ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، نَدِمَ على ترك الأولى ، فأتاها راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عَمَد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه دُلُفَّيْنِ ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بِحُفَّيْنِ حُنَيْنِ . فصار مثلاً .

وقيل : كان حُنَيْنٌ لَبِئّاً حَقِيصاً فَأَخَذَ وَصْلِبَ ، فجاءته أمه وعليه حُفَّان . فانزعمتها ورجعت ، قيل : رجعت بِحُفَّيْنِ حُنَيْنِ ، أى رضىت منه بذلك .

مَقْبَضَرٌ وَلَا تَشْمُ كُلُّ بَرْقٍ رَبُّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضَضُ الطَّرْفِ تَسْتَرِحُ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذَلٍّ وَشَيْنٍ
 خَبْلَاءُ الْقَتَى اتَّبَاعُ هَوَى النَفْسِ وَبَذَرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنٍ
 قال الراوى : فَمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبَلْ أَعْدَلَ
 أَمْ عَذَرَ .

• • •

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والبرق ، وجعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس قول : صاعقة ، وبنو تميم صاقمة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شَيْن :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غَضَضَتْ بَصْرَكَ » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
 لحظاته دامت حسرته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :

وهجر الهوى للهوى فاعلم سعادة

وطول الهوى رَيْنٌ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنٌ

فكُنْ دافِئاً لِلشَّرِّ بِالْخَيْرِ نَتْرَحْ مِنْ الشَّرِّ إِنْ الْخَيْرِ لِلشَّرِّ دَا فِنْ

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَصِِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى

إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ

وقال التنبي :

عزير أسمى من دأوه الأعين النجلُ عناه به مات المحتبون من قبل^(١)
فمن شاء فلينظر إلى قنظري نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

وقال ابن زيدون :

من يسأل الناس عن حال فشاهدُه محض العيان الذي يُبنى عن الخبر^(٢)
أما الضئى فجنته نظرة عن كأنها والردي جاءا على قدر
فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لي
إن الحوار لفهمهم من الحوار

وقال المباسم بن الأحنف :

الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الأقدار^(٣)
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
فهذا كله بين بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذر مذر : قطعاً متفرقة في كل جهة .
وأصل الشذر قطع الذهب ، ومذر اتباع لها .
لم أبل : أي لم أبال . عذل : لام . عذر : قيل للعذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٥١ .

(٣) ديوانه ٩٩٦ .

فهرس المقامات

صفحة	صدر المقامات
٤٦ - ١٢	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك
٧٤ - ٤٨	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائعة في الشعر .
١٢٧ - ٧٦	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعاراً في مدح الدينار وذمّه .
١٥٧ - ١٣١	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاورة أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٦ - ١٥٨	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القِرَى ومجاوبته له
٢١٩ - ١٨٩	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، وتتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٦٨ - ٢٢٤	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقيعية ، تتضمن تماعى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٧ - ٢٧٢	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمرتبية ، تتضمن محاسمه أبي زيد وابنة في الليل والإبرة
٣٣٠ - ٣٠٨	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرية ، تتضمن محاسمه أبي زيد لامرأته ، وقيامه يبيع أثاثها ومتاعها .
٣٦٥ - ٣٣٣	المقامة العاشرة ، وتعرف بالرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه
٤٤٤ - ٣٧٥	

فهرس للوضوعات^(٥)

صفحة	
٦١ - ٣	مقدمة الشارح
٢٤ - ٢٢	بديع الزمان الهمذاني
٢٥ - ٢٤	ذكر همذان
٢٨ - ٢٦	السبب في إنشاء الحريري للقامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدي بن الرقاع
٣٦ - ٣٥	التقديم والحديث في الأدب
٤٠ - ٣٦	القول في الحام
٤٢ - ٤١	من أقوالهم في الحقد ذمًا وحمداً
٤٥ - ٤٤	مما ورد من الحكم على ألسنة البهائم وغيرها
٥١ - ٥٠	مدينة صنعاء
٥٧، ٥٦	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبير
٦٤ - ٦٣	من لطائف التجنيس
٦٨ - ٦٦	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧١ - ٧٠	أبونواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

شمار السكديّة	صفحة
مما قيل في اللّحي من الشعر	٧٨ - ٧٩
البحترى وبعض أخباره وشعره	٨٤ - ٨٩
وصية أبي تمام للبحترى	٩٠ - ٩٦
ذكر النرجس ومآقال الشعراء في تشبيه الميرون به	٩٧
ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره	١٠٣ - ١١٠
من قولهم في الامتحان	١١٠ - ١١٢
يديهة السّلامى	١١٦
من نوادر صاعد بن الحسن الربيعى	١١٧ - ١١٨
مما قيل في البديهة الحاضرة	١٢٢ - ٢٢٣
نقد شعر الحريرى	١١٨ - ١٢١
من أقوالهم في الفراق	١٢٣ - ١٢٥
فصل في الحسد وما قيل فيه	١٢٥ - ١٢٦
قصة المثل : أنجز حرّاً ما وعد	١٣٥ - ١٣٨
مما قيل في وصف الدينار من الشعر	١٤٣ - ١٤٤
فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه	١٤٤
فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد	١٤٥ - ١٤٧
مما قيل في سواد الليل	١٥٤ - ١٥٦
مذاهب الشعراء في الغفر أو الاتصاف	١٦٠ - ١٦٢
مما ورد في الصنيع من الشعر	١٧٠ - ١٧٧
نهد مما قيل في الحمام شعراً ونثراً	١٧٣
قولهم : حديث خرافة	١٧٧ - ١٨٠
	١٨٦ - ١٨٨

صفحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩٣ - ١٩١	مما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٥ - ٢٠٣	قصة موسى عليه السلام قبل بيعته
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٨ - ٢٠٧	مما قيل في القري والأضياف
٢١١ - ٢٠٩	نيد وحكايات في البؤس والحرمان
٢١٣ - ٢١١	ذكر مدينة فيد
٢٢٣ - ٢١٩	ذكر السكيت في بعض أخباره وشعره
٢٣٦ - ٢٣٢	ذكر قطاري بن النجاة
٢٤٠ ، ٢٣٩	الخطبة وسعيد بن القاص
٢٥١ - ٢٤١	فصل في الدواء والقلم والمداد
٢٦٣ ، ٢٦٢	الضباع وما قيل فيها
٢٦٥ - ٢٦٣	نيد مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٧ - ٢٦٥	نيد وأقوال في ذم الزمان
٢٨٩ - ٢٨٦	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٩٢ - ٢٨٩	ذكر إياس القاضي وبعض نواتره
٣٠٠ - ٢٩٦	ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٦ - ٣٠٣	استطراد بذكر أشعار في التشبيه راحة
٣٠٨	ذكر مرة النعمان
٣١٥ ، ٣١٤	السا
٣١٨ ، ٣٧٦	مما قيل في رفو الثياب من الشعر

صفحة	
٣٢١ - ٣٢١	ما قالت الشعراء في الأطوار البالية
٣٣٩ - ٣٣٥	ما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الخضر على السفر وترك المعجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بعد عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبـر الكسـى وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاة
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليـك بن السـلكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قبل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر المفراء الأنحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الخلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر السيد
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في خلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أثراً بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزاء الحسين بن علي رضي الله عنه
٤٤٣ -	أصل المثل : رجع نحى حنين

استدراك وتطبيق *

صفحة	سطر	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأندلسي خطأ ، وصوابه : « الأندلس » ، منسوب إلى أندلس ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض المعطار ٣١ ، وبغية اللتمس للضي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة اللثمين بالمغرب ، بويع بالخلافة سنة ٥٩٥ هـ وتوفي في سنة ٦١٠ هـ ، وابنه يوسف ولي عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن البانة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حمص بن عمر السلي قاضى قرطبة . من أهل أغات ، وولي أبا فضاء فاس وتلمس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ . وانظر فتح الطيب ١ : ٢٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والعكلة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

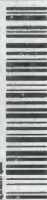
(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمود
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
- فاحذر هدايا الناس تأمن من المن
بها أو قول واش يشي
- ص ٦٣ ١٧ الخبر والأبيات في زهر الآداب ٧٧، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي
حنة ٦٠٤، وله تراجم أخرى في التكملة لابن
أبار برقم ٢١٤٧ والعصون اليانة ١٣٥، وألف
باء للبلوى ١ : ٢٣، ٣٥٦، ١٥٣، ١٥٥، ٣٨٩.
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد، خطأ والصواب أن اسمه
أبو حفص بن برد، والبيتان في الذخيرة ق ١
ج ٢ : ٤٨، ٤٩، وله ترجمة في جنوة المقتبس
للعميدى ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ :
١٨ - ٥٢، ومطالع الأنفس ٢٧، ٢٨.
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض، وهو أحمد بن محمد الأنصاري
الإشبيلي، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية
٧٠٦.
- ١٢٨ ٢١ الحلواني القيرواني، هو عبد الكريم بن فضال
الحلواني القيرواني، وله ترجمة في المطرب
٥٩، ٧٥، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩،
والآيات لابن سعيد ١٠٧.
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجذ

هو موسى بن عمران المارثي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بغي ، وما بهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨ ص
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلفة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « ليكي » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٣
الحلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الفقارة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أو الطيلسان .	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

- ٦ ٣٤٢ كذا في جميع الأصول بنسبة هذا البيت ،
 إذا لم أجد في بلدة ما أريده
 فعندي لأخرى عزمة وركاب
 إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس
 من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨
 ٩ (العنوان) ٣٩٨ يكتب هكذا : مما قيل في أنواع الحسن والجلال
 أيضاً .

Bibliotheca Alexandrina



0580618